العنوان	البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع
ترجمة العنوان	Al-balagha al-safia fil maani wal bayan wal badea
المؤلفون	حسن إسماعيل عبدالرازق
تاريخ النشر	2006
الناشر	المكتبة الأزهرية للتراث
الموضوعات	ادبية
الكلمات المفتاحية	البلاغة العربية | اللغة العربية | اللغات | البلاغة العربية
ISBN	N/A
المستخلص	يتناول هذا الكتاب دارسة ادبية لاحدى العلوم اللغوية الا وهو " علم البلاغة " مبينا من خلال ذلك نشأته ومدى الحاجة اليه متطرقا بالحديث عن اشهر علماء البلاغة عارضا اهم مؤلفاتهم منتقلا بعد ذلك للحديث عن علم البيان وصوره ثم يأتى الحديث عن علم المعانى موضحا ابوابه وعلاقاته واقسامه مبينا تعريفه وتقسيماته مختتما بالحديث عن علم البديع .
URL	*www.askzad.com/Bibliographic?service=4&key=Books_Bibliographic&imageName=BK00018898-001*

البلاغة الصافية

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

الأستاذ الدكتور حسن إسماعيل عبد الرازق

أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية بالزقازيق

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عبد الرازق، حسن إسماعيل

البلاغة الصافية في المعاني

والبيان والبديع

تأليف **حسن إسماعيل**

عبد الرازق. ط ١. – القاهرة

المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦

٣٧٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

٩٧٧/٣١٥/١٢٣٩

١- البلاغة العربية أ- العنوان

رقم الإيداع

٢٠٠٦/١٣٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فهذه هى البلاغة الصافية، قد استقيت أفكارها من نبع البلاغة العربية الصافى متمثلا فى مصادرها العربية الأصلية.

والحق يقال: إن علماء البلاغة الأقدمين، قد أرسوا دعائمها، وأقاموا بنيانها، على أسس قوية، وعمد متينة، فلم يتركوا ميدانًا لمجتهد، ولا مجالا لمعترض وقد كان خاتمتهم **«بلا منازع»** هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزوينى.

وليس ثمة مجال لباحث فى القرن العشرين أن يدعى أنه صاحب منة على البلاغة العربية، بعد أولئك الأعلام الذين لم يدخروا جهدًا فى سبيل إقامة صرحها الشامخ وحصنها المنيع.

ولهذا: فلست أدعى أننى قد أتيت بالجديد الذى لم أسبق إليه، ولا بالطريف الذى لن ألحق فيه.

وإن يكن من جهد متواضع أقدمه الآن فهو أننى أحاول نفض غبار القرون التى تعاقبت على البلاغة العربية فى العهود المظلمة حتى تاه فى دروبها عشاقها، وظن بها أعداء اللغة العربية الظنون!

فحاولت عرضها عرضا شيقًا، آثرت فيه أن تكون الأفكار واضحة جلية، وأن يكون الأسلوب سهلاً رقيقًا، تزينه إشراقة العبارة، وتجليه عذوبة الألفاظ، حتى يقبل عليها القارئ وكأنه يستمتع بأوقات جميلة، يتفيأ ظلالها الوارفة، ويستنشق

أريجها العطر ويغذى روحه من ثمارها اليانعة، ويروى ظمأ عقله ووجدانه من نبعها الصافى، وكوثرها السلسبيل ورحيقها المختوم.

والله أرجو أن يكون عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم، وأن يكون سبيلا ميسرًا إلى خدمة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، إنه سميع مجيب.

أ.د. حسن إسماعيل عبد الرازق
أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية
جامعة الزقازيق

نشأة علوم البلاغة

عرف العرب - فى جاهليتهم - بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وجمال التعبير كما اشتهروا بالإيجاز والبعد عن فضول الكلام، ولم يكن ذلك عن علم درسوه، ولا عن قواعد تعلموها وإنما كان ذلك كله سليقة وطبعًا.

بيد أنهم كانت لهم ملاحظات نقدية على بعض الشعراء، تداولتها كتب الأدب والنقد فيما بعد كالذى رووه من أن النابغة الذبيانى كان حكم العرب فى الجاهلية وكانوا يضربون له قبة من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فيقول فيها كلمته فتسير فى الناس ولا يستطيع أحد أن ينقضها، قالوا: وقد جلس النابغة للفصل مرة وتقاطر عليه الشعراء ينشدون بين يديه آخر ما أحدثوه من الشعر، أو أجود ما أحدثوه، وكان فيمن أنشده: أبو بصير ميمون أعشى بنى قيس، فما إن سمع قصيدته حتى قضى له، ثم جاء من بعده شعراء كثيرون فيهم حسان بن ثابت الأنصارى فأنشدوه، وجاءت فى أخريات القوم: تماضر بنت عمرو بن الشريد الخنساء، فأنشدته رائيتها التى ترثى فيها أخاها صخرًا، والتى تقول فيها:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

فيروقه هذا الكلام ويأخذ بمجامعه فيقول للخنساء: لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفًا لقلت: إنك أشعر الجن والإنس! ويسمع حسان ذلك فتأخذه الغيرة ويذهب الغضب بتجلده، فيقول للنابغة: **«أنا - والله - أشعر منها، ومنك، ومن أبيك!!»**.

فيقبل عليه أبو أمامة، فيسأله: حيث تقول ماذا؟، فيقول: حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنَىْ محرق ... فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابْنُما

فيقبل عليه النابغة، فيقول: **«إنك شاعر»** ولكنك أقللت جفانك وسيوفك وقلت: **«يلمعن بالضحى»** ولو قلت: **«يبرقن بالدجى»** لكان أبلغ فى المديح، لأن

الضيف فى الليل أكثر، وقلت: «يقطرن من نجدة دمًا» ولو قلت: «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدم.

وهم بذلك يكونون قد نظروا إلى المقام وما يقتضيه من كلام، كما أن لهم ملاحظات أخرى أثرت عنهم تبين أنهم قد نظروا إلى صحة الوزن وانسجامه وإلى المعنى وصوابه، بل تذكر أنهم قد نظروا إلى القصيدة بتمامها، وإلى نتاج الشاعر جميعه، كما يبدو ذلك من اختيارهم المعلقات، ومن نبذهم عدى بن ربيعة بالمهلهل، لما رأوا فى شعره من اختلاف واضطراب وكما يبدو من تلقيبهم شعراءهم بألقاب تدل على مدى إحسانهم، كالنابغة، والأفوه، والمرقش، والمثقب، والمنخل، والمتنخل.

وانبثق فجر الإسلام، وطلعت شمس النبوة، وتوالى نزول آيات القرآن بلسان عربى مبين على قلب محمد ﷺ، فيتلوها على أصحابه، ويتلوها أصحابه على أسماع المسلمين فيحفظونها، وتتردد على أسماعهم آناء الليل وأطراف النهار، وينبهر العرب ببلاغة القرآن الكريم ويعجزون عن مجاراتها، ويسلمون بعجزهم عن أن يجيئوا بمثل أقصر سورة من القرآن، وصار المعاندون ممن كفروا به وأنكروه يقولون مرة: إنه شعر، ومرة أخرى: إنه سحر، وقد كانوا يجدون له وقعًا فى القلوب وقرعًا فى النفوس يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف، ولهذا قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة.

أقبل المسلمون على القرآن الكريم؛ يتزودون من معينه الذى لا ينضب ويرتشفون من رحيقه العذب ويرتوون من مائه السلسبيل حتى رق إحساسهم وأرهفت مشاعرهم، وسلمت أذواقهم، وعرفوا من خواص التراكيب ما لم يكونوا يعرفون، وشهدوا من مظاهر النظم وخصائصه ما لم يكونوا يشهدون!

وكانت أحاديث الرسول ﷺ وهو الذى أعطى جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى تتردد على الأسماع، والخلفاء الراشدون -رضوان الله عليهم- كانوا خطباء مفوهين، وكانت لهم ملاحظات فى نقد الكلام وبلاغته.

وإلى جانب كلام الله تعالى، وحديث الرسول ﷺ وخطب الخلفاء الراشدين وملاحظاتهم فإن أمورًا أخرى جدت بالإسلام دعت إلى الاهتمام بصياغة القول ونظم التراكيب وتصوير المعانى صورًا رائعة جذابة، كالصراع بين الأنصار والمهاجرين على الخلافة، والخلاف الذى نشب بين على ومعاوية -رضى الله عنهما.

فلما كان عصر بنى أمية كثرت الملاحظات البلاغية، لازدهار الخطابة وتنوعها فى هذا العصر، ولأن العرب كانوا قد تحضروا، واستقروا فى المدن والأمصار وقامت الأسواق الأدبية على غرار سوق عكاظ فى الجاهلية.

وقد كانت تلك الملاحظات البلاغية أساسًا للدراسات البلاغية، التى بدأ تدوينها فى العصر العباسى وقد كان أول علم يصنف فيه من علوم البلاغة الثلاثة: **«المعانى، والبيان، والبديع»**، هو علم البيان، فقد صنف أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ كتابه **«مجاز القرآن»** بعد سؤال وجه إليه فى مجلس الفضل ابن الربيع والى البصرة للمأمون بن هارون الرشيد عن معنى قول الله تعالى -فى شجرة الزقوم: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات: ٦٥] وكيف شبه الطلع برءوس الشياطين وهى لم تعرف بعد، وينبغى التشبيه بشىء معروف، حتى يتبين المشبه ويتضح فأجاب أبو عبيدة، بأنه على حد قول امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالمشبه به هنا -أيضًا- غير معروف، والقصد من هذا التشبيه هو تصوير المشبه بصورة مخيفة.

ورجع أبو عبيدة من فوره، فتقصى ما ورد فى القرآن الكريم من ألفاظ قصد بها غير معانيها الموضوعة لها فى اللغة، وضمنها كتابه **«مجاز القرآن»** وتابعه العلماء من بعده يكتبون فى صور التشبيه والاستعارة، والكناية.

أما علم المعانى فإننا نجد لمسائله أثرًا فى كتاب سيبويه المتوفى سنة ١٨٠هـ وفى **«البيان والتبيين»** للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وفى **«الصناعتين»** لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥هـ. ولكن يأتى عبدالقاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١هـ بعقليته النادرة، وبصيرته الواعية وأسلوبه الرشيق، فيتحف البلاغة العربية بكتابيه **«دلائل الإعجاز»** و**«أسرار البلاغة»**، ويضمنهما نظريتيه فى علمى: المعانى، والبيان.

وأمـا علم البديع فـإن أول من ألف فيـه هو عـبدالله بن المعـتز، المتـوفى سنة ٢٩٦هـ، فقد رأى الشعراءَ من قبله يهتمـون فى أشعارهم بالبديع، كبشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبى تمام وغـيرهم، فجمع من أنواعه سبعـة عشر نوعًا، وزاد معاصـره قدامة بن جعـفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ عشـرين نوعًا اتفق معه فى سـبعة منها، فكان جملة مـا زاده ثلاثة عشر، فكمل ما جمعـه ثلاثين نوعًا، ثم أوصلها أبو هلال العسكرى فى كتابه «**الصناعتين**» إلى خمسـة وثلاثين، وجمع ابن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه «**العمدة**» مثلها.

ولما جاء أبو يعقوب السكاكى المتـوفى سنة ٦٢٦هـ نظم علوم البلاغة فى القسم الثالث من كتابه «**مفتاح العلوم**» وفصل أبوابها، ورتب مسائلها، وكل من جاء بعده من البلاغيين قد اعتمدوا على ما قاله السكاكى فى كتابه هذا.

وجه الحاجة إلى هذه العلوم:

إن أعظم فائدة تعود على المرء من دراسة علوم البلاغة والإحاطة بها هى معرفة أسرار اللغـة العربية، والإحاطة بخـصائص أسلوبها، للاطلاع على أسـرار إعجاز القرآن الكريم والاستعانة بها على فهم معانيه، ومعرفة أغراضه ومقاصده.

كما أن دراسة هذه العلوم، تطعلنا على أهم جـانب من جوانب النقد فى اللغة العربيـة شعرها ونثرهـا، وهو الجانب البلاغى الذى يهـتم بمعرفة أسرار التـراكيب وتصوير المعانى والأفكار، وعرض الأساليب فى ألوان جمالية بديعة.

****

أشهر رجال البلاغة ومؤلفاتهم

(١) أبو هلال العسكرى

هو أبو هلال، الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى، والعسكرى نسبة إلى بلد يسمى (عسكر مكرم) من نواحى خوزستان.

وقد تلقى العلم فى بغداد، والبصرة، وأصبهان، وتتلمذ على يد خاله: أبى أحمد العسكرى المتوفى سنة ٣٨٢هـ، والذى يشترك معه فى اسمه واسم أبيه، فكلاهما يسمى: الحسن بن عبدالله.

وقد كان أبو هلال عالمًا فاضلاً، وشاعرًا مجيدًا، مقترًا عليه فى الرزق، ولهذا فإنه كان يتبزز -أى يبيع البز من الثياب- احترازًا من الطمع والدناءة والتبذل يقول أبو هلال:

جلوسى فى سوق أبيع وأشترى ... دليل على أن الأنام قرود
ولا خير فى قوم تذلُّ كرامُهُمْ ... ويعظم فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهُمُ عنى رثاثة كسوتى ... هجاءً قبيحًا ما عليه مزيدُ

ومما ينبىء عن بؤسه وشقائه -على الرغم من علمه وأدبه وفضله- قوله:

إذا كان مالى مال من يلقط العَجَمْ ... وحالى فيكم حال من حاك أو حَجَمْ
فأين انتفاعى بالأصالة والحجا ... وما ربحت كفى على العلم والحكَمْ
ومَنْ ذا الذى يبصر فى الناس حالتى ... فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم؟!!

وقد توفى أبو هلال العسكرى فى عام ٣٩٥هـ.

وله مصنفات كثيرة تدل على غزارة علمه، وسمو قدره، وعلو همته، يقول فيها بعض الشعراء:

وأحْسَن ما قرأتُ على كتاب ... بخط العسكرىِّ أبى هلال
فلو أنى جُعلتُ أمير جَيْشٍ ... لما قاتلت إلا بالسؤال

فـــإن النـاس ينهـــزمـــون منه وقــد ثـبـتـــوا لأطراف العـــوالى

وأهم مصنفاته هو: كتاب «**الصناعتين**»: الكتابة والشعر الذى اشتهر به، واقترن باسمه.

كتاب الصناعتين:

ذكر أبو هلال العسكرى فى مستهل كـتابه هذا أن الذى دعاه إلى تصنيفه هو أنه وجد الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفـصاحة مبثوثة فى تضاعيف كتاب «**البـيان والـتبـيين**» للجـاحظ، ضالة بين أمـثلتـه، ولا توجد إلا بالتـأمل الطويل والتصفح الـكثير مع أنه أكبر الكتـب المؤلفة فى علم البلاغة وأشـهرها، فرأى أن يصنف كتابه هذا، مشتملاً على جمـيع ما يحتاج إليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار.

ولعل السر فى تسـمية بالصناعتين: أنه وجـد لخالد أبى أحمد العـسكرى كتابًا بعنوان «**صناعة الشعر**» فألهمه ذلك أن يصنف كتابًا، لا فى صناعة الشعر فحسب، ولا فى صناعة النثـر فحسب، بل فى «**الصناعتين**» **معًـا**: الشعر والنثـر على حد سواء.

وقـد رسم أبو هلال -فى مقـدمة كـتابه- المـنهج الذى سار عليـه فى دراستـه لصناعتى الشعر والنثر، فبين أن الكتاب عشرة أبواب اشتملت على ثلاثة وخمسين فصلاً.

فالباب الأول: فى الإبانة عن موضوع البلاغة وحدودها وما جاء فيها من أقوال العلماء.

والباب الثانى: فى تمييز الكلام، جيده من رديئه، ومحموده من مذمومه.

والباب الثالث: فى معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ.

والباب الرابع: فى البيان عن حسن السبك وجودة الرصف.

والباب الخامس: فى الإيجار والإطناب.

والباب السادس: فى حسن الأخذ وقبحه وجودته ورداءته.

والباب السابع: فى التشبيه.

والباب الثامن: فى السجع والازدواج.

والباب التاسع: فى شرح البديع والإبانة عن وجوهه، وحصر أبوابه وفنونه.

والباب العاشر: فى حسن مقاطع الكلام ومبادئه والخروج من النسيب إلى المديح وغيره.

وقد استقصى أبو هلال العسكرى بمنهجه هذا صور البيان والبديع التى سجلها النقاد والبلاغيون حتى عصره، وقد سلك -فى تأليفه- طريقة صناع الكلام من الكتاب والشعراء. ونبذ سلوك مذهب المتكلمين -كما يقول فى أول الكتاب- ومضى على طريقة ابن المعتز يكثر من الأمثلة والنصوص من القرآن والحديث وكلام الصحابة والعرب، وأشعار المتقدمين والمحدثين.

(٢) عبدالقاهر الجرجانى

هو: عبدالقاهر، أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى، من أسرة فارسية رقيقة الحال، ولكنه نشأ ولوعا بالعلم محبًا للثقافة، فأقبل على الكتب يلتهمها وبخاصة كتب النحو والأدب لاقتفائه أثر أساتذيه: أبى الحسين محمد بن الحسن ابن عبدالوارث الفارسى النحوى نزيل جرجان، وأبى الحسن على بن عبدالعزيز الجرجانى، فعلى الرغم من أن عبدالقاهر لم يخرج من جرجان فى طلب العلم أرسل إليه أبا الحسين هذا، وكان قد أخذ العلم عن خاله أبى على الفارسى صاحب كتاب الإيضاح فى النحو. وأما أبو الحسن على بن عبدالعزيز الجرجانى فقد كان أديبًا ممتازًا، واشتهر «بالوساطة بين المتنبى وخصومه» قال ياقوت: **«وكان الشيخ عبدالقاهر الجرجانى قد قرأ عليه، واغترف من بحره، وكان إذا ذكره فى كتبه تبخبخ به، وشمخ بأنفه بالانتماء إليه».**

ولكن عبدالقاهر قد تتلمذ بعد ذلك على الكتب، فقرأها بفكر واع، وعقل متريث، ولهذا تراه ينقل فى كتابه عن سيبويه، والجاحظ، وأبى على الفارسى وابن قتيبة، وقدامة، والآمدى، والقاضى الجرجانى، وأبى هلال العسكرى، وأبى أحمد العسكرى، وعبدالرحمن بن عيسى الهمذانى، والمرزبانى، والزجاج.

وقد كان عبدالقاهر يلقب بالنحوى، وعُدّ من أئمة النحاة، كما أنه يعد من أئمة البلاغة، فعلى معانى النحو بنى نظريتـه فى البلاغة والبيان، وتصدر بجرجان وذاع صيتـه فى الآفاق، وشدت إليه الرحال، وظل مقـيمًا بجرجان يفـيد الراحلين إليه والوافدين عليه، وقضى عـمره فى مدينة جرجان لم يفارقـها طول حياته، وتوفى سنة ٤٧١هـ.

وكان من تلاميذه المذكورين الواردين على العـراق والمتصدرين ببغداد: على بن زيد الفصيـحى، وقد تثقف على يديه جمـاعة كثيرة وأخـذوا عنه ما أخذه هو من عبدالقاهر.

وقد خلف عبدالقاهر آثارًا كثـيرة فى النحو والصرف والبلاغة، وأهم هذه الآثار وأعلاها قدرًا كتابان فى البلاغة هما: **«دلائل الإعجاز»** و**«أسرار البلاغة»**.

«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»:

كانت المرحلة التى سبـقت عبدالقاهر حافلة بدراسة صور الـبيان وألوان البديع وبنظرات متفرقة عن المعانى، غير أن صـور البيان كانت فى حاجة إلى من ينظمها فى عقد يجمعها، ويسلكها فى نظرية تـنتظمها، كما أن تلك النظرات المتفرقة عن علم المعانى كانت هى الأخـرى فى حاجة ماسة إلى نظرية واضحـة المعالم، تحدد صوره، وتعدد مسائله وتبين شواهده وأمثلته.

ومن يمن الطالع أن يتجرد لهذه المهمة الجليلة إمام البلاغة أبو بكر عبدالقاهر ابن عبدالرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١هـ، فـيتحف اللغة العربية بمؤلفين عظيمين هما: **«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»** مؤسسًـا بأولهما علم المعانى ومستـخرجًا مكنوناته، ومعـددًا صوره ومحـددًا مسائله، وذلك من خلال تطـبيق نظرية النظم التى كانت من قبله فكرة غير واضحة المعالم، وجامعًا بثانيهما صور البيان فى إطار محدد، بعد أن أشبعها دراسةً وبحثًا واستشهادًا وتمثيلاً.

وقد تضمن **(دلائل الإعجاز)** ما يلى:

أولاً: مقدمة ذكر فـيها الحاجة إلى علم النحو، وفضل علم البيـان، وإقامة الحجة على من زهد فى رواية الشعر وحفظه، ثم تناول الكلام فى النحو وتزهيد الناس فيه.

ثانيًا: تمهيد تكلم فيه عن الفصاحة والبلاغة.

ثالثًا: إعجاز القرآن الكريم.

رابعًا: نظرية النظم.

خامسًا: تطبيق هذه النظرية من خلال:

١- التقديم والتأخير.　　　　٢- الحذف.

٣- فروق فى الخبر.　　　　٤- الفصل والوصل.

٥- مزايا (إن).　　　　٦- مسائل (إنما).

سادسًا: تطبيق نظرية النظم على المحسنات البديعية.

أما أسرار البلاغة:

فقد ضمنه عبدالقاهر أسرار بلاغة الأساليب، وهو يرى أنها كامنة فى معانيها لا فى ألفاظها، كما يرى أن جمال الألفاظ تابع لجمال المعانى، ولهذا فإنه يقدم لموضوعات (**الأسرار**) بمقدمات تؤكد هذا المعنى، وقد ذكر فيها أن السجع والحشو وغيرها مما يظن أن الحسن والقبح فيها راجع إلى الألفاظ إنما مرجع الحسن والقبح فيها إلى المعانى، ولهذا فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولاً ولا سجعًا حسنًا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه، وكذلك الشأن فى التطبيق والاستعارة، ولم يكن غرضه من تلك المقدمات التى ذكرها إلا لكى يتوصل إلى أمر المعانى كيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، ويبين أجناسها وأنواعها، ويتبع خاصها ومشاعها، ويذكر أحوالها، وقد رأى أن أول ذلك وأحقه بأن يستوفيه ويتقصاه هو التشبيه والتمثيل والاستعارة، وقد رأى أنه إذا ما تتبع الترتيب المنطقى لهذه الموضوعات فإنه سيبدأ بالقول فى الحقيقة والمجاز، ثم يتبعه القول فى التشبيه والتمثيل، ثم يرتب عليها الاستعارة، غير أنه عدل عن هذا الترتيب، فبدأ بالاستعارة لأهميتها فى البلاغة فبين طرفًا منها، ونبه على طريق الانقسام فيها حتى إذا ما عرض ما يكشف ويبين سعة مجالها عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين فَوَفَّى حقهما وبَيَّنَ فروقهما، ثم انصرف إلى استقصاء القول فى الاستعارة.

(٣) أبو يعقوب السكاكى

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكى الخوارزمى، إمام من أئمة العربية، وهو فقيه متكلم، متفنن فى علوم شتى، سارت بذكره الركبان واشتهر علمه فى كل مكان، وفيه وفى الزمخشرى يقولون: لولا الأعرجان لضاعت بلاغة القرآن.

وقد أخذ العلم عن علماء أجلاء، منهم: سديد الدين بن محمد الخياطى، ومحمود بن ساعد بن محمود الحارثى، وبرهان الأئمة محمد بن عبدالكريم التركستانى، وكان يجيد اللغتين التركية والفارسية إلى جانب اللغة العربية.

ومن العلوم التى برع فيها: البلاغة، وعلم الكلام، والفقه، والكيمياء، وعلم خواص الأرض، وكان حنفيًا، معتزليًا، توفى فى خوارزم سنة ٦٢٦هـ.

وصنف كتبًا كثيرة فى علوم شتى، ومن أشهرها كتاب «**مفتاح العلوم**».

مفتاح العلوم:

هو الكتاب الذى اشتهر به السكاكى، وضمنه اثنى عشر علمًا من علوم العربية، وقسمه إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول فى علم الصرف، والقسم الثانى فى علم النحو، والقسم الثالث فى علوم البلاغة: المعانى والبيان والبديع، واختتمه بما به يكمل علم المعانى وهو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الاستدلال وهو علم المنطق، ثم بما به يتم الغرض من علم المعانى وهو الكلام فى الشعر، وأنهاه بخاتمة أخرى فى إرشاد الضلال بدفع ما يطعنون به فى كلام رب العزة.

وقد نال هذا الكتاب من عناية علماء البلاغة ما لم ينله كتاب آخر شرحًا وتلخيصًا، وتلخيصًا للشرح، وشرحًا للتلخيص.

ومن أظهر شروحه: مفتاح المفتاح للشيرازى، وتلخيص المفتاح للخطيب القزوينى، ومفتاح تلخيص المفتاح وشرح تلخيص المفتاح للتفتازانى.

وقد اعتبره البلاغيون من بعده الصيغة النهائية لقواعد البلاغة ومسائلها وأقسامها وتعريفاتها، ولهذا فإنهم قد عكفوا عليه وأوسعوه شرحًا وإيضاحًا وتقريرًا وتلخيصًا، ثم وضعوا عليه الحواشى تلو الحواشى!

علم البيــان

تدور مادة البيان فى اللغة حول معنيين اثنين هما: الفصاحة واللسن، والكشف والإيضاح، فيـقال: فلان أبين من فلان، أى: أفصح منه وأوضح كـلامًا، وكلام بَيّن أى فصيح، وإذا مـا دققت فى هذين المعنيين وجدت صلة قوية بينهـما، فأنت إذا ما كنت فصـيحًا لسنًا كان فى اسـتطاعتك أن تعبر عمـا فى نفسك من أفكار، فتكشفهـا وتوضحها، ولهذا فإن فى استطاعتك أن تقـول: إن البيان فى اللغة هو الكشف والإيضاح.

وأما فى اصطلاح البلاغيين فإنه **«علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مـختلفة فى وضوح الدلالة عليه»**.

وهم يريدون **«بالعلم»** الملكة التى يقـتدر بهـا على إدراكـات جزئيـة، أو نفس القواعد والأصول المعلومة، ويريدون **«بالمعنى»**: كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم، كـالكرم، والشـجاعـة، والإيمان، **«فـأل»** فى لفظ **«المعنى»** للاسـتغـراق العرفى، وليـست للاستغراق الحقـيقى، لأن استحـضار جميع المعـانى -وهى غير متناهية- فوق مقدور البشر.

وقيـدوا المعنى بـ**«الواحد»** ليحـترزوا به عن المعـانى المتعـددة التى تؤدى بطرق متفاوتة فى وضوح الدلالة على معانيها، وذلك كأن يكون تركيب فى معناه أوضح دلالة من تركيب آخـر فى معناه، كأن تعبـر عن معنى **«الكرم»** بقولك: **«محـمد كالبـحر فى العطاء»**، ثم تعبـر عن معنى الشجاعـة بقولك: **«استـمعت إلـى أسد يخطب»**، فالتركيب الأول -فى معناه- وهو: **(الكرم)** أوضح دلالة من الثانى -فى معناه- وهو: **(الشـجاعـة)**، وهذا ليس من علم البـيان فى شىء؛ لأن المعنى فى العبارتين مختلف، والشرط أن يكون المعنى فى العبارتين واحدًا.

ومعنى **«إيراد المعنى الواحد بطرق مخـتلفة فى الوضـوح»**؛ أن يعبر عنه بجملة من التراكيب، بعـضها أوضح دلالة عليه من بعض، سواء أكـانت هذه التراكيب من قبيل التشبيه، أو من قبـيل المجاز، أو من قبيل الكناية، فالمعنى الواحد كالكرم -

مثلاً- يمكن أن تعبر عنه بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه، فتارة تعبر عنه بطريق التشبيه فتقول: (**محمد كالبحر فى العطاء**)، وتقول: (**محمد كالبحر**) وتقول: (**محمد بحر**)، فتلك ثلاثة تراكيب دلت على معنى الكرم، وبعضها أوضح فى الدلالة عليه من بعض، فأوضحها: ما صرح فيه بوجه الشبه والأداة جميعًا -كما فى المثال الأول- ويليه فى الوضوح: ما صرح فيه بأحدهما -كما فى المثال الثانى- وأقلها وضوحًا ما لم يصرح فيه بواحد منهما -كما فى المثال الثالث-.

وتارة تعبر عنه بطريق المجاز، فتقول: (**رأيت بحرًا فى منزلنا**) تريد: محمدًا - مثلاً- فتشبهه بالبحر، ثم تستعير له لفظ «**البحر**».

وتقول: (**لجة محمد تتلاطم بالأمواج**) فاللجة والتلاطم بالأمواج من أوصاف البحر، وهذا دليل على أنك قد شبهت محمدًا بالبحر.

وتقول: (**غمر محمد بفضله الأنام**)، فالغمر من أوصاف البحر، مما يدل - أيضًا- على أنك قد شبهت محمدًا بالبحر.

والمثالان الأخيران من قبيل الاستعارة المكنية.

وأوضح هذه الطرق: الأول، ويليه وضوحًا: الثانى، وأقلها وضوحًا: الثالث.

أما أن الأول أوضحها فلظهور التجوز فيه بسبب التصريح باسم المشبه به، وأما الثانى والثالث فلخفاء التجوز فيهما لعدم التصريح باسم المشبه به، غير أن الثانى أوضح دلالة من الثالث لاشتماله على وصفين للمشبه به، واشتمال الثالث على وصف واحد.

وتارة أخرى تعبر عنه بطريق الكناية، فتقول: (**محمد كثير الرماد**) و(**هو مهزول الفصيل**) و(**هو جبان الكلب**).

فتلك ثلاثة تراكيب قد دلت على معنى الكرم، وذلك لأن كثرة الرماد إنما تكون من كثرة إحراق الحطب للطبخ للضيفان، وهزال الفصيل إنما يكون بإعطاء لبن أمه للضيوف، أو بذبح أمه لهم، وجبن الكلب إنما يكون من كثرة الواردين عليه من الضيوف.

والمثال الأول أوضح هذه الطرق فى الدلالة على الكرم، ويليه الثانى فالثالث.

وقيدوا الاختلاف «**بوضوح**» الدلالة، ليحترزوا به عن الاختلاف فى مجرد اللفظ، لا فى وضوح الدلالة، وذلك كما إذا أوردت معنى واحدًا **فى تركيبين** مترادفين، وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما، كأن تقول -مثلا- (**نشر فم محمد كنفح الطيب**) ثم تقول: (**رائحة ثغر محمد كأريج العطر**) فمثل هذا -**أيضا**- ليس من مباحث علم البيان لتماثل التركيبين فى وضوح الدلالة على المعنى المراد، والاختلاف إنما هو اللفظ والعبارة فقط مع أن الشرط هو أن يكون الاختلاف فى وضوح الدلالة على المعنى.

صور البيان

اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له، إن قامت قرينة مانعة من إرادة معناه **الأصلى كان مجازا**، وإن لم تقم قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى كان **اللفظ كناية**.

ثم إن المجاز: إن كانت علاقته المشابهة، كان اللفظ **استعارة، وإن كانت علاقته** غير المشابهة، كان اللفظ مجازًا مرسلاً.

ولما كانت الاستعارة قائمة على التشبيه، كان من الضرورى دراسة التشبيه أولا، ولهذا انحصرت أبواب علم البيان فى ثلاثة الأبواب التالية:

(أ) التشبيه (ب) المجاز (ج) الكناية.

التشبيه

التشبيه فى اللغة هو: التمثيل، وأما معناه فى اصطلاح البلاغيين فهو: **(الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظًا أو تقديرًا)**.

والأمر الأول هو: المشبه، والأمر الثانى هو: المشبه به، ويسميان طرفى التشبيه، والمعنى المشترك بينهما هو ما يسمى: **(وجه الشبه)**.

وذلك كأن تقول: **(خالد كالأسد فى الشجاعة)**، ففى هذا المثال دلالة على مشاركة أمر هو: خالد، لأمر هو: الأسد، فى معنى هو: الشجاعة، بإحدى أدوات التشبيه وهى: الكاف.

فأركان التشـبيه هي: (المشبه) و(المشبه به)، ويسميان: طرفي التـشبيه، و(وجه **الشبه**)، وهو المعنى المشترك بينهما، و(**أداة التشبيه**).

أدوات التشبيه:

أداة التشبيـه: هي كل لفظ يدل على معنى التـشبيه، وهي إمـا أن تكون حرفًا وإما أن تكون فعلاً، وإما أن تكون اسمًا.

فالحرف: كالكاف، وكأن، غير أن الكاف يليهـا المشبه به مثل: حكمه كالسيف مضاء. وقلبـه كالحجر قـسوة، أما «**كأن**» فيليهـا المشبه، مثل: كـأن الطائرة نسر عظيم، وكأن البحر مرآة صافية، وكأن كلامه الشهد حلاوة.

والفعل: كـمَاثَلَ يماثل، وشـابه يشابه، وحـاكى يحاكى، تقول: ليـلى ماثلت البدر إشراقا، ورائحتـها تماثل العطر نفحًا، ومحمد حاكى السـحاب فيضا، وعلى يحاكى النجم علوًا، وخالد شابه الأسد إقدامًا، وهو يشابه الجبل رسوخًا.

والاسم: نحو: «**مثل**» و«**شبه**» اسمين، كقـولك: ليلى مثل الغزال، ومـحمد شبـه الغمام، وكذلك الوصف المـشتق المفيد لمعنى التـشبيـه، كمماثل، ومـشابه، ومحـاك، تقول: ليلى مماثلة البدر فـي بهائه، وهند مشـابهة الغصن في ليـونته، ومحاكية الحرير في نعومته.

من أغراض التشبيه

أغراض التشبيه: هي البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقـد شبهًا بين شيئين وهي كثيرة، منها ما يعود على المشبه، ومنها ما يعود على المشبه به، وسنكتفي هنا بغرضين من الأغراض التي تعود على المشبه، تاركين ما يعود على المشبه به.

أما الغرضان فهما:

(١) **بيان حال المشبه**: والمقصود به هو بيـان وصفه الذي هو عليه، إذا كـان غير معروف الصفة التي يراد إثباتها له، فالمخـاطب يجهل حال ذلك المشبه، ولهذا فإنه يلحقه بمشبـه به معروف عنده لبيان تلك الحال، وذلك كأن تقـول لمن يعرف شجر قاا .لا يعرف شجر النارنج: (**شجر النارنج كشـجر البرتقال**)، وكأن تقول لمن

يعرف بيض العصفور ولا يعرف بيض الثعبان: (**بيض الثعبان كبيض العصفور**). وكأن تشبه ثوبًا بآخر، فى بياضه «**أو سواده**».

وكما فى قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

فقد شبه الشاعر الرطب من قلوب الطير واليابس منها بالعناب والحشف البالى لبيان حالها وما عليها من الأوصاف كالشكل والمقدار، واللون وكما فى قول النابغة الذبيانى يمدح النعمان بن المنذر:

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طَلَعَتْ لم يبدُ منهن كَوْكَبُ

فقد شبه الشاعر النعمان بن المنذر بين سائر الملوك بالشمس بين الكواكب ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من الشىء الحقير يتلاشى ويختفى عند وجود الشىء الخطير.

والغرض هنا هو بيان حال النعمان مع سائر الملوك، وأنه إذا ظهر بينهم تضاءلوا أمامه وطغى أمره على أمرهم.

(٢) **بيان إمكان المشبه**: والمقصود به هو: بيان أن وجود المشبه ممكن، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه، ويدعى أنه غير ممكن، كقول أبى الطيب المتنبى من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة الحمدانى:

رأيتك فى الذين أرى ملوكا ... كأنك مستقيم فى محال

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

فقد أراد أبو الطيب أن يقول: إن سيف الدولة قد فاق الناس بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة، بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده، وهذا فى الظاهر ممتنع لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو الطيب الغالى النفيس الذى أصله نوع من الدماء، ومع أنه لا يعدو منها لما فيه

من الأوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم، ويسمى مثل هذا التشبيه: تشبيهًا ضمنيًا، لدلالة البيت عليه ضمنًا.

ومثله قول عبدالصمد بن بابك:

تقاعس عنك الفاخرون فأحجموا　　وخيل المغالى غير خيل المواكب

فإن زعم الأملاك أنك منهُمُ　　فخارا، فإن الشمس بعض الكواكب

وقول التهامى:

لقد شرف الرحمن قدرك فى الورى　　كما فى الليالى شرفت ليلة القدر

وإن كنت من جنس البرايا وَفُقْتَهُمْ　　فللمسك نشر ليس يوجد فى العطر!

القيمة البلاغية للتشبيه

التشبيه -كما يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى- يكسو المعانى أبهة، ويكسبها شرفًا، ويرفع من أقدارها، ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، ويستميل القلوب إليها، ويستنير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا، ويجبر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا.

فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وإن كان ذمًا كان مسه أوجع، وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور، وإن كان افتخارًا كان شأوه أبعد، وإن كان اعتذارًا كان إلى القبول أقرب.

ولهذا فإنه إذا جاء فى أعقاب المعانى فإنه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها، والسر فى هذا التأثير القوى للتشبيه فى النفوس: هو أن الصورة فى التشبيه تبرز المعنى الخفى فى صورة محسوسة واضحة جلية تطمئن إليها النفس وتأنس لها، لأنها بذلك قد خرجت من الخفى إلى الجلى، ومن المعقول إلى المحسوس، ومما تعلمه إلى ما هى به أعلم، بل ومما لم تألفه إلى ما ألفته، فمهما عبرت عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ فيه فإنك لن تبلغ به ما يبلغه عن طريق التشبيه، فلو حاولت وصف يوم -مثلاً- بالقصر، فقلت: «يوم كأقصر ما يتصور»، فإن السامع لن يجد فى هذه المبالغة ما يجده فى قول الشاعر:

ظللنا عند باب أبى نعيم　　بيوم مثل سالفة الذباب

وكذلك إذا كنت مع صاحب لك يسعى فى أمر، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل، فأدخلت يدك فى الماء ثم قلت له: انظر هل حصل فى كفى من الماء شىء؟ فكذلك أنت فى أمرك، كان لذلك ضرب من التأثير فى النفس وتمكين للمعنى فى القلب زائد على القول المجرد من التشبيه. وعلى الجملة فإن من بلاغة التشبيه: أنه يبرز المعنى فى صورة واضحة جلية محسوسة مألوفة للنفس فى عبارة موجزة قوية مؤكدة.

****

تمرينات على التشبيه

(١)

بين كل تشبيه فى الأبيات التالية، ووضح أركانه:

١- قال رشيد الدين الوطواط:

فـوجــهك كــالنـار فى ضــوئهــا ... وقـلبـى كـــالنـار فـى حـــرهـا

٢- وقال -أيضًا-:

كـأن الـثـريا هـودج فـوق ناقــة ... يحث بهـا حـاد إلى الغـرب مُـزْعجُ

وقــد لمعت حــتى كــأن بريقــهــا ... قــوارير فــيــهــا زئبق يتــرجــرج

٣- وقال آخر يصف جيشًا:

وجـيش كـمـثل الليل هَوْلاً وهيبة ... وإن زانه مــا فــيــه من أنجم زُهْرِ

(٢)

اكتب الأبيات التالية نثرًا بأسلوبك:

١- قال صفى الدين الحلى:

الورد فى أعـلى الغــصـــون كــأنه ... مَـلكٌ تحف بـه ســـــراة جـنـوده

وانظر لـنرجـســه الشــهى كــأنه ... طرفٌ تـنبــه بعــد طول هجــوده

٢- وقال آخر:

كـأن الأقــحـوان وقـد تبـدت ... مـــحـــاسنه فــراقـت كل عَــيْنِ

عــمــادُ زَبَرْجَــدٍ، وقــبــابُ تِبْــرِ ... تحف بـهـــا شـــرفـــات اللـجين

٣- وقال آخر:

فـجرى النهـر وهـو يشـبـه سـيـفـا ... فى ريـاض كــأنهــا أجــــفــانُ

٤- وقال غيره:

والشـمس من مـشـرقـهـا قـد بدت ... مـــشــرقـــة ليس لـهـا حــاجبُ

كـأنهـا بوتـقـة أُحْـمِـيَتْ ... يجـول فـيـهـا ذهـب ذائبُ

٥- وقال آخر

وكـأن أجـرام النـجـوم لوامـعـا ... دُرَرٌ نُثِـرْنَ على بسـاطٍ أزرقِ

(٣)

عين كل تشبيه فى الأبيات التالية، وبين أركانه، ثم انثر الأبيات مستعملاً أداة تشبيه غير التى استعملها الشاعر:

١- قال عبد الله بن المعتز:

انـظـر إلى حُسْـنِ هـلال بـدا ... يهـتـك من أنـواره الحنـدسـا

كـمنجـل قـد صـيغ من فـضـة ... يحـصـد من زهر الدجى نَرْجِـسا

٢- وقال:

والنجـم فى الليل البـهـيـم تخـاله ... عـيـنًا تخـالسُ غَـفْلَـة الرقـبـاء

والصـبـح من تحت الظـلام كـأنه ... شـيب بـدا فى لُمـة سـوداء

٣- وقال البحترى:

يمشـون فى زعف كـأن متـونهـا ... فى كـل مـعـركـة متون بهـاء

بيض تسيل على الكمـاة نُصُـولُهَا ... سـيل السـراب بقـفـرة بيـداء

فـإذا الأسنة خـالطتـهـا خلـتـهـا ... فـيـهـا خـيـال كـواكـب فى الماء

٤- وقال جميل بن معمر:

غـراء مـبـسـام كـأن حـديثـهـا ... درٌّ تَحَـدَّرَ نظـمُـهُ منثـورُ

٥- وقال بعض الشعراء فى يوم من أيام الربيع:

هذى البـسـيطة كـاعـب أبرادها ... حلـل الربـيع وحَلْيُـهَـا النوَّار

وكـأن هـذا الجـو فيـهـا مغـرم به ... قـد شـفَّهُ التـعـذيب والأجـزار

فـإذا شكا فـالبـرق قـلب خـافق ... وإذا بكـى فـدمـوعـه الأمطار

الإجابة على تمرينات التشبيه

الإجابة على تمرين (١)

١ -التشبيه فى قول الشاعر: فوجهك كالنار فى ضوئها

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: وجهك

ب- المشبه به: النار

جـ- أداة التشبيه: الكاف

د- وجه الشبه: فى ضوئها

فقد شبه الوجه بالنار فى ضوئه ونوره وإشراقه، وكذلك هناك تشبيه آخر فى الشطر الثانى من قول الوطواط فى قوله: وقلبى كالنار فى حرها.

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: قلبى

ب- المشبه به: النار

جـ- أداة التشبيه: الكاف

د- وجه الشبه: فى حرها

فقد شبه شدة الشوق وحرارته فى قلبه بالنار فى شدة حرارتها وقوة لهيبها فالشوق يحرق قلبه كما تحرق النار الوقود.

٢- التشبيه فى قوله: «كأن الثريا هودج فوق ناقة يحث بها حاد..»

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: الثريا

ب- المشبه به: هودج فوق ناقة..»

جـ- أداة التشبيه: كأن

د- وجه الشبه: محذوف، وتقديره: الاستدارة والسير على هدى فى الظلام فالثريا تحث على السير فى الظلام كما يحث الحداء فى الهودج الناقة على السير فى الليل.

وجاء تشبيه آخر فى البيت الثانى فى قوله: كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: بريقها

ب- المشبه به: قوارير فيها زئبق يترجرج

جـ- أداة التشبيه: كأن

د- وجه الشبه: اللمعان والحركة

فهو يشبه أشعة الثريا اللامعة المتحركة بصفاء القوارير الزجاجية يتحرك فيها الزئبق الذى لا يثبت على حال.

٣- التشبيه فى قوله: «وجيش كمثل الليل..»

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: الجيش

ب- المشبه به: الليل

جـ- أداة التشبيه: مثل

د- وجه الشبه: ضخم كثيف تلمع فيه الأضواء

فالشاعر يشبه كثافة الجيش وضخامته تلمع فيه السيوف والأسلحة مثل كثافة الليل البهيم تلمع فيه النجوم والشهب.

الإجابة على تمرين (٢)

١ – معنى قول صفى الدين الحلى فى بيتيه:

فالشاعر فى البيت الأول يشبه الورد فى أعلى الأغصان التى تلتف حولها الأوراق والأشواك والبراعم والفروع مثل الملك فى سلطانه وتاجه على عرشه وحول الحاشية والجنود، والسراة والفقراء والطلاب والمسئولون.

والشاعر فى البيت الثانى يشبه النرجس حول الورد بالعيون اليواقظ التى تبرق بعد يوم طويل وراحة تامة، فكأنها تراقب ما حوله رعاية وإعجابًا.

٢– يشبه الشاعر الأقحوان بعد أن سحرت محاسنه العيون الجميلة الحوراء بالزبرجد فى نفاسته وسحره وجماله، أو بالقباب الذهبية وهى تنعكس على سطحها أشعة بيضاء ناصعة كالفضة تحفها من كل جانب كالشمس تحيط بها أشعتها الصافية التى تخطف الأبصار.

٣– يشبه الشاعر النهر الجارى فى نبعه الصافى بالسيف اللامع وسط رياض كثيف الأشجار والخضرة والورود والأزهار تلتف كالأكفان حول النيف الذى يشبه فى لمعانه وسحره العين الحوراء الشديدة البياض والسواد بالبوتقة الشديدة الاحمرار المملوءة ذهبًا يجول فيها ويتحرك ويتقد من شدة النار التى أحميت تحتها ومن حولها بجامع الاحمرار الشديد والحركة المتقدة فى كل من المشبه والمشبه به.

٤–يشبه الشاعر الشمس حين تبدو مشرقة متوهجة اللهيب تختفى حولها السحب والأجرام الأخرى

٥– يشبه الشاعر النجوم وهى تلمع منثورة فى أديم السماء القاتم كأنها حبات در من ذهب وفضة منثورة على بساط جميل أزرق قاتم بجامع اللمعان والصفاء منثورًا على مساحة قاتمة تزيدها لمعانًا وظهورًا.

الإجابة على تمرين (٣)

١ – التشبيه فى قول عبد الله بن المعتز: فقد شبه الشاعر الهلال وهو يبدد الظلام من حوله بمنجل من فضة يحصد النرجس فى جوف الليل.

أركان التشبيه هى

أ- المشبه: الهلال وسط الظلام

ب- المشبه به: المنجل من فضة فى حديقة النرجس ليلا

جـ- أداة التشبيه: الكاف

د- وجه الشبه: الضوء اللامع يبدد القتام من حوله

استعمال أداة أخرى غير الكاف:

كأن الهلال اللامع وهو يبدد الظلام بأنواره من حوله ويهتك أستار القتام منجل مصنوع من فضة كالسيف يحصد أزهار النرجس فى وسط حديقة كثيفة اشتمل عليها ظلام الليل من كل جانب.

٢- يشبه الشاعر النجم وهو يلمع فى الليل البهيم بالعين التى تختلس النظرات بين حين وآخر حين يغفل الرقيب من وقت لآخر.

كما يشبه الصبح يتنفس من بين غياهب الظلام بالشعر الأبيض الذى يسرى فى سواد الشعر أثناء المشيب.

أركان التشبيه هى:

فى البيت الأول:

أ- المشبه: النجم فى الليل البهيم

ب- المشبه به: عينا تخالس الرقباء

جـ- أداة التشبيه: تخاله

د- وجه الشبه: الشىء يظهر حينا ويغفو حينًا

فى البيت الثانى:

أ- المشبه: الصبح تحت الظلام

ب- المشبه به: الشيب

جـ- أداة التشبيه: كأنه

د- وجه الشبه: البياض ينتشر بين السواد

استعمال أداة غير (تخال)، (كأن)

والنجم فى الليل البهيم كأنه عينًا تخالسُ غَفْلَةَ الرقباء

والصبح من تحت الظلام تخاله شيب بدا فى لُمة سوداء

٣- التشبيه فى البيت الأول: كأن متونها فى كل معركة منون بهاء، وفى البيت الثانى بيض تسيل كسيل السراب.

وفى البيت الثالث: الأسنة المتحركة خلتها خيال كواكب فى الماء.

أركان التشبيه هى:

فى البيت الأول:

أ- المشبه: المتون

ب- المشبه به: منون بهاء

جـ- أداة التشبيه: كأن

د- وجه الشبه: اتصال الشىء وتماسكه وترابطه ترابطًا شديدًا كترابط وتلاحم المتون واتصال أيام الدهر بعضها ببعض.

فى البيت الثانى:

أ- المشبه: بيض تسيل

ب- المشبه به: سيل السراب

جـ- أداة التشبيه: محذوفة، وتقديره **«كسيل السراب» «الكاف»**.

د- وجه الشبه: تعاقب ظهور الشىء واختفائه من حين لآخر كالسراب الذى يظهر ويختفى **«وهو تشبيه بليغ»**.

فى البيت الثالث:

أ- المشبه: الأسنة المختلطة بعضها ببعض

ب- المشبه به: خيال كواكب فى الماء.

جـ- أداة التشبيه: خلتها

د- وجه الشبه: حركة الشىء اللامع واختلاطه

استعمال أداة أخرى فى كل بيت:

يمشون فى زعف تخال متونها منون بهاء، فى كل معركة

بيض تسيل على الكماة مثل سيل السراب فى صحراء قاحلة

ترى الأسنة المتحركة كأنها خيال الكواكب فى الماء.

٤- التشبيه فى بيت جميل بن معمر يكون فى حديثها كالدر المنثور يتحدر من فمها.

أركان التشبيه هى:

أ- المشبه: حديثها

ب- المشبه به: الدر المنثور

جـ- أداة التشبيه: كأن

د- وجه الشبه: السيولة والتناسق الإيقاعى العذب الجميل.

استعمال أداة أخرى فى البيت.

حديث حبيبته كالدر المنثور الذى ينساب من فمها فى نغم إيقاعى ساحر وموسيقى شجية عذبة.

٥- التشبيه فى التمرين الخامس والأخير يقوم على تشبيه الطبيعة الجميلة فى فصل الربيع بالفاتنة الحسناء الكاعبة حين تتزيا بحلل من الرياض والزهور وتضع على جيدها عقد من النوار.

لذلك أصبح جو الطبيعة الفاتنة فى الربيع كالعاشق الذى شفه إقبال الحبيب تارة والإعراض عنه تارة أخرى، وفى الإقبال والإعراض الفتنة والجمال.

وأصبحت شكوى العاشق كالبرق الخافق، ودموعه كالأمطار الغزيرة.

أركان التشبيه هى:

فى البيت الأول:

أ- المشبه: البسيطة، أى الطبيعة فى وقت الربيع

ب- المشبه به: الفاتنة الكاعب الجميلة

جـ- أداة التشبيه: محذوفة وتقديرها: البسيطة كالكاعب

د- وجه الشبه: تناسق عناصر الجمال فى حجمه وشكله وألوانه.

فى البيت الثانى:

أ- المشبه: جو الطبيعة الجميل الجذاب.

ب- المشبه به: العاشق وقد شفه التعذيب والأجزار.

جـ- أداة التشبيه: كأن

د- وجه الشبه: الجمال فى تتابع الإقبال والإعراض.

فى البيت الثالث:

أ- المشبه: الشكوى- والبكاء بالدموع.

ب- المشبه به: البرق الخافق- والأمطار.

جـ- أداة التشبيه: محذوفة فى التشبيهين، وهى الكاف أو غيرها.

د- وجه الشبه: فى التشبيه الأول: اضطراب الشىء وخفقانه، وفى التشبيه الثانى: تدفق الشىء وتتابعه.

استعمال أدوات أخرى غير المذكورة فى الأبيات

هذى البسيطة مثل الكاعب التى ارتدت بأزياء الربيع الجميلة.

الجو فى الطبيعة صار كالمغرم العاشق الذى أمتعه وصل الحبيب وتمنعه.

فالشكوى مثل البرق الخافق، وتخال الدموع كالأمطار الغزيرة.

****

الحقيقة والمجاز اللغويان

وقد قيدوا -هنا- الحقيقة والمجاز باللغويين، ليخرجوا الحقيقة والمجاز العقليين، لأنهما يكونان فى إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ما هو لـه، فيكون حقيقة عقلية كإسناد الشفاء إلى الله تعـالى فى قولك: شفى الله المريض، أو فى إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غيـر ما هو له، فيكون مجازًا عقليًا، كـإسناد الشفاء إلى الطبيب فى قولك، شفى الطبيب المريض.

أما الحقيقة والمجاز اللغويان، فيكونان فى استعمال اللفظ فيما وضع له، أو فى غيـر ما وضع له، فإذا استـعمل اللفظ فيـما وضع له، فهـو الحقيقـة اللغوية وإذا استعمل فى غير ما وضع له فهو المجاز اللغوى.

فـالحقـيـقة اللغـوية: هى الكلمـة المسـتـعملة فيـما وضـعت له فى اصطلاح به التخاطب.

وقد احترزوا بقولهم: **«المستعملة»** عن الكلمة قبل الاستعمال، لأنها لا تسمى حقيقة، وبقوله: **«فيما وضعت له»** عن أمرين هما:

أولاً: الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له غلطًا، كأن تريد أن تقول لصاحبك: خذ هذا الكتاب -مشيرًا إلى كتاب بين يديك- فقلت غلطًا: خذا هذا القلم.

ثانيًا: المجـاز اللغوى: وهو ما استـعمل فى غير مـا وضع له، كلفظة الأسد إذا استعملت فى الرجل الشجاع.

واحترزوا بقولهم: **«فى اصطلاح به التخاطب»** عما استعمل فيما وضع له لا فى اصلاح به التخاطب، كلفظ الصلاة إذا استـعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازًا.

والمجاز اللغوى قسمان: مفرد ومركب، أما المفرد فهو: **«الكلمة المستعملة فى غير مـا وضعت له فى اصطلاح بـه التخـاطب على وجه يـصح مع قرينة عـدم إرادته»** وأما المركب فلا مجال للحديث عنه الآن.

وقد احترزوا بقولهم: «**المستعملة**» عن الكلمة قبل الاستعمال، لأنها لا تسمى مجازًا ولا حقيقة.

وبقولهم: «**في غير ما وضعت له**» ليخرجوا الحقيقة، «**لأنها الكلمة المستعملة فيما وضعت له**».

وقولهم: «**في اصطلاح به التخاطب**» أرادوا أن يدخلوا نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازًا، لأنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له إلا أنه ليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب.

وقولهم: «**على وجه يصح**» احترزوا به عن الغلط، لأنه لا يسمى حقيقة ولا مجازًا.

وقولهم: «**مع قرينة عدم إرادته**» احترزوا به عن الكناية، لأن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

والحقيقة بحسب واضعها؛ فإن كان واضعها هو واضع اللغة فهي حقيقة لغوية، وذلك كلفظ «**أسد**» -إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص- وإن كان واضعها هو الشارع فهي حقيقة شرعية، وذلك كلفظ «**الصلاة**» -إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة، وإن كان واضعها هو العرف فهي حقيقة عرفية كلفظة «**الفعل**» إذا استعمله المخاطب -بحسب النحو- في الكلمة المخصوصة.. وهكذا.

وكذلك المجاز المفرد: منه المجاز اللغوي، والمجاز الشرعي، والمجاز العرفي:

فالمجاز اللغوي: كلفظ «**أسد**» -إذا استعمله المخاطب- بعرف اللغة- في الرجل الشجاع.

والمجاز الشرعي: كلفظ «**الصلاة**» -إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء.

والمجاز العرفي الخاص: كلفظ «**فعل**» -إذا استعمله المخاطب بعرف النحو- في الحديث.. وهكذا.

والحقيـقة إما أن تكون على وزن **«فعيل»** بمعنى مفـعول، من قولك: حـققت الشىء وأحقه إذا أثبته، وإما أن تكون على وزن **«فعيل»** بمعنى فاعل، من قولك: حق الشىء يحق إذا ثبت، وعلى هذا فـمعناها: المثبـتة، أو الثابتـة فى موضعـها الأصلى، والتاء للتأنيث.

والمجاز: إما أن يكون على **«مَفْعَل»** من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه، والمعنى: تعدت موضـعها الأصلى، وإما إن تكون مـأخوذة من قولهم: جعلت كـذا مجازًا إلى حاجتى، أى: طريقًا له.

تقسيم المجاز اللغوى

اشترط البلاغيون فى اللفظ الذى يكون مجازًا: أن تكون هناك علاقة بين المعنى الموضـوع له اللفظ، والمعنى المنقـول إليـه اللفظ، فـإن كانت العـلاقـة بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعـمل فيه هو المشابهة فاللفظ استعـارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فاللفظ مجاز مرسل، أى مطلق عن التقييد بعلاقة المشابهة.

المجاز المرسل

فالمجاز المرسل: هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له.

فقولنا: **«لعلاقة غير المشابهة»** مخرج للاستعارة، لأن العلاقة فيها هى المشابهة.

وقولنا: **«مع قرينة مانعـة من إرادة المعنى الموضوع له اللفظ»** مخرج للكناية، لأن القرينة فيها لا تمنع من إرادة المعنى الموضوع له اللفظ.

وسمى مجازًا مرسلاً، لأنه أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة هى المشابهة، ولهذا فإن له علاقات كثيرة، من أهمها:

١- **السببية**: وذلك كاليد -إذا استعملت فى النعمة- بشرط أن يكون فى الكلام إشارة إلى المنعم بها، وذلك كقولك: **«لفلان علىَّ يد لا أنكرها»** أى نعمة.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى يمدح سيف الدول الحمدانى:

لَـهُ أيـادٍ علـىَّ سـابغـةٌ   أعـدُّ منهـا ولا أعـددها

فهـو يقول: إن للممدوح علىّ نعـمًا سابغـة، يعد وجودى منهـا، ولا أستطيع حصـرها، إذ ليس المقصود بالأيادى مـعناها الحقيـقى، لأن قوله: «**سابغة**» قرينة مانـعة من إرادة المعنى الحـقيـقى، لأن الأيادى الحقـيقيـة لا توصف بالشـمول، فالمقصود هنا هو النعم، فلفظ «**أياد**» مجاز مـرسل علاقته السببـية، لأن الأيادى سبب فى النعم.

٢- المسببية: وذلك كما إذا اسـتعملت «**النبات**» فى «**الغيث**» فقلت: «**أمطرت السماء نباتًا**»، فليس المراد بالنبات هنا معناه الحقيقى، لأن قولك: «**أمطرت**» قرينة مانعـة من إرادة المعنى الحقيقى، إذ النبـات لا ينزل مطرًا، ولكن المراد به هنا هو: الغيث، فالنبات هنا: مجاز مرسل علاقته المسببية، لأن النبات مسبب عن الغيث.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾ [غافر: ١٣] فقد عبر عن الماء بالرزق على سبيل المجاز المرسل لعلاقة المسـببية، لأن الرزق مسبب عن الماء، والقرينة هنا قوله تعالى: ﴿ينزل من السماء﴾ لأن الرزق لا ينزل بذاته من السماء.

٣- اعتبـار ما كان، وذلك فى قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ**﴾ [النساء: ٢]، فليس المراد باليـتامى المـعنى الحقـيقى، بقـرينة الأمـر بدفع الأموال إليـهم، وتمكينهم منها بالتصرف فيها، وذلك لا يكون إلا بعد البلوغ حتى يحسنوا التصرف فيما يدفع إليهم من أموال آبائهم، فالمراد باليتامى: البالغون منهم، بإطلاق اليتامى على البالغين الراشدين مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

٤- اعتـبار مـا يكون، وذلك كما فى قـوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾ [يوسف: ٣٦] إذ ليس المراد من الخمر معناه الحـقيقى، بقرينة قوله: «**أعصر**» لأن الخمر عصير، والعصير لا يعصر، ولكنه أراد: عنبًا يؤول عصيره إلى خمر، فلفظ «**الخمر**» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، أى ما يؤول إليه العنب.

٥- الجزئية: وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**﴾ [النساء: ٩٢]، فليس المقصود بالرقبة هنا هو الجزء الخـاص بها فحسب، بقرينة قوله: «**فتحرير**»، لأن التحرير إنما يكون للذات كلهـا، فالرقبة هنا: مجاز مرسل علاقـته الجزئية لأن الرقبة جزء من العبد.

ومنه قول حافظ إبراهيم -وهو يبايع أحمد شوقى على إمارة الشعر-:

أمير القوافى اليوم جئتُ مبايعًا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

فقد عبر عن الشعر بالقوافى، والقوافى جزء من الشعر، فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية.

٦- **الكلية**: وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**﴾ [نوح: ٧] فليس المقصود من الأصابع معناها الحقيقى، بقرينة استحالة إدخال الإصبع كلها فى الأذن، ولكن المقصود هنا هو «**الأنامل**» التى هى أطراف الأصابع، فالأصابع مجاز مرسل علاقته الكلية.

****

تمرينات على المجاز المرسل

بين المجاز المرسل وعلاقته فى الأبيات التالية:

أ- قال الفندى الزمانى فى حرب البسوس:

صفحنا عن بنى ذهل	**وقلنا القوم إخوان**
عسى الأيام أن يرجعـ	**ـن قومًا كالذى كانوا**
فلما صرح الشر	**وأضحى وهو عريان**
ولم يبق سوى العدوا	**ن دنَّاهم كما دانوا**

ب- وقال حافظ إبراهيم وهو يبايع أحمد شوقى على إمارة الشعر:

أمير القوافى اليوم جئت مبايعًا	**وهذى وفود الشرق قد بايعت معى**

جـ- وقال آخر:

أعلمه الرماية كل يوم	**فلما اشتد ساعده رمانى**
وكم علمته نظم القوافى	**فلما قال قافية هجانى**

د- وقال جرير:

إذا سقط السماء بأرض قوم	**رعيناه وإن كانوا غضابًا**

هـ- وقال البحترى:

فكأن مجلسه المحجب محفل	**وكأن خلوته الخفية مشهد**

و- وقال آخر يرثى معن بن زائدة:

ألما على معن وقولا لقبره	**سقتك الغوادى مربعًا بعد مربع**

ي- وقال أبو الطيب:

له أياد علىّ سابغة	**أعد منها ولا أعددها**

ز- وقال الشاعر القديم:

أكلت دمـا إن لم أرعك بضـرة | بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

س- وقال آخر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم | فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

ص- وقال أبو الطيب:

سيعلم الجمع ممن ضم أهل مجلسنا | بأنني خير من تسعى له قدم

****

الإجابة على تمرينات المجاز المرسل

أ- المجاز المرسل فى قول الفندى الزمانى فى البيت الثالث وموقعه فى قوله: «دناهم كما دانوا» فقد عبر بالدين فى دناهم ودانوا عن العقاب، والعلاقة فيها السببية لأن الدين سبب فى العقاب، أو عبر بالإدانة بسبب فعله؛ فالعلاقة المسببية.

ب- المجاز المرسل فى قول حافظ إبراهيم فى قوله:

«أمير القوافى»

فقد عبر بالقوافى عن الشعر، والقافية جزء من بيت الشعر فالعلاقة «الجزئية»؛ لأن القافية جزء من البيت الشعرى.

جـ- المجاز المرسل فى البيت الأول فى قوله:

«اشتد ساعده رمانى»

والساعد جزء من البدن كله؛ فالعلاقة «الجزئية»؛ لأن اليد جزء من الإنسان.

وفى قوله:

«نظم القوافى»

والقوافى جزء من البيت فى الشعر؛ فالعلاقة الجزئية، لأن القافية جزء من البيت الشعرى.

وفى قوله: «قال قافية هجانى»

والقافية جزء من البيت فى الشعر؛ فالعلاقة «الجزئية»؛ لأن القافية جزء من البيت الشعرى.

د- المجاز المرسل فى قول جرير:

«سقط السماء»

فالسماء سبب فى سقوط المطر؛ فالعلاقة «السببية»، لأن السماء سبب فى سقوط المطر.

وفى قوله:

«رعيناه»

أى رعينا السماء، والسماء لا ترعى وكذلك الماء لا يرعى، وما نتج عنهما من المرعى والعشب هو الذى يرعى، لذلك كان المجاز المرسل فى رعيناه، وعلاقته «المسببية»؛ لأن المرعى مسببة عن السماء والماء.

هـ- المجاز المرسل فى قول البحترى:

«فكأن مجلسه المحجب»

فالمراد أهل المجلس لا المجلس نفسه؛ فالعلاقة **«المحلية»** لأن المجلس محل جلوس الناس والأهل، لأن العلاقة المحلية وكذلك فى قوله:

«وكأن خلوته الخفية مشهد»

والمراد: أهل خلوته لا الخلوة نفسها؛ فالعلاقة «المحلية»؛ لأن الخلوة هى محل لأهل الخلوة؛ فليس المقصود الخلوة، وإنما من يخلو فيها من الناس ويجلسون خفية.

و- المجاز المرسل فى رثاء معن بن زائدة:

«وقولا لقبره»

والمراد: **«الميت فى القبر»** لا القبر نفسه؛ فالعلاقة **«المحلية»** لأن القبر محل للميت؛ لأن القول لا يوجه للقبر وإنما لما يضمه من الأموات.

وفى قوله:

«سقتك الغوادى»: أى السحب

فالمجاز المرسل فى الغوادى وهى السحب، وعلاقته **«السببية»** لأن الغوادى هى سبب فى نزول الماء الذى يسقى الناس والزرع؛ فليس المراد الغوادى، وإنما السقيا تكون بالماء.

ى- المجاز المرسل فى قول أبى الطيب المتنبى فى قوله:

«له أياد علىَّ سابغة»

فالمجاز المرسل فى «أياد» والمراد: العطايا، وعلاقته «السببية» لأن اليد سبب فى العطايا والمنح السابغة.

ز- المجاز المرسل فى قول الشاعر القديم:

«أكلت دمًا»

فالمراد أكلت حرامًا أو محرمًا، فالعلاقة «السببية» لأن الدم سبب للمحرم والحرام، لأن الدم محرم أكله.

وفى قوله أيضًا:

«طيبة النشر»

والمراد طيبة المسك؛ فالعلاقة «السببية» لأن المسك سبب فى النشر.

س- المجاز المرسل فى قول الشاعر:

«تستعبد قلوبهم»

والمراد تستعبد أنفسهم، فالعلاقة «الجزئية»؛ لأن القلب جزء من الإنسان، والإنسان هو الذى يستعبد لا قلبه.

وفى قوله:

«استعبد الإنسانَ إحسانُ»

والمراد العطاء؛ فالعلاقة «المسببية» لأن الإحسان مسبب عن العطاء، وعن غيره كالقول الطيب.

ص- المجاز المرسل فى قول أبى الطيب المتنبى:

«ممن ضم مجلسنا»

والمراد أهل المجلس، فالعلاقة «المحلية»؛ لأن المجلس محل الجلوس للناس

وكذلك فى قوله أيضًا:

«تسعى له قدم»

والمراد يسعى له الإنسان؛ فالعلاقة «الجزئية»؛ لأن القدم جزء من الإنسان وهو الذى يتأتى منه السعى لا القدم.

الاستعارة

الاستعارة في اللغة: طلب العارية، والعارية هي ما تداولوه بينهم، فهي مأخوذة من قولهم: استعرت الشيء استعارة، فإذا ما استعرت كتابًا من صديق – مثلاً– فأنت مستعير، والصديق مستعار منه، والكتاب: مستعار، وهذه العملية كلها تسمي: استعارة.

فإذا ما أخذت لفظًا موضوعًا في اللغة لشيء، ووضعته لشيء آخر، كنت قد استعرت ذلك اللفظ، غير أن الاستعارة لا تأتي إلا بعد المبالغة في التشبيه ثم تناسيه.

وقد علمت أنه يشترط في المجاز أن يكون هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظ.

فالاستعارة إذن:هي اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وذلك كما في قول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

يقول: أنا عند أسد، أي رجل شجاع مقدام، فشبهه بالأسد، ثم استعار له لفظ الأسد، وكقول أبي الطيب المتنبي –وقد قابله الممدوح وعانقه–:

ولم أر قبلي من مشى البحر نحوه ... ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد

فقد شبه الممدوح بالبحر في الكرم، وبالأسد في الشجاعة، ثم استعار له لفظيهما.

وطريقة إجراء الاستعارة أن تقول: شبه الرجل الشجاع بالأسد في الجرأة والإقدام، ثم تنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل في جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به، وهو الأسد للمشبه وأطلق عليه باعتباره أحد أفراد الأسد، ومثل هذا يقال في كل استعارة.

وأركان الاستعارة –كما رأيت في تعريفها– ثلاثة:

(أ) المستعار منه: وهو ذات المشبه به، كالحيوان المفترس فى المثال السابق، لأن اللفظ الموضوع له -وهو «**أسد**»- أخذ منه وأعطى لغيره، كالإنسان يستعار ثوبه لغيره.

(ب) والمستعار له: وهو ذات المشبه، كالرجل الجرىء، لأن اللفظ الذى هو لغيره أعطى كالإنسان يستعار له الثوب من غيره.

(ج) المستعار: كلفظ «**أسد**»، لأنه أخذ من صاحبه، واستعير لغيره كالثوب المستعار من صاحبه للابسه.

قرينتها: القرينة فى الاستعارة هى الأمر الذى تجعله دليلاً على أنك أردت باللفظ غير ما وضع له فى الأصل، وهى إما أن تكون لفظًا، وإما أن تكون غير ذلك، ولهذا فإنهم قالوا: إن القرينة نوعان: لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: هى اللفظ الذى تجعله دليلاً على أنك أردت باللفظ غير ما وضع له ومثال ذلك فى الاستعارة الأصلية قولك: «**كلمنى بحر**»، فبحر مستعار للرجل العالم، أو الكريم استعارة أصلية، وقرينتها: لفظ «**كلمنى**»، لأن البحر الحقيقى لا يتكلم، ومثالها فى التبعية: قولك: «**قَتَلَ عَلِيٌّ خصمه بحاد لسانه**» فقد استعرت «**القتل**» للإيذاء الشديد، بجامع الألم الشديد، ثم اشتققت من القتل بمعنى الإيذاء الشديد «**قَتَلَ**» بمعنى آذى إيذاء شديد، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة قولك: «**بحاد لسانه**»، لأن اللسان ليس أداة قتل.

وقد لاحظت أن كلاً من القرينتين ملائم للمشبه.

وغير اللفظية: أمر خارج عن اللفظ تجعله دليلاً على أنك أردت باللفظ غير ما وضع له.

وهذا الأمر إما أن يكون: دلالة الحال، وإما أن يكون استحالة المعنى. فمثال ما قرينته حالية قولك: «**أرى قمرا**» والسامع يرى فتاة جميلة مقبلة، فالقمر مستعار للفتاة الجميلة، استعارة أصلية، وقرينتها: دلالة الحال.

ومثال ما قرينته الاستحالة قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١]، فقد شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد (**بالطغيان**)، بجامع

تجاوز الحد فى كل منهما، ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه (**طغى**) بمعنى كثر حتى جاوز الحد استعارة تبعية.

والقرينة هى: استحالة صدور الطغيان من الماء، لأن الطغيان إنما يكون من الإنسان.

واللفظية إما أن تكون لفظًا واحدًا -كما سبق فى قولك «**كلمنى بحر**»- وإما أن تكون لفظين كما فى قول الشاعر:

فـإن تعـافـوا العـدل والإيمان ... فـإن فـى إيمـاننـا نيـرانـا

فقد استعار لفظ «**النيران**» للسيوف، والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف هى كل من: «**العدل**»، و«**الإيمان**»، لأن الذى يدعو إلى العدل والإيمان يأخذ بالشريعة التى تحمل المخالف على الطاعة بحد السيف.

وإما أن تكون أكثر من لفظين، كما فى قول البحترى:

وصـاعـقـة من نصله تنكفى بهـا ... على أرؤس الأقران خمس سحائب

فقد شبه أنامل الممدوح «**بالسحائب**» فى عموم العطايا، ثم استعار لفظ «**السحائب**» لأنامل يده، وجعل القرينة على هذه الاستعارة: «**صاعقة**» و«**نصله**» و«**أرؤس الأقران**» و«**خمس**» وهى عدد أصابع اليد، فدل ذلك كله على أنه أراد بالسحائب أصابع اليد لما بينها وبين السحاب من جامع النفع وعموم العطاء.

الفرق بين الاستعارة والكذب:

يفرق بين الاستعارة والكذب من ناحيتين:

الأولى: أن الاستعارة مبنية على التأويل، بمعنى أننا ندعى دخول المشبه فى جنس المشبه به ونجعله أحد أفراده مبالغة، فنقدر أن الأسد -مثلاً- فى مثل قولنا: «**على المنبر أسد**» موضوع لفردين: متعارف، وهو الحيوان المفترس، وغير متعارف، وهو الرجل الجرىء، ولكن الكاذب لا يتأول فى كلامه، لأنه يتعمد الكذب.

الثانية: أن الاستعارة فيها قرينة مانعة من إرادة المعنى الظاهر من اللفظ، أما الكذب فلا قرينة فيه تمنع من إرادة المعنى الظاهر من اللفظ، بل إن الكاذب ليبذل قصارى جهده فى ترويج ظاهره، وإظهار صحة ما يقول.

وينبغى أن تكون على ذكر من أن المشبه به -فى الاستعارة- وهو المستعار منه، يجب أن يكون أمرًا كليـا، حتى يكون له أفراد تستطيع أن تدعى دخـول المشبه فى جنسها، ولهذا فإنه لا تصح الاستعارة فى علم الشخص، لأن معناه جزئى، فلفظ **«محمد»** -مثلاً- لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين محمد مشابهة فى شىء، لأن الاستعارة تقتضى ادعاء دخول المشـبه فى جنس المشبه به باعتبار أفراده -كما أسلفنا- وهذا يقتـضى عموم المشبه به و**«محمد»** المذكور لا عموم فيه، لأنه لا يحتمل غير مـعناه الذى وضع له، ولكنه إذا عرف بوصف واشتهر به **«كحاتم»** -مثلاً- إذ هو علم على الطائى المشهور بالجود، فقد ذاع صيته حتى صار إذا أطلق لفظ **«حاتم»** فهم منه معنى الجود -إذا عرف علم الشخص بوصف واشتهر به حتى صار أمرًا كليا **«كحاتم»** صحت الاستعارة فيه ومثل: **«حاتم»**: **«مادر»** الذى اشتهر بالبخل و**«قُس»** الذى اشتهر بالفصاحة، و**«باقل»** الذى اشتهر بالعَىّ.

شروط تحقق الاستعارة:

يشترط لتحقيق الاستعارة ما يلى:

١- أن تتناسى التشبيه، وتدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل فى جنسه.

٢- ألا تذكر وجه الشبه ولا أداته، لا لفظًا، ولا تقديرًا.

٣- ألا تجمع بين طرفى التشبيه.

٤- أن يكون المشبه به كليا، حقيقة، أو تأويلا.

ولهذا فإن الاستعارة هى تشبيه حذف أحد طرفيه، فإن حذفت المشبه وصرحت بالمشبه به فهى الاستعارة التصريحية، وإن حذفت المشبه به وأبقيت شيئًا من لوازمه فهى الاستعارة المكنية.

الاستعارة التصريحية

فالاستعارة التـصريحية: هى لفظ المشبه به المستعار للمشـبه المحذوف، كما فى قولك، **«رأيت أسدًا يمتطى صهوة جواده»** تريد: رجلاً شجاعًا، فلفظ أسد هو لفظ المشبه به المستعار للمشبه.

وطريقة إجرائها أن تقول: شبهنا الرجل الشجاع بالأسد فى الجرأة، ثم تناسينا التشبيه وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل فى جنسه، ثم استعرنا لفظ الأسد للرجل الشجاع، على سبيل الاستعارة التصريحية.

وإنما سميت هذه الاستعارة **«تصريحية»** للتصريح فيها بلفظ المشبه به.

تقسيم التصريحية إلى: أصلية، وتبعية

تنقسم الاستعارة التصريحية إلى استعارة أصلية، واستعارة تبعية:

فالاستعارة الأصلية: هى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق سواء أكان اسم عين **«كالأسد»** أو اسم معنى **«كالقتل»**:

فاستعارة اسم العين، كقولك: **«رأيت أسدًا يداعب أقرانه»** تريد رجلاً شجاعًا، وإجراء الاستعارة فيه أن تقول:

شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الجرأة فى كل منهما، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن الرجل الشجاع فرد من أفراد الأسد، وداخل فى جنسه، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة الأصلية، لأن اللفظ المستعار، هو **«أسد»** اسم جنس، إذ هو يصدق على كل فرد من أفراد هذا الحيوان المفترس.

واستعارة اسم المعنى، كقولك: **«آلمنى قتل زيد أخاه»** تقصد إذلاله إياه، وتقول فى إجرائها:

شبهنا الإذلال بالقتل، بجامع شدة الألم فى كل منهما، ثم تنوسى التشبيه وادعى أن المشبه -وهو الإذلال- داخل فى جنس المشبه به -وهو القتل- وفرد من أفراده، ثم استعرنا لفظ المشبه به- وهو **«القتل»**- للمشبه- وهو **«الإذلال»**- على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، لأن اللفظ المستعار- وهو **«القتل»**- اسم جنس معنى.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

خُلقت عيونًا لو رحلت إلى الصبا	**لفارقت شيبى موجع القلب باكيا**
ولكن بالفسطاط بحرًا أزرته	**حياتى ونصحى والهوى والقوافيا**

فقد شبه كافور بالبحـر، ثم استعار له، وهو اسم جنس -كما ترى- وقد يتأول فى اسم العلم المشهور بوصف، فيستعار اسم جنس تأويلا، كما فى قولك: «**رأيت اليوم حاتمًا**»، تقصد: رجـلاً كريمًا، فلفظ «**حاتم**» عَلَم ذات معروفة ولكن تؤول فيه، فجـعل اسم جنس موضوعًا لمطلق ذات متصفـة بالجود، ومن هنا صح جعله استعارة لكل جواد، بادعاء دخوله فى جنس «**حاتم**» واعتباره فردًا من أفراده.

وإجراء الاستعارة فيه أن تقـول: شبه فلان بالرجل الكريم بجامع الجود فى كل منهما ثم تنوسى التشبـيه، وادعى أن المشبه أحد أفراد حاتم باعتبـار مفهومه الكلى التأويلى ثم اسـتعير اسم المشبـه به للمشبه اسـتعارة تصريحيـة أصلية، لأن اللفظ المستعار وهو «**حاتم**» اسم جنس تأويلاً.

والاستعارة التبعية:

هى ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسمًا مشتقًا أو حرفًا:

فأمـا الاستعـارة فى الفعل: فهى إما أن تكـون فى الفعل باعتبـار مادته، وإما أن تكون فيه باعتبار صيغته.

فمـثال الاستـعارة فى الفـعل باعتبـار مادته: قول الله تعالى: ﴿**يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [الحديـد: ١٧] فقـد شبـه تزيين الأرض بالنبات بالإحـياء، فى الحـسن والنفع، ثم استعـير الإحياء للتـزيين، فصار الإحياء بمعنى التـزيين، ثم اشتق من الإحيـاء بهذا المعنى: «**يحيى**» بمعنى: يزين، على سـبيل الاسـتعارة التـصريحـية التبعية، ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

وتحـيـى لـه المالَ الصـوارمُ والقـنا ... ويقـتـل مـا تحـيـى التـبـسـم والجـدا

فقد شبه جمع المال بالصوارم والقنا بالإحـياء، بجامع عموم النفع فى كل منهما ثم تنوسى التشـبيه، وادعى أن المشبـه -وهو جمع المال- فرد من أفراد المشـبه به -وهو الإحياء- وداخل فى جنسه، ثم استعير الإحياء لجمع المال بالصوارم والقنا، ثم اشتق منه: «**تحيى**» بمعنى تجمع له المال، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثـال الاستعارة فـى الفعل باعتـبار صيغـته: قوله تعالى: ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ**

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، لم يقل: وينادى مع أن النداء سيكون فى الدار الآخرة، لكنه عبر بصيغة الماضى تجوزًا، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى -فى تحقق الوقوع- ثم استعير: لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل ثم اشتق من النداء بهذا المعنى: «**نادى**» بمعنى، «**ينادى**» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وأما الاستعارة فى المشتقات: فمثالها فى اسمى الفاعل والمفعول: قولك: جليل أعمالك ناطق بكمالك، أى دال عليه، ففى «**ناطق**» استعارة تبعية، وإجراؤها أن يقال فيها: شبهت الدلالة بالنطق فى الكشف عن الغرض فى كل، ثم استعير «**النطق**» للدلالة، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى: «**ناطق**» بمعنى دال، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وقولك: «**سلم مقتولك أمره إلى الله**» أى مضروبك ضربًا شديدًا، وطريقة إجرائها أن تقول: شبه الضرب الأليم بالقتل فى قسوة الألم، ثم استعير القتل للضرب الشديد، ثم اشتق من القتل بهذا المعنى: «**مقتول**» بمعنى: مضروب ضربًا شديدًا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها فى الصفة المشبهة: قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا   فلسان حالى بالشكاية أنطق

أى: أَدَلّ، فشبه الدلالة بالنطق، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة «**أنطق**» بمعنى: أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها فى اسمى الزمان والمكان: قولك: «**هذا مقتل فلان**» مشيرًا إلى زمان ضربه ضربًا شديدًا، أو إلى مكانه، فشبه الضرب الشديد بالقتل، ثم اشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد «**مقتل**» اسم زمان أو مكان، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنه قول الله تعالى: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢] فقد شبه الموت بالرقاد -فى عدم ظهور الأفعال الاختيارية، ثم استعير لفظ الرقاد للموت، فصار الرقاد بمعنى الموت، ثم اشتق من الرقاد بهذا المعنى «**مرقد**» بمعنى: مكان الموت، وهو القبر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وقد رأيت مما أسلفنا لك أن الاستعارة فى المشتقات يجرى التشبيه -أولاً- فى مصادرها لا فى ذواتها، ولهذا فإن الاستعارة إنما سميت بهذا الاسم، لأنها قد جرت فى الفعل والمشتقات تبعًا لجريانها فى المصادر. لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات فهو أسبق فى الاعتبار وأولى.

ومثال الاستعارة فى الحرف: قوله تعالى: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾ [القصص: ٨] فلام العلة: موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها ترتب العلة على المعلول، وعلى هذا، فاللام فى قوله تعالى: «**ليكون**» مستعملة فى غير ما وضعت له، لأن ما بعدها -وإن كان مترتبا على ما قبلها- ليس علة باعثة عليه، لأن آل فرعون لم يلتقطوا موسى -عليه السلام- ليكون لهم عدوًا وحزنًا، وإنما التقطوه ليكون لهم حبيبا وسرورًا، ولكن لما كانت النتيجة المترتبة على الالتقاط هى العدواة والحزن لا المحبة والسرور، شبه العدواة والحزن المترتبين على الالتقاط فى الواقع بالمحبة والسرور واللذين كان ينبغى أن يترتبا عليه ثم استعملت فيه اللام تجوزًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن تقول: شبه العدواة والحزن المترتبين على الالتقاط بالعلة الحقيقية وهى المحبة والسرور، وبجامع الترتب على الالتقاط فى كل منهما فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتب العدواة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الحقيقية عليه بجامع مطلق ترتب شىء على شىء، ثم استعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الحقيقة على الالتقاط، لترتب غير العلة الحقيقية عليه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

قرينة الاستعارة التبعية

ترجع قرينة الاستعارة التبعية -فى الفعل والمشتقات- غالبًا، إلى ما يأتى:

أولاً: الفاعل: وذلك بأن يكون إسناد الفعل إليه غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل: معنى يناسب الفاعل، كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١] إذ الطغيان بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من

الماء، فدل ذلك على أن المراد بالطغيان ما يصح إسناده إلى الماء، وهو: الكثرة التى جاوزت الحد.

ومنه قول الشاعر يصف البحر وهو مزدان فى فصل الربيع:

تبسم البحر من بعد العبوس فهل ... للبحر -أيضًا- مسرات وأحزان؟!

فالتبسم بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من البحر، وذلك دليل على أن المراد بالتبسم هنا: ما يصح إسناده إلى البحر، وهو ما يكون على شاطئه من زينة فى فصل الصيف.

ثانيًا: نائب الفاعل: وذلك بأن يكون إسناد الفعل غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب نائب الفاعل، كما فى قوله تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ**﴾ [البقرة: ٦١]، فالضرب -وهو نصب الشىء- من شأن الخيام، لا من شأن الذلة والمسكنة، لأنهما أمران معنويان، فدل ذلك على أن المراد بالضرب معنى يناسبها، وهو «**الحكم**» ويكون المعنى حينئذ: حكم عليهم بالذلة والمسكنة.

ثالثًا: المفعول، وذلك بأن يكون تسلط الفعل أو ما يشتق منه على المفعول غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بهما معنى يناسب المفعول، كما فى قول عبد الله بن المعتز:

جُمع الحق لنا فى إمام ... قتل البخلَ وأحيا السماحا

فالقتل والإحياء لا يقعان إلا على ذى روح، والبخل والسماح ليسا من ذوى الأرواح، وهذا دليل على أن المراد بالقتل معنى يناسب البخل، وهو: الإزالة، كما أن المراد بالإحياء معنى يناسب الجود، وهو الإكثار، فكأنه قال أزال البخل، وأكثر السماح.

فالقرينة فى الأول هى البخل، وفى الثانى هى: السماح.

وقد تكون القرينة فى المفعول الثانى، كما فى قول القطامى:

نقريهمو لهذميات نقد بها ... ما كان خلط عليهم كل زرَّاد

فقوله: «نقريهمو» استعارة تبعية، قرينتها: «لهذميات» وهو المفعول الثانى لنقرى، لأن «القرى» هو: ما يقدم للضيف من طعام، فلا يجوز إيقاعه على «اللهذميات» بمعنى: الطعنات، فدل ذلك على أن المراد بالقرى: معنى يناسب هذه الطعنات، وهو تقديمها إلى الأعداء عند اللقاء.

وقد تكون القرينة المفعولين معا، كما فى قول الحريرى:

وأقــرى المســـامع إمـــا نطـقت بيـــانًا يقـــود الحـرون الشـــموســـا

والشاهد هنا: فى قوله: «**وأقرى المسامع بيانا**»، فأقرى: استعارة تبعية فى الفعل، وقرينتها تعلق القرى بكل من: المسامع، والبيان، وذلك لأن القرى- وهو تقديم الطعام للضيف- لا يصح إيقاعه على المسامع والبيان، وذلك دليل على أن المراد بالقرى: معنى يناسبها، وهو: التقديم.

رابعًا: المجرور، وذلك بأن يكون تعلق الفعل بالمجرور غير مناسب، فيدل ذلك على أن المراد به معنى يناسب ذلك المجرور، كما ترى فى قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الانشقاق: ٢٤] وذلك لأن التبشير هو إخبار بما يسر، فلا يناسب تعلقه بالعذاب وهو: الإنذار، أى الإخبار بما يحزن، ففى قوله تعالى: ﴿**فبشرهم**﴾ استعارة تبعية، قرينتها مجرور الحرف.

الاستعارة المكنية

عرفت مما أسلفنا لك أن الاستعارة تنقسم باعتبار ذكر أحد طرفيها إلى تصريحية، ومكنية، وقد عرفت الاستعارة التصريحية، فإليك الحديث عن الاستعارة المكنية، والتى يسمونها -أيضًا- الاستعارة بالكناية، لأن اللفظ المستعار فيها محذوف، ومكنى عنه بذكر صفة من صفاته.

تعريفها: ذهب جمهور البلاغيين إلى أنها: «**لفظ المشبه به المستعار فى النفس للمشبه والذى قد حذف، ودل عليه بإثبات شىء من لوازمه وخواصه**» كما فى قول أبى ذؤيب الهذلى:

وإذا المنيـــة أنشـــبت أظفــــارها ألفَـــيتَ كل تميـــمـــة لا تنـفع

أى: إذا جاء الأجل، فلا راد لقضاء الله، ولن تُجْدِىَ التمائم والرقى فى دفعه، فقد شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس من غير تمييز بين نافع وضار، ثم استعار فى نفسه لفظ السبع للمنية بعد تناسى التشبيه وادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، ثم قدر حذفه دالاً عليه بذكر بعض خواصه.

وكقول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا　　　فلسان حالى بالشكاية أنطق

أى: إذا نطقت بلسانى مفصحًا عن شكر برك، فلسان حالى أنطق بالشكاية منك؛ لأن ضررك أكثر من نفعك!

فقد شبه حاله بإنسان متكلم فى الدلالة على المقصود، ثم استعار الإنسان للحال، ثم حذفه ودل عليه بإثبات لازمه -وهو اللسان- وأثبت للحال على سبيل الاستعارة المكنية، وكقول محمود غنيم- فى قصيدته: «**على سطح القمر**»:

مضى عهد البخار فبات يبكى　　　على أطلال دولته البخار

فقد شبه البخار بملك مخلوع، ثم استعاره للبخار، ثم حذفه ودل عليه بإثبات لازمه، وهو البكاء على أطلال دولته، وأثبت للبخار على سبيل الاستعارة المكنية ففى الأمثلة الثلاثة السابقة حذف لفظ المشبه به، وكنى بذكر لازمه، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه المذكور، وما كان كذلك فهو استعارة مكنية، فالمذكور -دائمًا- فى المكنية من الطرفين هو: المشبه، والدليل على التشبيه: هو إثبات اللازم للمشبه.

أما الخطيب القزوينى، فله رأى آخر فى تعريفها فقد ذهب إلى أنها: التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه، كما فى قول أبى ذؤيب الهذلى الذى أسلفناه لك، وتقول فى إجرائها على هذا الرأى: شبهت المنية بالسبع تشبيهًا مضمرًا فى النفس، بجامع الاغتيال فى كل، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم أثبت لازم المشبه به -وهو «**الأظفار**» للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية، وعلى هذا فإطلاق لفظ الاستعارة -على هذا الرأى- إنما هو مجرد تسمية خالية من المناسبة.

والحق هو ما ذهب إليه الجمهور، لأنها على رأى الخطيب تخرج من المجاز اللغوى، لأنه هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له، وهو على رأى الخطيب: التشبيه المضمر فى النفس، وهو فعل من أفعال المتكلم، كما أن إطلاق لفظ الاستعارة عليها خال من المناسبة -كما رأيت-.

قرينتها: قرينة المكنية هى: إثبات لازم المشبه به المحذوف، للمشبه المذكور، كإثبات الأظفار للمنية فى بيت أبى ذؤيب، فهذا الإثبات دليل على أن الكلام استعارة بالكناية، وهو عند البلاغيين يسمى: «**استعارة تخييلية**».

أما أنه «**استعارة**»: فلأن اللازم المذكور -وهو الأمر المختص بالمشبه به- استعير للمشبه، واستعمل معه.

وأما أن هذه الاستعارة «**تخييلية**»: فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه مع جنس المشبه به.

ومن هنا يتبين لك أمران:

أولهما: أن قرينة المكنية: «**استعارة تخييلية**» -دائمًا- عند الجمهور، لأنها عندهم:

إثبات لازم المشبه به للمشبه وأنهما متلازمان، فلا توجد إحداهما بدون الأخرى.

ثانيهما: أن طرفى الاستعارة التخييلية مستعملان فى معنييهما الحقيقيين، فالأظفار، والمنية فى بيت أبى ذؤيب -مثلاً- كل منهما مستعمل فى المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو فى إثبات الأظفار للمنية.

****

تمرينات على الاستعارة

١- حول كل تشبيه من التشبيهات التالية إلى استعارة تصريحية، مبينا قرينتها:

أ- قـوم إذا ركـبـوا لنجـدة صـارخ ... ركـبـوا الجـيـاد كـأنـهن روح

ب- وإن صـخـرًا لتـأتم الهـداة به ... كـأنـه علـم في رأسـه نـار

جـ- كـأن مثـار النقع فـوق رؤوسنا ... وأسـيافنا ليـل تهـاوى كـواكبـه

٢- حول الاستعارات التالية إلى تشبيه:

أ- أخذت العلم عن بحر لا ساحل له.

ب- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

جـ- ما أروع النجم منثورًا على الأغصان.

د- بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي ... عقيقًا فصار الكل في نحرها عقدا

هـ- أتتـه الخـلافـة منقـادة ... إليـه تجـرر أذيـالهـا

و- ما أجمل الخدود تختال على سيقانها.

٣- أجر الاستعارة في كل مما يأتي:

أ- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

ب- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

جـ- وقال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

د- يؤدون التحية من بعيد ... إلى قمر من الإيوان باد

٤- استعير «الرداء» فيما يأتي مرتين، فلأي شيء استعير في كل مرة منهما؟ وكيف تجرى الاستعارة فيهما؟

قال كثير عزة:

غـمـر الرداء إذا تبـسـم ضـاحكًا   غلـقت لضـحكتـه رقـاب المال

وقال الشاعر القديم:

ينـازعنى ردائى عـبـد عـمـرو   رويدك يـا أخـا عـمـرو بن بـكر

لـى الـشطـر الـذى مـلـكـت يمـينـى   ودونك فـاعـتـجـر منه بـشطر

****

الإجابة على تمرينات الاستعارة

١- تحويل التشبيه إلى استعارة تصريحية مع بيان القرينة.

(أ) التشبيه: ركبوا الجياد كأنهن روح.

تحويل التشبيه إلى استعارة مثل: ركبت الروح الجياد، والقرينة فى إسناد الركوب إلى الروح لأن الروح لا تركب الجياد، وإنما صاحب الروح وهو الإنسان هو الذى يركب الجياد واستعيرت الروح للدلالة على السرعة وهو ما يتناسب مع الروح.

(ب) التشبيه: كأنه علم فى رأسه نار.

تحويل التشبيه إلى استعارة مثل: تأتم الهداة بعلم فى رأسه نار.

والقرينة فى استحالة الهداية من الجبل «علم» وهو جماد، وإنما المراد هو الظهور لكل الناس كالجبل، والاهتداء بصخر لعظمته ورفعة قدره.

(جـ) التشبيه: كأن مثار النقع ليل تهاوى كواكبه.

تحويل التشبيه إلى استعارة مثل: خيم على رؤوسنا ليل أثناء المعركة، والقرينة استحالة تخييم الليل فوق الرؤوس أثناء المعركة، وإنما غبارها هو ما يكوّن شبه الخيمة فوق الرؤوس أثناء القتال.

٢- تحويل الاستعارات إلى تشبيه على النحو التالى:

(أ) اغترفنا من علمه الواسع كالبحر الذى لا ساحل له.

(ب) كتاب أنزل على محمد -ﷺ- ليخرج الناس من الجهل كالظلام إلى الهداية كالنور.

(جـ) الثمار كالنجوم على الأغصان.

(د) بكت دموعًا كاللؤلؤ، فصارت الدموع المنثورة كالعقد على النحور.

(هـ) انتهت الخلافة إليه كانبثاق الفجر والنور تجتمع إليه أمورها كانتشار ضوء الشمس.

(و) الخدود الجميلة كالورد تختال على سيقانها.

٣- إجراء الاستعارة فى الأمثلة الآتية:

(أ) إنا لما طغى الماء: شبه الزيادة بالطغيان بجامع التجاوز فى كل، ثم تنوسى التشبيه، وحذف المشبه، واستعار له المشبه به وهو الطغيان، ثم اشتق منه فعله وهو **«طغى»** على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية؛ لأن الفعل طغى تابع للمصدر وهو الطغيان.

(ب) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة. شبه استحقاق المؤمنين لطاعتهم لله عز وجل للجنة باستحقاق المشترى لسلعته بعد دفع ثمنها، ثم تنوسى التشبيه فحذف المشبه واستعار له المشبه به وهو الشراء والبيع، ثم اشتق من الشراء فعله وهو **«اشترى»** على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لأنه صرح بالمشبه به.

(جـ) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى. شبه استبدال الكفر بالإيمان باستبدال السلعة بثمنها على سبيل البيع والشراء، ثم تنوسى التشبيه، وحذف المشبه، واستعار له المشبه به، وهو الشراء والبيع، ثم اشتق من الشراء فعله **«اشترى»** على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(د) يؤدون التحية إلى قمر، شبه طلعة الإنسان البهية بالقمر، بجامع النور والإشراق فى كل، ثم تنوسى التشبيه، وحذف المشبه، واستعار له المشبه به وهو **«قمر»**، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وسميت تصريحية لأنه قد صرح بالمشبه به، وسميت أصلية لأنها وقعت فى أصل المشتقات وهو الاسم والمصدر.

٤- فى قول كثير عزة:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكًا   غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الشاعر الرداء الذى يغطى الجسد كله لسيطرة الضحك على الجميع بحيث لم يتخلف واحد منهم لشدة إعجاب الجميع.

وإجراء الاستعارة هنا: شبه شيوع الضحك وسيطرته على الجميع باشتمال الرداء على جميع البدن بجامع الشمول فى كل، ثم تنوسى التشبيه؛ فحذف المشبه، واستعير له المشبه به، وهو «الرداء» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وفى قول الشاعر القديم:

ينازعنى ردائى عبد عمرو   رويدك يا أخا عمرو بن بكر

المراد بالرداء هنا الحكم والسيطرة.

وإجراء الاستعارة هنا: شبه انتزاع الحكم والسلطة من الغير بانتزاع الرداء اللاصق بالجسد الملازم له بجامع الإحاطة فى كل، ثم تنوسى التشبيه، فحذف المشبه، وهو انتزاع الحكم، واستعير له المشبه به، وهو «الرداء» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

****

الكنايـة

عرفهـا المتأخرون من البلاغـيين بأنها: «**لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحـقيقى لقرينة لا تمنع من إرادة هذا المعنى المراد**».

وهى عندهم واسطة بين الحقيقة والمجاز، فهى ليست حقيقة؛ لأن اللفظ لم يُرَدْ به معناه الحقيقى، بل أريد به لازم هذا المعنى، وليست مجازًا؛ لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى.

ومثالها قول الشاعر:

طويل نجــاد الســيف شــهم كــأنما ... يصـول إذا اســتـخـدمـتـه بقــبـيل

فقوله: «**طويل نجاد السيف**» معناه الحقيقى: أن الممدوح نجاده طويلة، ولكن هذا المعنى ليس مرادًا، وإنما المراد: لازم هذا المعنى، وهو أنه طويل القامة، وذلك لأنه يلزم من طول الـنجـاد أن تكون القـامــة طويلة، ومع هذا يصـح أن يُراد المعنى الحقيقى، بأن يُراد المعنيان معا: طول النجاد، وطول القامة.

وهنا يجدر بنا أن ننبهك إلى أمرين:

أولهما: أنه لا يلزم فى الكناية أن يكون المعنى الحقيقى لفظًا متحققًا فى الواقع، إذ يصح أن تقول: «**مـحمـد طويل النجـاد**» كناية عن طوله، وإن لم يكن له نجـاد أصلاً.

وثانيهـما: أن الفرق بين المجاز والكناية: وجـوب وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للفظ فى المجاز، بخلاف الـكناية، فإن القرينة فيها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى للفظ.

أقسامها

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام هى:

القسم الأول: كناية عن صفة، وهى: ما صرح فيها بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولم يصرح فـيها بالـصفة المطلوب نسـبتهـا وإثباتها، ولكـن ذكر مكانها صـفة

تستلزمها -كما في المثال السابق- وكما في قولهم: «**فلانة نؤوم الضحى**» كناية عن أنها مترفة مخدومة فقد صرح فيها بالموصوف: (**فلانة**) كما صرح بالنسبة، وهي: إسناد النوم في الضحى إليها، ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، وهي: (**الترف والنعمة**) ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها، وهي: (**النوم إلى الضحى**).

وهي نوعان: قريبة، وبعيدة:

فأما القريبة فهي: ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بلا واسطة بين المنقول عنه والمنقول إليه، كما في قولك: (**فلان طويل النجاد**) فالمطلوب بقولك: «**طويل النجاد**» صفة هي: «**طول القامة**»، وليس بين طول النجاد، وطول القامة واسطة، وإنما ينتقل الذهن من طول النجاد إلى طول القامة مباشرة.

والقريبة نوعان، واضحة وخفية:

فالواضحة: ما يفهم منها المقصود لأول وهلة، لوضوح اللزوم بين المكنى به، والمكنى عنه، كما سبق في قولك: (**فلان طويل النجاد**).

ومنه قول الشاعر:

أبت الروادف والثُّديّ لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

فقد كنى عن كبر عجيزة المرأة، ونهود ثدييها بارتفاع قمصها عن أن تمس منها بطنها، أو ظهرها، وهي واضحة -كما ترى-.

والخفية: ما لا يفهم منها المقصود إلا مع شيء من التأمل والتفكير لخفاء اللزوم بين المكنى عنه والمكنى به، كما في قولهم: (**فلان عريض القفا**) كناية عن غبائه، فإن عرض القفا مما يدل على البلاهة والبلادة إلا أن فهم ذلك يتوقف على إعمال فكر وروية، لخفاء اللزوم بين المعنيين، لأنه لا يدركه كل أحد.

وأما البعيدة: فهي: ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلي إلى المعنى المراد بواسطة، كما في قول الشاعر:

وما يك فيَّ من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

فقد كنى عن جوده؛ وكثرة قراه للأضياف بجبن الكلب، وهزال الفصيل، إذ الذهن ينتقل من جبن الكلب إلى تأديبه، ومنه إلى استمرار ما يوجب نباحه وهو: مشاهدته وجوها إثر وجوه، ثم ينتقل من هذا إلى كون صاحبه مقصد الدانى والقاصى؛ ومن هذا إلى أنه يقرى الأضياف ومن قرى الأضياف إلى صفة الجود، وكذلك ينتقل الذهن من هزال الفصيل إلى فقد أمه بنحرها، ومنه إلى قوة الداعى إلى نحرها، ومنه ينتقل الذهن إلى إعدادها للطبخ، ومنه إلى أنه «**مضياف كريم**».

والقسم الثانى: كناية عن موصوف، وهى ما صرح فيها وبالصفة وبالنسبة، ولم يصرح فيها بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن ذكر مكانه صفة، أو أوصاف تختص به، كما فى قولك: (**فلان صفا لى مجمع لبه**) كناية عن (**قلبه**)، فقد صرح فيها بالصفة، وهى (**مجمع اللب**) كما صرح فيها بالنسبة، وهى: «**إسناد الصفة إليها**» ولم يصرح فيها بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو: (**القلب**) ولكن ذكر مكانه وصف خاص به، وهو: كونه مجمع اللب.

وهى نوعان:

أولهما: ما تكون الكناية فيه معنى واحدًا، كما فى المثال السابق، وكما فى قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخذم　　　والطاعنين مجامع الأضغان

فقد كنى بمجامع الأضغان -وهو معنى واحد- عن القلوب.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى، يذكر وقيعة سيف الدولة ببنى كلاب:

فَمَسَّاهُم وبسطهم حرير　　　وصبحهم وبسطهم تراب

ومن فى كفه منهم قناة　　　كمن فى كفه منهم خضاب

فقد كنى (**بمن فى كفه قناة**) عن الرجل، وكنى (**بمن فى كفه خضاب**) عن المرأة.

وثانيهما: ما تكون الكناية فيه مجموع معان مختلفة يضم بعضها إلى بعض لتكون جملتها مختصة بالموصوف، كما يقال فى الإنسان: حى، مستوى القامة عريض الأظفار، فالكناية مجموع هذه المعانى، من الحياة، واستواء القامة

وعـرض الأظفار، لا كل واحـد منها، وهذه المعـانى مجـتمـعة وصف خـاص بالإنسان.

وكما فى قوله تعالى -كناية عن المرأة-: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، فقد كنّى عن المرأة بمن يتربى فى الزينة والحلى، وإذا خاصم فإنه لا يستطيع الإبانة عن مراده حياء وخجلاً، وهذه المعانى خاصة بالمرأة.

والقسم الثالث: كناية عن نسبة، وهى ما صرح فيها بالموصوف، وبالصفة، ولم يصرح فيها بالنسـبة بينهما، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى تسـتلزمها سواء أكانت النسبة إثباتًا أو نفيًا.

فمثالها فى الإيجاب قولهم: «**المجد بين برديه**»، كناية عن إثبات المجد للممدوح فقد صـرح فى هذه الكناية بالموصوف، وهو ضميـر الممدوح، كما صـرح بالصفة وهى: «المجد»، ولكن لم يصرح فـيها بنسـبة المجد إليـه، وإنما ذكر مكانها نسـبة المجد إلى برديه إثباتًا وهى تستلزم نسبة المجد إليه.

ومنه قول الشاعر:

إن السـمـاحـة والمروءة والندى ... فى قبـة ضـربت على ابن الحشـرج

فقد كنى الشـاعر عن إثبات هذه الصفات الثلاث: السـماحة، والمروءة والندى للممدوح بإثباتها لقبـة ضربت عليه، لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه، فقد أثبت له، لاستحالة قيام الأمر بنفسه ووجوب قيامه بمحل صالح له، ومنه قول الشاعر:

بنى المجد بيتًـا فاسـتقـر عـماده ... علينـا فـأعـيـا الـناس أن يتـحـولا

فقد كنى الشاعر عن نسبة المجد إليهم، بنسبته إلى بيت يضمهم.

ومثالها فى النفى: قول الشنفرى، يصف امرأة بالعفة والنزاهة:

يبـيـت بمنـجـاة من اللوم بيـتـهـا ... إذا مـا بيـوت بـالملامـة حُلَّت

فقد صرح بالموصوف وهو: الضمير فى «**بيتها**» وصرح بالصفة، وهى: اللوم المنفى فى قوله: «**بمنجاة من اللوم**» ولكن لم يصرح بنسبة نفى اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى، وهى: «**نفى اللوم عن بيت يحتويها**» وهو يستلزم نفى اللوم عنها.

تمرينات على الكناية

١- حدد كل كناية مما يأتى، مبينًا نوعها:

(أ) قال أمير الشعراء أحمد شوقى:

إن الذى مـلأ اللـغـات محـاسنًا   جـعل الجمـال وسره فى الضـاد

(ب) وقال أبو الطيب المتنبى:

فـمـسّاهـم وبسطهم حـرير   وصبـحـهـم وبسطهم تراب

ومـن فى كـفـه منهـم قناة   كـمن فى كـفـه منهم خـضـاب

(جـ) وقال الحطيئة فى الهجاء:

دع المكارم لا ترحل لبـغـيتـهـا   واقـعـد فـإنك أنت الطـاعم الكاسى

(د) قال دريد بن الصمة فى رثاء أخيه عبد الله:

فـإن يك عـبـد الله خلَّى مكـانه   فـمـا كـان وقـافًا ولا طائش اليـد

(هـ) وقال ابن نباتة:

ألم أك فـى يمنى يـديك جـعلتنى   فـلا تجـعلنى بعـدها فى شمـالكا

(و) قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

٢- بين المراد فى كل كناية من الكنايات الآتية:

(أ) قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣].

(ب) قال حافظ إبراهيم:

صـفحـة البرق أومـضت فى الغمـام   أم شـهـاب يشق جـوف الظلام

أم سـليلُ النـجـار طـار إلى الـ   ـقـصـد فـأعـيـا سـوابق الأوهام؟!

(جـ) بنى المجد بيتًا فـاستـقر عـماده   علينـا فـأعـيـا الـناس أن يتـحـولا

(د) فأتبعتهـا أخرى فأضللت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقـد

(هـ) أصبح فى قيدك السماحة والمجد، وفضل الصلاح، والحسب.

(و) وصف أعرابى رجلاً فقال: «**كان إذا رآنى قرب من حاجب حاجبًا**».

(ز) فلان مأمون الغيب، مبسوط اليد، كثير الإخوان.

(ح) قال زهير يمدح هرم بن سنان:

قد جعل المبتغون الخير فى هرم   **والسائلون إلى أبوابه طرقا**

(ط) **بعيدة مهوى القرط إما لنوفل**   **أبوها، وإما عبد شمس وهاشم**

(ى) قال رسول الله ﷺ لأنجشة، وكان حادى الإبل: «**يا أنجشة رفقًا بالقوارير**».

(ك) **وإن ذكر المجد ألفيته**   **تأزر بالمجد ثم ارتدى**

(ل) **أو ما رأيت المجد ألقى رحله**   **فى آل طلحة ثم لم يتحول؟!**

****

الإجابة على تمرينات الكناية

١ - تحديد الكناية على النحو التالى:

(أ) فى قول أحمد شوقى:

إن الذى مـلأ اللـغـات محـاسنا ... جـعل الجـمـال وسـره فى الضـاد

الكناية فى «**جعل الجمال وسره فى الضاد**» فهى كناية عن بلاغة اللغة العربية ونوعها: كناية عن صفة.

(ب) الكناية فى قول المتنبى: «بمن فى كفه قناة» عن الرجل».

وكذلك فى قوله: «**بمن فى كفه خضاب**» كناية عن المرأة وكلاهما كناية عن موصوف فى معنى واحد، وليس فى معنى متعدد.

(جـ) وفى بيت الحطيئة:

دع المكارم لا تـرحل لبـغـيتـهـا ... واقـعـد فـإنك أنت الطـاعم الكاسى

كناية عن الرجل البخيل الذليل.

نوعها: كناية عن موصوف.

(د) وفى بيت دريد بن الصمة:

فـإن يك عـبـد الله خلى مكـانه ... فـمـا كـان وقـافًا ولا طائش اليـد

كناية عن الشجاعة والإقدام.

نوعها: كناية عن صفة.

(هـ) وفى بيت ابن نباتة:

ألم أك فـى يمنى يـديك جـعلتنى ... فـلا تجـعلنى بعـدها فى شـمـالكا

كناية عن القرب والمحبة.

نوعها: كناية عن صفة.

(و) **الكناية فى قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾.**

عن الكبر والتعالى.

نوعها: كناية عن صفة.

والكناية فى قوله تعالى: **﴿ولا تمش فى الأرض مرحًا﴾** عن الزهو والاختيال والإعجاب بالنفس.

نوعها: كناية عن صفة.

٢- المراد من هذه الكنايات:

(أ) فى قوله تعالى: **﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾**.

كناية عن السفينة، والمراد بها سفينة نوح عليه السلام.

(ب) المراد من الكناية فى البيت الأول لحافظ إبراهيم: الشهرة والقوة والذيوع.

والمراد من الكناية فى البيت الثانى له أيضًا: التفوق فى نفاسة الأصل والنسب.

(جـ) والمراد من الكناية فى قوله: «**بنى المجد بيتًا**»:

دوام العز والشرف واستقرارهما.

(د) والمراد من الكناية فى قوله: «**فأتبعتها أخرى...**» حسن الإصابة فى جوهر الهدف.

(هـ) والمراد من الكناية فى «**أصبح فى قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب**» علو منزلة الممدوح فلا يدانيه أحد.

(و) المراد من الكناية فى وصف الأعرابى هو قرب المنزلة من النفس.

(ز) المراد من الكناية فى «**مأمون الغيب**» الأمانة وحفظ الأسرار، والمراد من الكناية فى «**مبسوط اليد**» الكرم والجود، والمراد من الكناية فى: «**كثير الإخوان**» حسن الخلق.

(ح) والمراد من الكناية فى قول زهير: «**قد جعل المبتغون الخير..**» الكرم والجود وتدافع العفاة عليه.

(ط) والمراد من الكناية فى قول الشاعر: «**بعيدة مهوى القرط..**» هو شرف النسب والجاه والأصل.

(ى) والكناية فى قول الرسول ﷺ لأنجشة: «**رفقًا بالقوارير**»:

حسن المعاملة والرفق بالضعاف.

(ك) والكناية فى قول الشاعر: «**وإن ذكر المجد..**»:

دوام العز والشرف وثباته واستقراره.

(ل) والكناية فى قول الشاعر: «**أو ما رأيت المجد..**».

دوام المجد والشرف وثباته وأصالته.

****

مزيد من التدريبات والامتحانات

امتحان النقل من الصف الأول الثانوى لسنة ١٤١٥ هـ (٩٤/ ١٩٩٥م) الدراسية

الدور الأول **البلاغة (علمى)** **الزمن: ساعتان**

أ- تحدث عن شيخ البلاغة الإمام (عبد القاهر) واشرح منهجه فى كتابه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

ب- أكمل الفراغ بالإجابة الصحيحة فيما يأتى:

١- علوم البلاغة ثلاثة هى: (...... و........ و........).

٢- من أشهر رجال البلاغة: عبد القاهر و........ و...... و.......).

(١٠ - ٤٠)

٢- أ- عرف كلاً من (المشبه) و(المشبه به) و(وجه الشبه) ثم اذكر مثالاً ووضح فيه هذه الأمور الثلاثة.

ب- بين الغرض من التشبيه فى المثالين الآتيين:

١- قال الشاعر:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

٢- قال الشاعر:

وصبغ شقائق النعمان يحكى ... يواقيتا نظمن على اقتران

(١٠ - ٤٠)

٣- أ- عرف المجاز اللغوى، واذكر أقسامه، ثم ذكر على أى اعتبار كانت هذه الأقسام؟ مثل لكل قسم بمثال.

ب- اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين لكل عبارة مما يأتى:

١- أنت نجم فى رفعة وضياء. فى هذا المثال:

(كناية- مجاز مرسل- تشبيه- استعارة).

٢- عمت أياديك الورى. فى هذا المثال:

(استعارة- كناية- مجاز مرسل- تشبيه).

٣- لا ينزل المجد إلا فى منازلنا، فى هذا المثال:

(تشبيه- مجاز مرسل- استعارة- كناية).

٤- **«اهدنا الصراط المستقيم»**. فى هذا المثال:

(استعارة- تشبيه- مجاز مرسل- كناية).

(١٠ - ٤٠)

٤- أ- بين نوع الكناية فيما يأتى:

١- قال الشاعر:

ولما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفى

٢- المجد بين برديه، والكرم ملء ردائه.

٣- فلان يفترش الثرى ويتوسد الجنادل.

ب- مثل لكل من:

١- الاستعارة التصريحية التبعية.

٢- الاستعارة المكنية.

(١٠ - ٤٠)

****

أسئلة مجاب عليها

س- أ- تحدث عن شيخ البلاغة الإمام «عبد القاهر» واشرح منهجه في كتابيه **(دلائل الإعجاز)** و**(أسرار البلاغة)**.

جـ١- أ- والإجابة على النحو التالي:

أولاً: نسبه وموطنه: هو الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ينتمي إلى أسرة فارسية تعربت في جرجان الذي ولد فيها وتعلم وعلم. فكان ولوعًا بالعلم محبًا للثقافة عاشقًا للعلوم العربية والإسلامية وخاصة النحو والأدب والبلاغة والتفسير حتى اشتهر بالإمام، وتوفي عام (٤٧١ هـ) في جرجان.

ثانيًا: أساتذته وتلامذته: تلقى العلم على مشاهير عصره من العلماء والأدباء والنقاد، منهم أبو الحسين محمد بن الحسن الفارسي النحوي الذي أخذ النحو عن خاله أبي على الفارسي صاحب كتاب الإيضاح في النحو، والقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب النقد **«الوساطة بين المتنبي وخصومه»** كما تتلمذ على كتب سيبويه والجاحظ والفارسي وابن قتيبة وقدامة والآمدي وأبي هلال العسكري والمرزباني والزجاج وغيرهم. ومن تلامذته: على بن زيد الفصيحي ومَنْ جاء بعده من علماء البلاغة والنقد.

ثالثًا: منزلته العلمية: كان يلقب بالإمام في النحو والبلاغة، صاحب نظرية النظم، ونظرية العلاقات في النحو والبلاغة والبيان، ترك آثارًا كثيرة في النحو والبلاغة والصرف، أعظمها أثرًا وشهرة كتابا **«أسرار البلاغة»** و**«دلائل الإعجاز»** في القديم والحديث.

منهجه في كتابيه:

قبل الإمام عبد القاهر كانت دراسة صور علم البيان وعلم البديع حافلة ومتنوعة عند السابقين، لكن الدراسة في علم المعاني كانت قبله نظرات متفرقة لكن هذه العلوم الثلاثة كانت في حاجة إلى من يعمقها ويطبقها ويجمعها في نظرية منتظمة

واضحة المعـالم محددة المسائل متنـوعة الأمثلة والشواهد بالتحليل والـتطبيق والنقد والموازنة فقـد هيأ الله تعالى لهـا الإمام عبـد القاهر ليسلك هذه الـعلوم الثلاثة فى **«نظرية النظم»** أو **«نظرية العـلاقات»** فى علوم النحو والـبيان والبـديع والمعانى، مع القيـام بتطبـيق هذه النظرية فى مســائل هذه العلوم وقضـاياها البلاغـية والنحـوية والتعرف على أسرار الإعجاز القرآنى انطلاقًا من نظرية النظم والعلاقات.

جـ- ب- أكمل الفراغ بالإجابة الصحيحة فيما يأتى:

١- علوم البلاغة ثلاثة هى: **«علم المعانى، وعلم البيان، وعلم البديع»**.

٢- من أشهر رجـال البلاغة: عبـد القاهر و(**أبو هلال العسكرى، وأبو يعـقوب السكاكى، والخطيب القزوينى**).

س٢- أ- عرف كـلاً من (**المشـبه**) و(**المشبـه به**) و(**وجـه الشبـه**) ثم اذكر مـثالاً ووضح فيه هذه الثلاثة.

جـ- أ- المشبه: هو الطرف الأول لبيـان حاله أو إمكانه، المشبه به: هو الطرف الثانى، يحـمل الصفة المبالغ فـيها أو الواضـحة، وجه الشبـه: هو الطرف الثالث الذى يجمع صـفة تنطبق على طرفى التشبـيه الأول والثانى. مثل خـالد كالأسد، فالطرف الأول **«خالد»** مشبه، والطرف الثانى **«الأسد»** مشبه به، والطرف الثالث: مقدر وهو الشجاعة **«وجه الشبه»**.

س- ٢- ب- بين الغرض من التشبيه فى المثالين الآتيين:

جـ- ب- ١- الغرض من التـشبيـه فى البيت الأول هو إمكان وجود المشـبه، فالممدوح قد فاق الأنام حتى صار وحيـدًا فى صفته، فحاله أشبه بالمسك وهو من دم الغزال وهو فى ذاته عزيز المنال مع إمكانه.

٢- الغرض من التشبيه فى البيت الثـانى هو بيان حال المشبه، وهى حال حبات الورد وأوراقه مثل حال اليواقيت المنظومة فى عقود منتظمة.

س- ٣- أ- عرف المجاز اللغوى، واذكر أقسامه. ثم اذكر على أى اعتبار كانت هذه الأقسام؟ مثل لكل قسم بمثال.

جـ- أ- تعريف المجاز اللغوى هو: «**الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح الخطاب على وجه يصح به مع قرينة مانعة له من إرادته**».

وأقسامه وأمثلتها: مفرد وهو ما سبق تعريفه، ومركب.

والمفرد أقسام: مجاز لغوى مثل لفظ «**أسد**» إذا استعمل فى الرجل الشجاع.

٢- مجاز شرعى: مثل لفظ «**الصلاة**» فى مصطلح الشريعة الإسلامية.

٣- مجاز عرفى: مثل لفظ «**فعل**» فى مصطلح النحاة.

جـ- ب- اختر الإجابة الصحيحة:

١- أنت نجم- تشبيه.

٢- عمت أياديك- مجاز مرسل.

٣- لا ينزل المجد إلا فى منازلنا: كناية.

٤- اهدنا الصراط المستقيم: استعارة.

س- ٤- أ- بين نوع الكناية فيما يأتى:

جـ١- ١- فى قول الشاعر كناية عن موصوف وهو الخمر.

جـ- ٢- المجد بين برديه: كناية عن صفة وهى العز.

والكرم ملء ردائه: كناية عن صفة وهى الكرم.

جـ- ٣- وفلان يفترش الثرى ويتوسد الجنادل: كناية عن نسبة الافتراش للثرى وتوسد الجنادل.

ب- مثل لما يأتى:

جـ١- الاستعارة التصريحية التبعية مثل: «**إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية**».

جـ٢- الاستعارة المكنية: وإذا المنية أنشبت أظفارها.

وبعد: «**الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله**».

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

أسئلة مجاب عليها

س١- من صاحب (**دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة**)؟ تحدث عنه بإيجاز. وما مميزات هذين الكتابين؟

(١٢ - ٤٠)

س٢- قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

وقال الشاعر:

والنهـر يشـبـه مـبـردًا ... مـن أجل ذا يـجلـو الصـدى

وتقول: صديقى مشابه البحر.

ما أداة التشبيه فى الأمثلة السابقة؟ وما نوعها؟ وما الذى وليها من الطرفين؟

وهل من التشبيه قوله تعالى: ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾؟ ولماذا؟ (١٢- ٤٠)

س٣- أ) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين لما تحته خط فيما يأتى:

قال الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾ [التوبة: ٦١].

(استعارة مكنية- مجاز مرسل- كناية).

«**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**».

(مجاز مرسل- استعارة تصريحية- استعارة مكنية).

«**وحملناه على ذات ألواح ودسر**» **(استعارة- كناية- مجاز مرسل).**

ويقول الحجاج بن يوسف: «**إنى لأرى رءوسًا قد أينعت وحان قطافها**».

(كناية- استعارة تصريحية- استعارة مكنية).

ب) يقول شوقى فى مدح الرسول:

لى فى مديحك يا رسول عرائس ... تيـمن فـيك وشـاقـهن جـلاء

عين الاستعارة فى البيت السابق وبين نوعها باعتبار الملائم وباعتبار اللفظ المستعار.

(١٦ - ٤٠)

جـ١- صاحب كتابى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى الذى شهد علماء البلاغة بعلمه وإمامته وكانت العلماء تتجه إليه من مشارق الأرض ومغاربها ليغترفوا من علمه الغزير.

ومن مميزات هذين الكتابين المعانى والبيان وجزالة الأسلوب فى إطناب ممتع ووضوح العبارات فى سلاسة وعرض يأخذ بالأسماع والألباب.

جـ٢- أداة التشبيه فى حديث رسول الله ﷺ: الكاف ونوعها حرف وقد وليها المشبه به.

وفى قول الشاعر أداة التشبيه: يشبه، ونوعها: اسم، وقد وليها المشبه وهو وصف الضمير العائد على صديقى.

وليس من التشبيه قول الله تعالى: ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾ لأن الكاف جاءت للتعليل.

جـ٣- أ) فى قول الله تعالى: (**هو أذن**) مجاز مرسل.

فى قول الله تعالى: ﴿**لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**﴾ استعارة تصريحية.

فى قول الله تعالى: ﴿**ذات ألواح ودسر**﴾ كناية.

وفى قول الحجاج بن يوسف الثقفى (**إنى لأرى رءوسًا قد أينعت**) استعارة مكنية.

ب) الاستعارة فى بيت شوقى (**عرائس**) والمقصود بها قصائده ونوعها باعتبار الملائم ترشيحية- وباعتبار اللفظ المستعار استعارة تصريحية.

****

أسئلة مجاب عليها

س١- من صاحب (**دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة**)؟ تحدث عنه بإيجاز. وما مميزات هذين الكتابين؟ (١٢- ٤٠)

س٢- أ) قال الشاعر:

كـــأنما الماء فى صـــفـــاء وقـــد جـــرى ذائب اللـــجين

عرف التشبيه ثم بين أركانه فى ضوء البيت السابق.

ب) اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين لما تحته خط فيما يأتى:

قال الله تعالى: ﴿**ولما سكت عن موسى الغضب** أخذ الألواح﴾.

(**استعارة مكنية- مجاز مرسل- استعارة تصريحية**).

وقال ﷺ: «**مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيبًا ولا تطعم إلا طيبًا**».

الغرض من التشبيه (**بيان إمكان المشبه- بيان حال المشبه- بيان تزيين المشبه**).

قال الشاعر:

الضـاربين بكل أبيض مـخـذم والطاعنين **مـجـامـع الأضـغـان**

(**استعارة تصريحية- كناية- مجاز مرسل**).

ويقال: «**التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر**».

المشبه: (**مفرد- مركب- مفرد مقيد**). (١٤- ٤٠)

س٣- قال تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾.

قال المتنبى:

ولما قـلت الإبـل امـــتـطـينا إلى ابن أبى سـليـمـــان الخطوبا

وقال شوقى:

شيـعوا الشمس ومالوا بضـحاها وانحنى الشـرق عليـهـا فـبكاها

عرف الاستعارة، ثم بين نوعها باعتبار اللفظ المستعار فى الأمثلة السابقة. (١٤- ٤٠)

إجابة مادة البلاغة للصف الأول الثانوى ٩٨/ ٩٩

الدور الثانى (علمى)

جـ١- صاحب كتابى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى الذى شهد علماء البلاغة بعلمه وإمامته وكانت العلماء تتجه إليه من مشارق الأرض ومغاربها ليغترفوا من علمه الغزير وثقافته العالية.

ومن مميزات هذين الكتابين المعانى والبيان وجزالة الأسلوب فى إطناب ممتع ووضوح العبارات فى سلاسة وعرض جيد يأخذ بالألباب والأسماع.

جـ٢- أ) التشبيه هو إلحاق أمر بأمر فى معنى بأداة، ففى البيت المذكور يتضح أن الماء مشبه، وقد ألحق بذائب اللجين وهو المشبه به، ووجه الإلحاق **(الشبه)** هو الصفاء، والأداة المستعملة **(كأن)**.

ب) **(ولما سكت عن موسى الغضب)** **(استعارة مكنية)** و**«مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيبًا»**: الغرض من التشبيه بيان حال المشبه. الضارين مجامع الأضغان: **(كناية)**.

التعليم فى الصغر **(المشبه مفرد مقيد)**.

جـ٣- الاستعارة: استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين ما وضع له وما استعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى.

فى البيت الأول: امتطينا الخطوبا **(استعارة مكنية)**.

فى بيت شوقى: شيعوا الشمس **(استعارة تصريحية)**.

وفى قول الله تعالى: **(بريح صرصر عاتية)** **(استعارة تبعية)**.

الفصاحة والبلاغة

الفـصاحة فـي اللغة: هي الظهـور والبيـان، ومنها: أفـصح اللبن، إذا انجلت رغوته، وفصح فهو فصيح، قال الشاعر:

وتحتَ الرغوة اللبن الفصيح

ويقال: أفصح الصبح، إذا بدا ضوؤه، وأفصح كل شيء إذا وضح.

والفصاحة: يوصف بها: الكلمة، والكلام، والمتكلم، فـيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، وشاعر فصيح.

والبـلاغة فـي اللغة: تنـبئ عن الوصول والانـتهـاء، ويوصف بهـا: الكلام، والمتكلم فقط، فيقـال: كلام بليغ، ورجل بليغ، ولم يسمع: «**كلمة بليغة**» إلا إذا قصد بها خطبة، أو قصيدة.

فأما فصاحة الكلمة: فهي أن تكون حروفها سهلة النطق، متجاورة تجاورًا هادئًا تتلاقى فـيه وتتجاوب أنغامـها، وأن تكون مألوفـة الاستعمال، قـد تناولها الأدباء والشـعراء في مـحافـل الشعـر والأدب، وأن تكون جاريـة على قوانين تصـريف الكلمات.

وهذا هو المقصود بقولهم: «**فصـاحة المفرد: خلوصـه من تنافر الحـروف والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي**».

١- **فأما التنافر**: فهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، فإذا تنافرت حروف الكلمة كان ذلك عيبًا مخلاً بفصاحتها.

وقد قالوا: إن الثقل ينشأ إما من تباعد الحروف جدا، أو من تقاربها جدا.

كما قالوا -أيضًا-: إن الثقل إما أن يكون متناهيًا؛ وإما أن يكون دون ذلك.

ومثلوا للأول بكلمة (**الهعخع**) من قول أعرابي ضَلَّ عن ناقته: «**تركتها ترعى الهعخع**».

ومثلوا للثانى بكلمة **(مستشزرات)** من قول امرئ القيس:

تصـد وتبـدى عن أسـيل وتتـقى	**بنـاظرة مـن وحش وجـرة مطـفل**
وجيـد كجيـد الرئم ليس بفـاحش	**إذا هى نـصـتـه وليس بمعطل**
وفـرع يزين المتن أسـود فـاحم	**أثيث كـقنو النخلة المتعـثكل**
غـدائره مـستـشـزرات إلى العلا	**تضل المدارى فى مـثنى ومـرسل**

أى: إن غدائر شعرها -أى ذوائبه- مستشزرات، يعنى مرتفـعات، وإن أمشاط شعرها تغيب بين الشعر المفتول والشعر المسترسل.

والحق أن وصف الكلمة بالثقل ليس راجعًا إلى بعد مخارج حروفها، أو قربها، بل إن ذلك يرجع إلى الذوق السليـم، لأننا نجد من القـريب المخرج مـا هو غيـر متنافر كما فى (الجيش) و(الشجى) وكما فى القرآن الكريم: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ**﴾ [يس: ٦٠]، كما أننا نجـد من البعيد المخرج مـا هو غير متنافر -أيضـًا- كما فى (بعد) وكما فى (علم) و(أو) و(ألم)، فكل ذلك حسن لا تنافر فيه.

٢- **وأما الغرابة: فهى أن تكون الكلمـة وحشية غير ظـاهرة المعنى ولا مأنوسة** الاستعمال.

والغريب الذين ينفرون منه، ويخل بفصاحـة الكلمة، ويحذرون من الوقوع فيه هو: ما يحتـاج فى معرفته إلى أن ينقـر ويبحث عنه فى كتب اللغة المبـسوطة مثل كلمة: **(الطرموق)** بدل الطين، **(والاستـمصـال)** بدل **(الإسـهـال)** والاطرغـشاش **(والإبرغشاش)** بدل الشفاء.

أما غريب القرآن وغريب الحديث، فـقد كان دوارًا عند العرب الخلص ولكن تقادم العهـد به، وذلك مثل كـلمة «**ضيـزى**» فى قوله تـعالى: ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ**﴾ [النجم: ٢٢] ، وكما فى أحاديث النبى -ﷺ- التى كان يخاطب بها الأقوام البادين، لأن هذه الألفاظ لم تكن وحشية نافرة لديهم، بل كانت دوارة على ألسنتهم.

وعلى أية حال: فـإنهم يحبـذون من الكلمات «**مـا ارتفع عن الساقط السـوقى، وانحط عن البدوى الوحشى**».

ولهـذا عدل فى التنزيـل إلى قوله تعـالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨] لسخافة لفظ «الطوب» وما رادفه.

ولاستثقال جمع الأرض لم تجمع فى القـرآن الكريم. وجمعت السماء، وحيث أريد جمعها قال تعالى:

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [القصص: ٣٨] .

٣- **وأما المخالفة**: فهى أن تكون الكلمة جارية على خلاف القانون المستنبط من لغة العرب، كوجـوب الإعلال فى نحو (قام) والإدغام فى نحو (مد) ومنها قول الشاعر:

الحـــمـــد لله العلىِّ الأجلَلِ ... الواسع الفـضل الوهـوب المجـزل

وكـأن تكون الكلمـة غيـر جـارية على العـرف الصحـيح، بأن تكون الكلمـة مستعملة فى غير ما وضعت له فى عرف اللغـة، ولم يقصد بها المجاز، كاستعمال كلمة «**الأيم**» بمعنى الثيب فى قول البحترى:

تشقُّ عـليـه الـريح كل عـشـيـة ... جـيـوب الـغـمـام بين بـكرٍ وأيِّم

فقد وضع الأيم فى مقابلة البكر، والأيم فى اللغة تطلق على المرأة التى لا زوج لها؛ بكرًا كانت أو ثيبًا.

وقيل: فـصاحـة المفرد: خلوصـه مما ذكر ومن الكراهة فـى السمع، بأن يتـبرأ السمع من سـماعـه كما يتـبرأ من سمـاع الأصوات المنكرة، لأن اللفظ من قـبيل الأصوات، والأصوات منهـا ما تستلذ النفس سماعه، ومنهـا ما تستكرهه، وذلك نحو «**الجرشى**» -فى قول أبى الطيب المتنبى يمدح سيف الدولة أبا الحسن-:

ومـــا قـــست كل ملـوك البـــلاد ... فـــدع ذِكْـــرَ بَعْـضٍ بمن فى حَـلَبْ
ولو كنـتُ سـمـيـتـهم باسـمـه ... لكـان الحـديد وكـانوا الخـشبْ
أفى الرأى يـشبـه، أم فى الســخـا ... ء أم فى الشـجـاعـة أم فى الأدب؟!
مــبـــارك الاسم، أغـــر اللقب ... كــريم الجـــرشى شـــريفُ النسب

أى: كريم النفس، وليس بشىء، لأن الكراهة فى السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو غرابتها. فليست شيئًا آخر غيرها، والجرشى فى بيت أبى الطيب تدخل فى الغرابة.

وأما فصاحة الكلام: فقد شرطوا لها أمورًا ثلاثة:

أولاً: أن يكون الكلام خاليًا من ضعف التـأليف: ويقصدون، أن يكون تأليف الكلام جاريًا على خلاف المشهور من قواعد النحو، كالإضمار قبل الذكر لفظا ومعنى، نحو: ضـرب غلامه زيدًا، وإن كان ذلك مما أجازه الأخفش، وتبعه ابن جنى، لشدة اقتضاء الفعل المفعول به كالفاعل واستشهد بقول النابغة الذبيانى:

جـزى ربـه عنى عـدى بـن حـاتم ... جـزاء الكلاب العـاويات وقـد فـعَلْ

وقول الشاعر:

لما عـصى أصـحـابه مـصـعـبـا ... أدّى إليـه الـكيل صـاعـا بصـاع

وأجيب عنه بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل، أى: رب الجزاء، وأصحاب العصيان، كقوله تعالى: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨] أى العدل، وأما ما جاء مخالفا لهذا فشاذ لا يقاس عليه.

ثانيا: أن يكون خاليـا من تنافر الكلمات، بألا تتكرر فيه كلمات ذات جرس واحد أو متقارب، لأن تكرارها يؤدى إلى صعوبة النطق بها، وقد ضربوا مثالا لتنافر الكلمات بقول الشاعر:

وقـبـر حـرب بمكان قـفـر ... وليس قـرب قـبـر حـرب قـبـر

ومن التكرار القبيح قول الشاعر:

وازْوَرَّ مـن كـان لـه زائـرًا ... وعـاف عـافى العـرف عـرفـانه

وهناك نوع من تنافر الحروف لم يبلغ هذا الحد من الثقل، وإنما هو أخف حدة من سابقه، كالذى تراه من قول أبى تمام:

كـريم متى أمـدحـه أمدحـه والورى ... مـعى وإذا مـا لمتـه لمتـه وحـدى

فقد تكررت كلمة (أمدحه) وكلمة (لمته) مما أدى إلى الثقل الذى تراه فى البيت، وليس التنافر ناشئًا من اجتماع الحاء والهاء، لأنه ثقل محتمل، فقد جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الطور: ٤٩] وإنما نشأ من اجتماع الكلمتين.

ثالثا: أن يكون الكلام خاليا من التعقيد، والتعقيد معناه: ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد، وله سببان:

السبب الأول: (لفظى): وهو ألا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى، بسبب تقديم أو تأخير، أو حذف، أو إضمار؛ أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد، فيختل نظم الكلام ولا يدرى السامع كيف يتوصل منه إلى معناه، كقول الفرزدق فى مدح خال هشام بن عبدالملك:

وما مثله فى الناس إلا مملكا … أبو أمه حىٌّ أبوهُ يقاربه

أى: ليس كمثله فى الناس حى يقاربه، أى حى يشبهه فى الفضائل إلا مملك أعطى الملك والمال، أبو أمه، أى أبو أم ذلك المملك أبوه، أى: أبو الممدوح والجملة صفة مملكا، أى لا يماثله أحد إلا ابن أخته الذى هو هشام، وكان حقه أن يقول: وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه، ولكنه فصل بين المبتدأ والخبر وهو: **(أبو أمه أبوه)** بالأجنبى وهو: حى وبين الصفة والموصوف وهو: **(حى يقاربه)** بالأجنبى الذى هو: أبوه، وقدم المستثنى، وهو: «**مملكا**» على المستثنى منه، وهو: «**حى**».

فالكلام الخالى من التعقيد اللفظى: هو ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار، أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة لفظية، أو معنوية.

والسبب الثانى: (معنوى) وهو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه بسبب الخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى المعنى الثانى المقصود، وذلك الخلل يكون بإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود، كما فى قول العباس بن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا … وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فقد جعل سكب الدموع -وهو البكاء- كناية عما يستلزمه فراق الأحبة من الكآبة والحزن، وهذا كلام صحيح سليم، لأنه كثيرًا ما تجعل الدموع دليلا على الكآبة والحزن، يقال: أبكانى الدهر وأضحكنى، أى: ساءنى وسرنى، ولكنه أخطأ فى الكناية عما يوجبه دوام التلاقى والوصال من الفرح والسرور بجمود العين، وذلك لأن الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع حال إرادة البكاء، وهى حالة الحزن على مفارقة الأحبة، لا إلى ما قصده الشاعر من السرور الحاصل بملاقاة الأصدقاء ومواصلة الأحبة.

ولهذا لا يقال فى الدعاء: لازالت عينك جامدة. كما يقال: لا أبكى الله عينك، ويقال: سنة جماد لا مطر فيها، وناقة جماد: لا لبن فيها، كأنهما تبخلان بالمطر واللبن.

ومعنى بيت ابن الأحنف: إنى اليوم أطيب نفسًا بالبعد والفراق وأوطنها على مقاساة الأحزان والأشواق وأتجرع غصصها، وأحتمل لأجلها حزنا يفيض الدموع من عينى، لأتسبب بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول، فإن الصبر مفتاح الفرج، ومع كل عسر يسر، ولكل بداية نهاية.

وقيل: ومما يخل بفصاحة الكلام: كثرة التكرار، وتتابع الإضافات، فمن كثرة التكرار قول أبى الطيب:

أهم بشىء والليالى كأنها ... تطاردنى عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان فى كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قلّ المساعد
وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة ... سبوح لها منها عليها شواهد

فقد كرر الضمائر فى قوله: **(لها منها عليها)**

ومن تتابع الإضافات قول ابن بابك.

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى ... فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

ولكن هذا القول مردود بأن: كلا من كثرة التكرار، وتتابع الإضافات، إن ثقل اللفظ بسببها على اللسان. فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر، وإلا فلا تخل

بالفصاحة، وقد قال النبى -ﷺ-، «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم».

والحق أن كلا من كثرة التكرار، وتتابع الإضافات لا يخل بفصاحة الكلام، لمجيئهما فى القرآن الكريم، كقوله تعالى. ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [غافر: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧].

وأما فصاحة المتكلم. فهى ملكة يستطيع بها التعبير عن مقصوده بلفظ فصيح، والملكة هى هيئة راسخة في النفس، والتعبير بها هنا يشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة فى النفس، ولهذا فإن من يعبر عن مقصوده بلفظ فصيح لا يعد فصيحا إلا إذا كانت الصفة التى استطاع بها التعبير عن مقصوده بلفظ فصيح راسخة فيه.

بلاغة الكلام:

هى: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإذا جاء الكلام فصيحًا، خاليًا من التنافر والغرابة ومخالفة القياس الصرفى، بريئا من التعقيد اللفظى والمعنوى، جاريًا على المشهور من آراء النحاة، وكان مناسبا للموضوع الذى يقال فيه ولأحوال السامعين، معبرًا عن مشاعر قائله أصدق تعبير، فإنه يعد كلامًا بليغا، لأن قائله يبلغ به غايته، ويصل إلى مراده من نفوس سامعيه، فيؤثر فى نفوسهم، ويسيطر على مشاعرهم، ويملك به أزمة قلوبهم.

استمع إلى قول عمرو بن معد يكرب يذكر يوما كان بين عشيرته وجارتها جرم، وبين بنى الحارث بن كعب وحليفتها فهد:

ليس الجمال بمئزرٍ ... فاعلم وإن رديت بُرْدَا
أنَّ الجمال مَعادن ... ومناقب أورثن مجدَا
أعددتُ للحدثان سابغة وعداء عَلَنْدَى
نهدًا وذا شطب يقـ ... ـدُّ البيض والأبدان قدًا
وعلمتُ أنى يوم ذا ... ك مُنَازِلٌ كعبًا وفَهْدَا

قومٌ إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقًا وقدًّا

كل امرئ يجرى إلى ... يوم الهياج بما استعدا

لما رأيتُ نساءنا ... يفحصن بالمغزاء شدًّا

وبَدَتْ لميسُ كأنها ... بَدْرُ السماء إذا تَبَدَّى

وبدت محاسنها التى ... تخفى وكان الأمر جدًّا

نازلتُ كبشَهُم ولم ... أرَ مِنْ نِزَالِ الكبش بدًّا

هم ينذرون دمى وأنـ ... ـذر إن لقيتُ بأن أشدًّا

كم من أخٍ لىَ صَالحٍ ... بوأته بيدىَّ لحدا

ما إن جزعتُ ولا هَلَعْـ ... ـت ولا يرد بُكَاى زَنْدَا

ألبستهُ أثوابه ... خلقت ويوم خُلِقْتُ جلدَا

أغنى غناء الذاهبيـ ... ـن أعَدُّ للأعداء عَدًّا

ذهب الذين أحبهم ... وبقيتُ مثل السيف فَردًا

فالشاعر فى مقام الفخر بانتصار قومه على قبيلتى (كعب) و(فهد) اللتين أغارتا على قومه طالبين قتله وقد خرج إليهم غير عابئ بجموعهم؛ فنازل رئيسهم وهزمهم.

واقرأ هذه القصيدة وتفقد كلماتها؛ فإنك ستجدها سهلة الألفاظ، سلسة الأسلوب، جميلة المعانى، تعانقت كلماتها تعانقًا لطيفًا آخذًا بعضها بحجز بعض حتى إنك لا تمل من قراءها لسهولتها وسلاسة أسلوبها، وجمال نظمها؛ فقد جاءت كلماتها فصيحة، متماسكة، قوية، معبرة أصدق تعبير عن مشاعر هذا الفارس، مصورة لتجربته فى اللقاء والنزال، موحية بما يكنه لقومه من حب وإيثار، وبما يتمتع به من قوة الجلد والصبر فى ميادين الشرف والبطولة.

وقد ضمنها خصائص بلاغية قيمة، فعرف حيث يقتضى المقام التعريف، ونكر حيث يقتضى المقام التنكير وأكد حيث يقتضى المقام التأكيد، وتجنب التأكيد حيث لا يقتضى المقام التأكيد، وهذا هو المقصود بقولهم: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

فالحال: هى الأمر الداعى للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المعنى خصوصيـة ما، ومطابقة الكلام له بمعنى: اشتماله عليـه، فإذا كان المخاطب ينكر قيام (زيد) -مثلاً- فإنكاره حـال يدعو المتكلم إلى أن يخبره بقيـامه مؤكدًا، فيقول: **(إن زيداً قائم)** وتأكيد الخبر هو: مقتضى الحـال. ومقتضى الحال مختلف؛ لأن مقامات الـكلام متفاوتة؛ فمقـام التنكير يغاير مقام التعـريف، ومقام الإطلاق يغاير مقـام التقييـد، ومقام التقديم يغـاير مقام التأخيـر، ومقام الذكر يغـاير مقام الحذف، ومقام القصر يغاير مقام خلافه، ومقام الفصل يغاير مقام الوصل، ومقام الإيجاز يغاير مقام الإطناب والمساواة؛ وكذلك خطاب الذكى يغاير خطاب الغبى، وكذلك لكل كلمة مع صاحبتها مقام.

الفرق بين الحال والمقام :

الحال والمقام مـتقاربا المفهـوم، والتغاير بينهـما أمر اعتـبارى، وذلك لأن الأمر الداعى **«مقام»** باعتـبار توهم كونه مـحلا لورود الكلام فيـه على خصوصيـة ما، و**«حال»**، باعتبار كونه زمانًا له.

وهناك فرق آخر: وهو: أن المقام تعتبر إضافته للمقتضَى -بالفتح-، فيقال: مقام التأكـيد والإطلاق، والحذف، والإثبـات، كما تعـتبر إضافـة الحال للمقـتضِى - بالكسر، فيقال: حال الإنكار وحال خلو الذهن، وغير ذلك.

وعلى هذا: فإذا تفاوتت المقامات اختلفت مقتضيات الأحوال، لأن الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها هو عين اختلاف مقتضيات الأحوال.

وارتفاع شـأن الكلام -فى الحسن والقبول- يكـون بمطابقته للاعتـبار المناسب، وانحطاطه يكون لعدم مطابقته لهذا الاعتبار.

والمراد بالاعتبار المناسب: الأمر الذى اعتبـره المتكلم مناسبًا بحسب السليقة، أو بحسب تتبع تراكيب البلغـاء، فمقتضى الحال هو الاعتـبار المناسب للحال والمقام؛ كالتأكيد، والإطلاق وغيرهما.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هو الذى يسميه عبدالقاهر الجرجانى: **(النظم)** وهى: تتبع معانى النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام.

وللبلاغة في الكلام طرفان: أعلى وإليه تنتهى البلاغة، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وهو: أن يرتقى الكلام فى بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته، **وأسفل**، وهو: ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب؛ حيث تصدر عن محالها حسبما يتفق من غير اعتبار اللطائف والخواص الزائدة على أصل المراد.

وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة، بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات والبعد عن أسباب الإخلال بالفصاحة.

وتَتْبَعُ بلاغة الكلام وجوه أخرى سوى المطابقة والفصاحة تورث الكلام حسنًا، وتكسبه رونقًا وجمالاً، وهذه الوجوه هى التى تضمنها علم البديع من محسنات لفظية ومعنوية.

وأما بلاغة المتكلم: فهى الموهبة أو الملكة التى يستطيع بها أن يؤلف كلاما بليغا.

ولعلك قد فهمت مما تقدم: أن كل بليغ -كلامًا كان أو متكلمًا- فصيح، وليس كل فصيح بليغًا.

كما أنك قد فهمت مما أسلفنا لك: أن البلاغة فى الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره.

وتمييز الكلام الفصيح من غيره منه ما يتبين فى علم متن اللغة؛ كالغرابة، أى تمييز السالم من الغرابة من غيره، أو فى الصرف، كمخالفة القياس، أو فى علم النحو، كضعف التأليف والتعقيد اللفظى، أو يدرك بالذوق كالتنافر.

فما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد هو علم المعانى، وما يحترز به عن التعقيد المعنوى هو علم البيان وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع.

****

تمرينات (على الفصاحة والبلاغة)

(١)

١- بين ما يخل بالفصاحة فى كل مما يأتى:

(أ) فلا يبرم الأمر الذى هو حالل ... ولا يحلل الأمر الذى هو يبرم

(ب) وشوه ترقيش المرقش رقشه ... فأشياعه يشكونه ومعاشره

(ج) ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا ... من الناس أبقى مجدُهُ الدهر مطعما

(د) أنى يكون أبا البرية آدمٌ ... وأبوك والثقلان أنت محمد

(هـ) فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما

٢- ما المقصود بكل من الفصاحة والبلاغة لغةً واصطلاحًا؟ وما الفرق بينهما؟

٣- من شروط فصاحة الكلام أن يكون خاليا من التعقيد، فما المقصود بالتعقيد؟ وما أقسامه؟ مثل لما تقول.

٤- وضح المقصود بكل مصطلح من المصطلحات التالية:

(أ) التنافر.

(ب) الغرابة.

(ج) مخالفة القياس الصرفى.

٥- ما المراد بكل من الحال، والمقام؟ وما الفرق بينهما؟

٦- بين مدى صلة العلوم العربية بالبلاغة.

(أ) اذكر ثلاثة أمثلة اختلفت فيها مقتضيات الأحوال والمقامات مبينا الحال ومقتضاه، ومطابقة الكلام له فى كل واحد منها.

(ب) بين سر خروج الكلام عن البلاغة فى كل مما يأتى:

١ - وقلقلتك بالهم الذى قلقل الحشا	قلاقل هَمٍّ كُلُّهُنَّ قلاقِلُ
٢ - إذا كان بعض الناس سيفًا لدولة	ففى النّاس بوقاتٌ لها وطُبُولُ
٣ - وما علينا إذا ما كُنْت جارتنا	ألاَّ يجاورنا إلاّكِ دَيَّارُ
٤ - جَزَى رَبُّهُ عَنِّى عَدِىَّ بن حاتِمٍ	جزاء الكلاب العاويات وقد فَعَلْ
٥ - مالى فُتِنْتُ بلحظك الفتاكِ	وسَلَوْتُ كل مليحةٍ إلاكِ؟!

****

علم المعانى

هو بعينه نظرية النظم البلاغى التى أدار عليها عبدالقاهر الجرجانى كتابه (**دلائل الإعجاز**).

وقد أخذ المتـأخرون لفظة (**المعانى**) من قول الإمام عـبدالقاهر: «**النظم هو تتبع معانى النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام**».

وعرفوا علم المعانى: بأنه «**علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال**».

وأحوال اللفظ الـتى بها يطابق مقـتضى الحـال هى: ما يعرض لـه من تقديم، وتأخير، وتعريف، وتنكير وغير ذلك.

وهناك أحوال للفظ ليست بهذا المثابة، كالإعلال، والإدغام، والرفع والنصب، ومـا أشبـه ذلك مما لابد منه فى تأدية المعنى، ولـكنها ليـست مما يبـحث فى علم المعانى، بل إنها تبحث فى علمى: النحو والصرف.

على أن علم النحـو قد درس أحوال التـقديم والتـأخيـر، والتعريف والتـنكير وغيرها مما يدرسه علم المعانى، ولكنه قد درسها من ناحية أخرى، فقد درس جواز التقديم وامتناعه ووجوبه وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه، وأنواع التعريف وأحكام التنكير، ولكنه لم يتناولهـا من حيث وقوعها مطلبـا بلاغيا يقتضيـه المقام، وتدعو إليه الحال.

وهذا هو الفرق بين البلاغة والنحو: موضوعات البلاغة تبحث فى علم النحو، ولكن النحـو يبحثـها من حـيث الصحة وعـدمهـا، والبلاغى يبحـثهـا من حيث مطابقتها لأحوال السامعين.

وقد حصر البلاغيون علم المعانى فى ثمانية الأبواب التالية:

١- أحوال الإسناد الخبرى

٢- أحوال المسند إليه.

٣- أحوال المسند.

٤- أحوال متعلقات الفعل.

٥- القصر.

٦- الإنشاء.

٧- الفصل والوصل.

٨- الإيجاز والإطناب والمساواة.

والسر في انحصار علم المعاني في هذه الأبواب: أنهم تتبعوا العبارة من جميع جوانبها، وكل أحوالها، فوجدوا أن الكلام: إما أن يكون خبرًا -وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته- وإما أن يكون إنشاء، وهو: مالا يحتمل الصدق والكذب لذاته، فالأول هو الخبر، والثاني هو الإنشاء.

ثم الخبر: لابد له من إسناد، ومسند إليه، ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى.

ثم المسند: قد يكون له متعلقات -إذا كان فعلا أو شبهه- فهذا هو الباب الرابع.

ثم الإسناد والتعليق، كل واحد منهما: إما أن يكون بقصر، وإما أن يكون بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس.

والإنشاء هو الباب السادس.

ثم إن الجملة -إذا قورنت بأخرى- تكون الثانية إما معطوفة على الأولى وإما غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع.

ولفظ الكلام البليغ إما أن يكون زائدًا على أصل المعنى المراد لفائدة، وإما أن يكون غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن.

****

أحوال الإسناد الخبرى

الكلمات المفردة لا تعطيك معنى من المعانى إلا إذا كانت مرتبطة ببعضها متعلقا بعضها ببعض، آخذًا بعضها بحجز بعض، وكونت منها نوعًا من التأليف، وصغتها صياغة خاصة، شعرًا كانت أو نثرًا فلابد فى الكلام من مسند، ومسند إليه، وإسناد.

والإسناد هو: ضم كلمة أو ما يجرى مجراها، إلى الأخرى أو ما يجرى مجراها، بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو منفى عنه.

(أ) أغراض الخبر :

ذكر البلاغيون أن من يكون بصدد الإخبار ينحصر قصده بخبر هذا فى أمرين:

الأول: إفادة المخاطب مضمون الخبر وفائدته، وذلك كقولك لمن لا يعلم أن والده قد سافر: **(سافر والدك)** ولمن لا يعلم أن الهلال قد ظهر: **(ظهر الهلال)** ولمن لا يعلم أن أخاه قد نجح: **(نجح أخوك)**.

الثانى: إفادة المخاطب لازم فائدة الخبر: وذلك كقولك لمن حفظ القرآن الكريم: **(أنت قد حفظت القرآن الكريم)**، فهو يعلم أنه حفظ القرآن الكريم، ولكنك قد أفدته أنك تعلم ذلك -أيضًا-.

هذا هو الذى جرى عليه العرف فى الإخبار بخبر ما، وذلك إذا التزم المتكلم باستعمال الجمل الخبرية فى حقائقها، أما من يريد أن يستخدم الأساليب الخبرية فى أفقها الأرحب فإن قصده يتعدد بتعدد الأغراض التى تدفعه إلى القول، وتحثه عليه، ولهذا فإن الخبر قد يخرج عن الغرضين الأساسيين، وهما الفائدة ولازم الفائدة إلى أغراض أخرى يقصدها البلغاء، وتتضح عن سياق الكلام، ومن هذه الأغراض:

١- إظهار الضعف، كما فى قول المسجاح بن سباع الضبى:

لقد طوفتُ بالآفاق حتى ... بليتُ وقد أنى لى لو أبيدُ

وأفناني -ولا يفني- نهارٌ ... وليل كلما يمضي يعودُ
وشهر مستهل بعد شهر ... وحولٌ بعده حولٌ جديدُ
ومفقود عزيزُ الفقد تأتى ... منيته، ومأمول وليدُ

فقد أخبر الشاعر بأنه طوف فى الآفاق حتى بلى وقارب الهلاك، وأهرمه مرور الليل والنهار، وتوالى الأشهر والسنين، وفقد من يعز عليه من الأصحاب والأبناء، ولم يقصد بخبره هذا فائدة الخبر أو لازمها، وإنما أراد أن يبث السامع مشاعره ليشاركه إحساسه، فتتحقق له بتلك المشاركة راحة نفسية يتطلبها.

٢- والتحسر -كما فى قوله تعالى-: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]

٣- والمدح -كما فى قول أبى الطيب المتنبى -يمدح سيف الدولة:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائمُ
يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغم!!

٤- والذم، كما فى قوله يهجو كافورًا:

وتعجبنى رجلاك فى النعل إننى ... رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا
وأنك لا تدرى ألونك أسود ... من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
ويذكرنى تخبيط كعبك شقه ... ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا

٥- وكتحريك حمية الجاهل، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

٦- وكإظهار التحزن والتفجع، كقول الشاعر:

قومى هُمُ قتلوا -أُمَيْمَ- أخى ... فإذا رَميتُ يصيبنى سَهمى

(ب) أضرب الخبر:

علمت أن الخبر هو: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، فهو مظنة التكذيب، وقد نظر البلاغيون إلى أحوال المخاطب الذى يلقى إليه الخبر فوجدوا أنها ثلاثة:

١- خلو الذهن. ٢- التردد. ٣- الإنكار.

لأن المخاطب إما أن يكون خالى الذهن من هذا الخبر، ولم يكن عنده سابق فكرة عنه ولا انشغال لخاطره به، وإما أن يكون مترددًا فى قبول هذا الخبر ورفضه، وإما أن يكون منكرًا له رافضًا لقبوله، وتتراوح حال الإنكار والرفض عنده بين القوة والضعف.

وخالى الذهن من الخبر، لا يحتاج إلى تأكيد، بل يلقى إليه الكلام خاليًا من التأكيد، لأنه يصادف ذهنا خاليًا، فيتمكن منه بمجرد وصوله إليه:

والمتردد فى الخبر: عنده شك فيه، فهو طالب لنوع من التأكيد يزيل به تردده، فيلقى إليه الخبر مؤكدًا بمؤكد واحد فقط.

والمنكر: يحتاج إلى تأكيد أقوى من تأكيد المتردد، وهذا التأكيد يكون على حسب الإنكار قوةً وضعفًا، فيلقى إليه الخبر بأكثر من تأكيد واحد، أى بتأكيدين أو أكثر على حسب إنكاره فى القوة والضعف.

ولهذا وجد البلاغيون أن أضرب الخبر ثلاثة:

الأول: الابتدائى: وهو ما يلقى إلى خالى الذهن من الحكم بأحد طرفى الخبر على الآخر، ومن التردد فيه، وهذا الضرب لا يحتاج إلى تأكيد، لأنه -كما علمت- يلقى إلى خالى الذهن، إذ يصادف ذهنًا خاليًا فيتمكن منه عند وصوله إليه، وذلك كقولك: نجح محمد، ومحمد ناجح، وكقوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف: ٤٦].

وإنما سمى هذا الضرب ابتدائيًا، لأنه يلقى إلى المخاطب ابتداء دون سابق علم للمخاطب به.

والثانى: الطلبى: وهو ما يلقى إلى المتردد فى قبول الخبر ورفضه.

وهذا الضرب يحسن تقويته بمؤكد واحد، كقولك: لَمحمدٌ ناجح، وإن محمدًا ناجح، وكـقوله تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وكقول أمير الشعراء:

دقـــات قلـب المرء قـــائلة لـه ... إن الحـــيـــاة دقـــائق وثـوان

وإنما سمى هذا الضرب طلبيًا، لأن المخاطب به طالب لنوع من التأكيد يزيل به تردده.

والثالث: الإنكارى: وهو ما يلقى إلى المنكر للخبر والرافض لقبوله.

وهذا الضرب يجب تأكيـده بحسب قوة الإنكار وضعـفه، فكلما ازداد الإنكار زيد فى التأكيد، وذلك مثل قولك لمنكر نجاح مـحمد: إن محمدًا ناجح، فإذا زاد فى إنكاره قلت له: والله إن محمدًا لناجح. وهكذا.

انظر كيف تدرجت الآية الكريمة فى التأكـيد وفق إنكار المنكرين -فى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ⦗١٣⦘ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ⦗١٤⦘ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ⦗١٥⦘ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣- ١٦].

فالآية الـكريمة تصور حـوارًا جرى بين الرسل وأصـحاب القـرية التى أرسلوا إليـها، وقـد جاء خطـاب الرسل لأصحـاب القـرية فى المرة الأولى مؤكـدًا بإن، واسمية الجمـلة، لأنهم كذبوا، بدليل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فلما رد عليهم أصحاب القرية بقولهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ مؤكدين ردهم بالنفى والاستثناء أى: لستم رسـلاً، لاعتقادهم أن الرسـول لا يكون بشرًا، مردفـين ذلك بقولهم: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ﴾ وهو تأكيـد ثان لنفى الرسالة عنهـم بصورة أبلغ، لأنهم نفوا أن يكـون الله تعالى قد أنزل شـيئًا عليـهم أو على غيـرهم، ثم أردفوا ذلك بقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ فوصـفوا رسل الله بالكذب بأسلوب مـؤكد بالنفى والاستـثناء، فما كـان من الرسل -عليهم السلام- إلا أن ردوا عليـهم بعد هذا العناد والإنكار والمكابرة والتطاول -بقولهم-: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾

فكرروا قولهم الأول. وفى هذا ضـرب من التأكيـد، ثم زادوا مقولتهم بجـرعات أخرى من التأكـيد تمثلت فى (إن) و(اللام) و(اسمية الجملة) وبقولهم (ربنا يعلم) لأنه لون آخر من ألوان التأكيد، كقولهم: «علم الله، وشهد الله».

وهكذا نجد أن التأكـيد يأتى على قدر الإنكار، أو التردد، وأن عدم التـأكيد لا يكون إلا إذا ألقى الكلام إلى خـالى الذهن من الخـبـر، وإنما سمى هذا الضـرب إنكاريًا لأنه يلقى إلى المنكر للخبر والرافض لقبوله.

ويسـمى إخراج الكلام على الوجـوه المذكـورة -أعنى الخلو من التأكـيد لخـالى الذهن، والتقوية بمؤكد استحسانًا للمتردد، ووجوب التأكيد للمنكر- إخراجًا للكلام على مقتضى الظاهر، أى: الإتيان بالكلام على مقتضى ظاهر حال المخاطب.

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

قـد يأتى الكلام علـى خلاف ظـاهر الحـال، فـلا يعـتد المـتكلم بواقع حـال المخاطب، ولكـنه يجرى على أمـور اعتبـارية يلحظها هو فى كـلامه، فـيجـعلها مقامات، ويصوغ عبارته على مقتضاها:

(أ) كأن ينزل خالى الذهن منزلة المتـردد، وذلك إذا قدم له فى الكلام ما يلوح له بالخبر، فيسـتشرف له استشراف الطالب المتردد، وحينئذ يحـسن تأكيد الخبر له بمؤكد واحد يزيل تردده.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] فمطلع الكلام وهو قـوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معناه: لا تدعنى يا نوح فى شـأن قومك واستـدفاع العذاب عنهم بـشفاعـتك، وهذا كلام يوحى بالخبر، ويهيئ النفس لأن تظن بأنهم مغرقون، وخصوصًا بعد أن تقدم قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٦، ٣٧] فقد أوحى الله إليه بأن قومه لن يؤمنوا، ثم أمره بصنع الفلك، فـالإيحاء بأنهم لن يؤمنوا إشارة إلى أنهم سيقع بهم عذاب، والأمر بصنع الفلك إشارة واضحة إلى أنهم مغرقون لا محالة.

ولما تضمن سابق الكلام هذا الإيحاء بالخبر، صار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى أنهم صاروا محكومًا عليهم بالإغراق أم لا؟ ويطلبه، فنزل منزلة السائل، وقيل: «**إنهم مغرقون**» مؤكدًا، أى محكوم عليهم بالإغراق.

ويكثر هذا الأسلوب فى القرآن الكريم، حتى إنه -كما يقول الإمام عبد القاهر- لا يدركه الإحصاء، يأتى بعد الأوامر والنواهى كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحج: ١] وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

ومنه قول الشاعر:

فـغـنـهـا -وهى لـك الفـداء ... إن غـنـاء الإبـل الحـداء

لما طلب الشاعر من مخاطبه الغناء للإبل، تطلعت نفسه إلى معرفة سبب هذا الطلب، فكأنه سأل: وهل غناء الإبل هو الحداء؟ فجاء الخبر مؤكدًا بإن لإزالة تردد مقدر من المخاطب.

(ب) وكأن ينزل المنكر منزلة غير المنكر، وذلك إذا كان معه من الأدلة والشواهد ما إن تأمله ارتدع عن إنكاره، وذلك كما تقول لمنكر الإسلام: (**الإسلام حق**) هكذا من غير تأكيد، لأن لديه من الأدلة الدالة على نبوة محمد -ﷺ- ما إن تأمله لارتدع عن إنكاره، وهذا شأن الحقائق الكبرى، والقضايا العظيمة التى تلقى دون احتفال بإنكار المنكرين، أو اهتمام تكذيب المكذبين.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الجمعة: ١] فهذا خبر عظيم ينكره الكافرون الجاحدون، ولكن القرآن الكريم لم يعبأ بإنكارهم، وساق تلك الحقيقة الكبرى مساق الأمور المسلم بها، والتى لا تحتاج إلى تأكيد.

ومن هذا الأسلوب فى الشعر قول أمير الشعراء يرثى جدته:

خلقنا للحـيـاة وللمـمـات ... ومـن هـذين كـل الحـادثـات

ومن يـولد يـعش ويمـت كـــأن لم يمـر خـــيـــالـه بالـكـائنات!
ومـــهـــد المرء في أيدي الـرواقي كـنعـش المرء بين الـنـائحـــات
ومـــا سلم الـوليـد مـن اشـتـكاء فـــهل يخلو المعـــمـــر من أذاة؟!
هي الدنيـا: قـتـــال نحن فـــيـه مـقـــاصـــد لـلحـســام وللقـناة
وكل الـناس مـــدفـــوع إليـــه كـمـا دُفِـعَ الجبـان إلى الـثبـات
نُـرَوَّعُ مـــا نُـرَوَّعُ ثـم نُـرْمَى بســـهم مـن يد المقـــدور آت!!

فقـد سرد أمير الشـعراء قضايا عـدة دون تأكيدها، على الرغم من أنهـا ليست مسلمًا بها من جمـيع الناس، ولكن لما كانت أدلة صحتها كثيـرة لو تأملها الجميع لآمنوا بها ساقها مساق الأمور المسلمة التي لا اعتراض لأحد عليها.

(جـ) قد ينزل غـير المنكر منزلة المنكر، وذلك إذا ظهر عليه شـيء من علامات الإنكار، فيلقى إليه الكلام مؤكدًا. وإن لم يكن في ظاهر حاله منكرًا.

فالمسلـم المهمل في أداء الصـلاة تقول له: **(إن الصـلاة واجبـة)** تنزيلا له منزلة المنكر، وإن لم يكن منكرًا لفرضـية الصلاة، لأن إهماله في أداء الـصلاة أمارة من أمارات الإنكار.

ومن هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. فإتيان الساعة حقـيقة لا ينكرها المسلمون، ولكن تصرف المسلمـين حيـال هذه الحقيـقة تصـرف من لا يؤمن بها، ولـهذا خوطبـوا خطاب المنكرين لقيام الساعة.

ومما هو أصل في هذا الباب قول حجلة بن نضلة الباهلي:

جـاء شـقـيـق عـارضًـا رمـحـه إن بني عـــمك فـــيـــهم رمـــاح

فقد رأى الشاعـر شقيقًا مقبـلا غير مكترث بقومه، إذ جاء عـارضًا رمحه، أي واضعا لـه بالعرض على فخذه غـير متهـيئ لقتال، كأنه ينكر أن يكون فـيهم من يستطيع لقاءه، فنزل منزلة من ينكر أن في بني عمه رماحًا، وإن لم يكن منكرًا في الحقيقة، فقال: **(إن بني عمك فيهم رماح)**.

تمرينات
على أغراض الخبر وأضربه

(١)

١- بين الغرض من الخبر فى كل مما يأتى:

(أ) قال الله تعالى: ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾.

(ب) ذهب الذين يعاش فى أكنافهم — وبقيت فى خلف بغير خَلاقِ

(جـ) قال الله تعالى: ﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلتَ إلىّ من خير فقير﴾.

(د) قال الشاعر مُعَرِّضًا بقومه:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى — بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عَدَد — ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة — ومن إساءة أهل السوء إحسانا

٢- بين الغرض من التأكيد فى كل مما يأتى:

(أ) جاء شقيق عارضا رمحه — إن بنى عمك فيهم رماح

(ب) قال الله تعالى: ﴿وما أبرئُ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء﴾.

(جـ) إن محلا وإن مرتحلا — وإن فى السفر إذ مضوا مهلا

(د) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه — فمنهن بيض فى العيون وسُود

(هـ) دقات قلب المرء قائلة له — إن الحياة دقائق وثوان

(٣)

بين ما جرى من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر وما جرى منها على خلافه فيما يأتى :

(أ) قال الله تعالى : ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

(ب) قال الله تعالى : ﴿**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**﴾ .

(جـ) قال بعض الشعراء :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها　　　إن السفينة لا تجرى على اليبس

(د) **بَكِّرَا صاحِبى قبل الهجير　　　إن ذاك النجاح فى التبكير**

****

المجاز العقلى

عرفت مما تقدم أنه لابد فى الجملة من مسند ومسند إليه وإسناد حتى تؤدى الجملة معنى من المعانى، وأن الإسناد هو: ضم كلمة أو ما يجرى مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفى عنه.

والإسناد يأتى على ضربين: حقيقى، ومجازى.

فأما الإسناد الحقيقى: فهو إسناد الفعل أو ما فى معناه، كالمصدر، واسم الفاعل ونحوهما مما هو فى معنى الفعل إلى ما هو له فى الحقيقة، وذلك كما فى قولك: **(شفى الله المريض)** فإسناد الشفاء إلى الله تعالى إسناد حقيقى، لأن الفاعل الحقيقى للشفاء إنما هو الله تعالى، وكذلك تقول فى **(نصر الله الجيش)** و**(أنزل الله الغيث)**.

ويسمى هذا الإسناد: **(حقيقة عقلية)**.

وأما الإسناد المجازى: فهو إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له فى الحقيقة.

وذلك كما فى قولك: **(أنبت الربيع البقل)** فإسناد الإنبات إلى الربيع إسناد مجازى، لأنه ليس الفاعل الحقيقى للإنبات، وكذلك تقول فى **(بنى الأمير المدينة)** لأن الأمير ليس هو الفاعل الحقيقى للبناء، وإنما بنى العمال المدينة بأمر منه.

ويسمى هذا الإسناد: **(مجازًا عقليًا)**.

ولما لم يكن من المستطاع تصوير المجاز العقلى قبل تصوير الحقيقة العقلية قدم البلاغيون بحثهم للحقيقة العقلية بين يدى بحثهم للمجاز العقلى.

وقد عرف الخطيب الحقيقة العقلية بأنها: **(إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ما هو له عند المتكلم الظاهر)**.

وما فى معنى الفعل هو: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وظرف الزمان، وظرف المكان، واسم التفضيل.

وصور الإسناد الحقيقى عنده أربعة:

الأولى: صورة تطابق الواقع والاعتقاد كليهما، وذلك كقول المؤمن: **(أنبت الله البقل)**.

والثانية: سورة تطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلى -لمن لا يعرف حاله- وهو يخفيها عنه **(خالق الأفعال كلها هو الله تعالى)** والمعتزلى يعتقد أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

والثالثة: صورة تطابق الاعتقاد دون الواقع، كقول الجاهل: **(شفى الطبيب المريض)**.

والرابعة: صورة لا تطابق شيئا منهما، وذلك كالأقوال الكاذبة، مثل: جاء محمد- وهو لم يجئ.

وأما المجاز العقلى: فقد عرفه الخطيب بقوله: **(هو إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول)**.

وأنت تلاحظ الفرق بين تعريف الخطيب للحقيقة العقلية، وتعريفه للمجاز العقلى فقد قال هناك: **(إلى ما هو له)** وقال هنا: **(إلى ملابس له غير ما هو له)**.

فالفعل فى الحقيقة العقلية يسند إلى فاعله الحقيقى، ولكنه فى المجاز العقلى يسند إلى غير فاعله الحقيقى، أى يسند إلى ما يلابس الفعل، أى ما كانت له بالفعل -أى الحدث- ملابسة، أى علاقة، فالملابسة هى العلاقة.

وللفعل علاقات شتى، فله علاقة بالفاعل، لأنه واقع منه، وله علاقة بالمفعول، لأنه واقع عليه، وله علاقة بالمصدر، لأنه أصل الحديث، وله علاقة بالزمان والمكان لوقوعه فيهما، وله علاقة بالسبب، لأنه مسبب عنه.

على أن هذه العلاقات -وإن لم تكن هى كل علاقات المجاز العقلى- إلا أنها أشهر هذه العلاقات.

١- **الفاعلية:** وهى: أن يسند الفعل المبنى للمفعول إلى الفاعل، وذلك كما فى قولك: **(ماء مغمور)** و**(سيل مفعم)** فالماء لا يكون مغمورًا، وإنما هو غامر، والسيل لا يكون مفعَمًا -بفتح العين- وإنما هو مفعِم بكسر العين لأن الماء هو فاعل

الغمر، والسيل هو فاعل الإفعام، فاسم المفعول هنا بمعنى اسم الفاعل، وهو مجاز عقلى علاقته الفاعلية.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]؛ فمستور هنا بمعنى ساتر؛ لأن الحجاب ساتر وليس مستورًا، فاسم المفعول هنا بمعنى اسم الفاعل، وهو مجاز عقلى علاقته الفاعلية.

ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١] أى: آتيا؛ فاسم المفعول هنا وهو (مأتى) بمعنى اسم الفاعل، أى (آت). فقد أسند اسم المفعول إلى ضمير اسم الفاعل على سبيل المجاز العقلى، والعلاقة هى الفاعلية.

٢- **المفعولية** وهى: أن يسند الفعل المبنى للفاعل إلى المفعول به، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧] فالعيشة مرضية، وليست راضية، لأن الذى يرضى هو صاحب العيشة، لأن الأصل رضى الإنسان عيشته، فالعيشة مفعول به، وليست فاعلا، فاسم الفاعل هنا بمعنى اسم المفعول، فهو من إسناد اسم الفاعل إلى ضمير اسم المفعول على سبيل المجاز العقلى، والعلاقة هى المفعولية.

وكما فى قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، والحرم مأمون وليس آمنًا. فقد أسند الأمن إلى الحرم، وكان حقه أن يسند إلى أهل الحرم، فآمن هنا بمعنى مأمون، فكأنه أسند اسم الفاعل إلى ضمير اسم المفعول، فهو مجاز عقلى علاقته المفعولية.

٣- **المصدرية**: وهى: أن يسند الفعل إلى مصدره، كما فى قولهم: شعر شاعر، فإن الشاعر هو صاحب الشعر لا الشعر، وكما فى قولهم: «جد جده» إذ أسندوا الجد إلى الجد نفسه، والأصل فى ذلك: شعر شاعر صاحبه، وجد صاحب الجد.

ومنه قول أبى فراس:

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم ... وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقد أسند الجد إلى المصدر، وليس الجد هو الفاعل الحقيقى، ولكن الفاعل الحقيقى هو الرجل الجاد، فإسناد الفعل هنا إلى مصدره مجاز عقلى علاقته المصدرية.

ومنه قول الشاعر:

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونها ... إذا لم يعوذها برقية طالب

فقد أسند الفعل -وهو (**يجن**)- إلى مصدره وهو (جنونها)، وهو مجاز عقلى علاقته المصدرية.

٤- **الزمانية**: وهى أن يسند الفعل إلى زمانه، كما فى قولهم: نهاره صائم، وليله قائم، فقد أسند الصوم إلى النهار، والقيام إلى الليل، مع أن الصائم هو الرجل، وكذلك القائم بالليل هو الرجل، ولكنهم أسندوا الحدث إلى الزمان لوقوعه فيه، على سبيل المجاز العقلى، والعلاقة هى الزمانية، ومنه قول النبى -ﷺ-: **«اللهم إنى أحمدك على العرق الساكن والليل النائم»**، والليل لا ينام ولكن ينام الناس فيه، فقد أسند النوم إلى الليل لوقوعه فيه.

ومن المتداول فى هذا الباب قول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السُّرى ... ونِمْتِ وما لَيْلُ المطى بنائم

فقد نفى النوم عن الليل، والليل لا ينام، والمراد نفيه عن المطى، ومنه قول أبى البقاء الرندى:

هى الأمور -كما شاهدتها- دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتهُ أزْمَانُ

فقد أسند فعل السرور والإساءة إلى الزمان، وهو لا يقع منه ذلك ولكن يقع فيه.

٥- **المكانية**: وهى أن يسند الفعل إلى مكانه، ومن أمثلته قولهم: طريق سائر ونهر جار، فقد أسند السير إلى الطريق، والطريق لا يسير وإنما يسير الناس فيه، فإسناد السير إلى الطريق مجاز عقلى علاقته المكانية.

وكذلك أسند الجريان إلى النهر، وإنما يجرى الماء فيه، فإسناد الجريان إلى النهر مجاز عقلى علاقته المكانية؛ قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ**

فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، فالأنهار اسم لمكان جريان الماء، فالأنهار لا تجرى فى الحقيقـة، ولكن تجرى المياه فيها، فإسناد الجريان إلى الأنهار مجاز عقلى علاقته المكانية.

٦- **السببية**: وهى أن يسند الفعل إلى سببه، ومن أمثلتهم لهذه العلاقة قولهم: (**محبتك جاءت بى إليك**) فالمحبة لم تجئ بك وإنما أنت الذى جئت بسبب هذه المحبة، فإسناد المجىء إلى المحبة مجاز عقلى علاقته السببية.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٤] فأسند التذبيح إلى فرعون، وليس فاعلاً حقيقيًا له، وإنما هو آمر فقط بالتذبيح، فهو سبب فيه، ولهذا فإن الإسناد مجاز عقلى علاقته السببية.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

وتحيـى لـه المال الصوارمُ والقنا ... ويقتل مـا تحيـى التبسـم والجـدا

لما كانت الصوارم والقنا سببا فى إحياء المال (**بمعنى جمعه**) وكان التبسم والجدا سببًا فى قتله (**بمعنى إنفاقه على العافين**) جاز أن يسند الإحياء إلى الصوارم والقنا، وأن يسند القتل إلى التبسم والجدا، على سبيل المجاز العقلى لعلاقة السببية.

****

تمرينات على المجاز العقلى

(١)

بين المجاز العقلى وعلاقته فى كل مما يأتى:

(أ) قال أبو الطيب المتنبى يصف ملك الروم بعد هزيمته:

يمشى به العكاز فى الدير تائبًا ... وقد كان يأبى مَشى أشقر أجْرَدَا

(ب) وقال أيضا:

أظمتنى الدنيا فلما جئتها ... مستسقيًا مطرت على مصائبا

(جـ) إن الذين قتلتم أمس سيدهم ... لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

(د) وتحيى له المال الصوارم والقنا ... ويقتل ما تحيى التبسم والجدا

(٢)

(أ) مثل بأسلوبك لكل مما يأتى:

١- مجاز عقلى علاقته السببية.

٢- مجاز عقلى علاقته الزمانية.

٣- مجاز عقلى علاقته المكانية.

٤- مجاز عقلى علاقته الفاعلية.

٥- مجاز عقلى علاقته المفعولية.

(ب) حول كل حقيقة عقلية إلى مجاز عقلى ثم بين علاقته فى القطعة التالية:

قال بعضهم يصف قوما من الزهاد والوعاظ:

- جلوا بكلامهم الأبصار العليلة، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة، ونبهوا القلوب من غفلتها، ونقلوها من سوء عادتها، فشفوها من داء الغفلة، وداووها من العى الفاضح، ونهجوا لها الطريق الواضح».

حذف المسند إليه

وإنما قدموا حذف المسند إليه على ذكره، لأن ذكره هو الأصل، لأنه أحد ركنى الإسناد؛ ولا يحذف إلا لغرض بلاغى، وقد ذكر البلاغيون من الأعراض البلاغية لحذف المسند إليه، الأغراض التالية:

١- **الاحتراز عن العبث فى ذكره بناء على الظاهر، لدلالة القرينة عليه،** وذلك كقولك لمن يستشرف الهلال: «**الهلال والله**»؛ أى: هذا الهلال والله، فلو صرحت بذكر المسند إليه لكان ذكره عبثًا -فى الظاهر- بمعنى أنه لا تظهر له فائدة.

ومنه قولك: (**حضر الجلسة**)؛ تريد: الرئيس، إذا كانت هناك قرينة قائمة على أن الرئيس قد حضرها.

٢- **ضيق المقام، بسبب مرض، أو ضجر،** كما فى قول الشاعر:

قال لى: كيف أنت؟ قلت: عليلٌ ... سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

والتقدير: أنا عليل، وحالى سهر دائم، وقد حذف المسند إليه فى شطرى البيت لضيق المقام.

ومن الحذف لضيق الصدر: قوله تعالى: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾ [الذاريات: ٢٩]، أى أنا عجوز، فحذف المسند إليه لما تحسه من ضيق صدرها من الإطالة فى الكلام بسبب ما انتابها من العقم، وما لحقها من الكبر.

٣- **اختبار تنبه السامع:** أيتنبه إلى المسند إليه، لقيام القرينة الدالة عليه، أم لا يتنبه إلا بالتصريح؟ ومثال ذلك: أن يحضر إليك رجلان، تربطك بأحدهما صداقة، فتقول لآخر -يعلم بهذه الصلة: «**غادر**» تريد: الصديق غادر، فتحذف المسند إليه لتختبر ذكاء السامع، أيتنبه إلى أن المسند إليه المحذوف هو «**الصديق**» بقرينة ذكر «**الغدر**» إذ هو المناسب لمعنى الصداقة، أم أنه لا يتنبه؟

٤- **اختبار مقدار تنبه السامع، ومبلغ ذكائه عند قيام قرينة خفية على المسند إليه،** أيتنبه إليه بالقرينة الخفية أم أنه لا يتنبه؟

ومثال ذلك: أن يحضر إليك رجلان تجمعك بهما صداقة، غير أن أحدهما أقدم صحبة من الآخر فتقول لآخر يعلم بهذه الصلة: «**جدير بالوفاء**» تريد أقدمهما صحبة، ولكنك تترك ذكره حينئذ، اختبارًا لمقدار تنبه السامع، أيتنبه إلى هذا المحذوف لهذه القرينة الخفية -وهى أن ذا الوفاء هو: ذو الصداقة القديمة، دون حادثها، أم أنه لا يتنبه؟

٥- **الحذر من فوات فرصة سانحة**، وذلك كأن تقول لصائد متحفز: «**غزال**» وكأن تقول لواقف فى طريق قطار مسرع -وهو غافل: «**أقْبَلَ**» تريد: القطار أقبل، فتحذف المسند إليه مخافة أن تفوت فرصة الإفلات من الخطر، فيدهمه القطار.

٦- **إيهام صون المسند إليه عن لسانك تعظيمًا لشأنه، أو صون لسانك عن ذكره احتقارًا لشأنه، فالأول**: نحو قولك: **(رافع راية التوحيد، مقوض دعائم الشرك)** وتقصد: النبى ﷺ فتترك ذكره صونًا له عن لسانك تعظيمًا له، **والثانى**: نحو قولك: **(مخذول مدحور)** وتقصد: إبليس اللعين، فتحذفه صونًا للسانك عن ذكره، احتقارًا له.

٧- **تأتى الإنكار عند الحاجة إليه**، ومثال ذلك: أن يحضر إليك جماعة من بينهم خصم لك، فتقول لآخر: **(فاجر، فاسق)** وأنت تقصد هذا الخصم ولكنك تترك ذكر اسمه، حتى يتسنى لك أن تنكر عند لومه لك على سبه.

٨- **قصد تعين المسند إليه**: إما لأن المسند لا يصح إلا للمسند إليه، ومثاله قولك: **(عالم الغيب والشهادة)**، تريد الله -سبحانه وتعالى- فتحذفه لتعينه، إذ إن علم الغيب والشهادة خاص به تعالى.

وإما لأن المسند قد بلغ فى المسند إليه مرتبة الكمال، ومثله قولك : **(عادل فى حكومته)** وتريد: عمر بن الخطاب -رضى الله عنه-، فتحذفه؛ لأن صفة العدالة بلغت فيه حد الكمال، وقولك: أمير الشعراء: وتقصد: **(شوقى)**، لأن إمارة الشعر قد لزمت له بإجماع شعراء عصره لبلوغها فيه حد الكمال، وإما لأن المسند إليه معهود بين المتكلم والمخاطب، كقولك: **(حضر)** تريد شخصًا معهودًا بينك وبين المخاطب.

٩- ادعاء تعين المسند إليه، وذلك كقولهم: (هازم الجيوش) يريدون: «خالد بن الوليد».

١٠- قصد المحافظة على الوزن، أو السجع، أو القافية:

فمثال الأول قول الشاعر:

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى ... وأخرج منه لا عَلَيَّ ولا لِيَا

أي: لا عليّ شيء، ولا لي شيء؛ فحذف المسند إليه، وهو لفظ (شيء) محافظة على وزن البيت.

ومثال الثاني: قولهم: (**من كَرُمَ أصلُه وُصِلَ حَبْلُه**)؛ والتقدير: وَصَلَ النَّاسُ حَبْلَهُ ولكنهم حذفوا المسند إليه الأصلي؛ وهو الفاعل: محافظة على السجع.

ومثال الثالث قول لبيد:

وما المالُ والأهلون إلاَّ ودائع ... ولابُدَّ يومًا أنْ تُرَدَّ الودائع

يقصد أن يرد الناس الودائع فحذف المسند إليه محافظة منه على القافية؛ ولولا ذلك لصارت منصوبة -والقافية في القصيدة كلها- مضمومة لا مفتوحة.

١١- اتباع الاستعمال الوارد -على حذف المسند إليه- وذلك كما في الأمثال الواردة من مثل قولهم: (**رمية من غير رام**) يقصدون: هي رمية موفقة ممن لا يحسن الرمي، فإذا ما قلنا هذا القول في إنسان قد وفق في عمله عفو الخاطر، ولكنه ليس أهلاً لمثل هذا التوفيق، كان هذا القول مطابقًا لمقتضى حاله، ومثله قولهم: (**شِنْشِنة أعرفها من أخزم**)، أي: هي شنشنة.

ذكر المسند إليه

من الأغراض التي ذكرها البلاغيون لذكر المسند إليه:

١- أن يكون ذكر المسند إليه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل، فإذا كنت مع صديق لك تنتظر قدوم محمد -مثلاً- ثم رأيته، فقلت: (قدم محمد) كنت بذلك قد ذكرت المسند إليه، وهو: (محمد) مع قيام قرينة الحال عليه، ولو قلت: (قدم) وحذفت المسند إليه لكان ذلك جائزًا أيضًا.

٢- ضعف التعويل على القرينة، لأنها غير واضحة، أو للاشتباه فيها.

فالأول: وهو أن تكون القرينة غير واضحة، مثاله: أن يذكر المسند إليه فى حديث، ثم تمضى فترة حتى يطول عهد السامع به، فيذكر ثانيًا، لاحتمال غفلة السامع لطول العهد به.

والثانى: وهو أن يشتبه فى أمر القرينة، مثاله: أن يذكر المسند إليه فى حديث، ثم يحول مجرى الحديث إلى غيره، فيذكر المسند إليه ثانيًا، لئلا يلتبس الأمر على السامع، فلا يعلم المحدث عنه على وجه اليقين، وذلك كأن يكون الحديث عن شوقى، ثم يجرى الحديث عن شاعر غيره؛ فإذا ما أردت مدح شوقى حينئذ، قلت: شوقى نعم الشاعر.

٣- التنبيه إلى أن السامع غبى لا يفهم المحذوف مع وجود قرائنه؛ فيذكر المسند إليه إشارة إلى هذا الغرض، وذلك كما تقول لمن يسمع القرآن الكريم ولكنه لا يحفل به: **(القرآن شفاء للقلوب)**.

٤- إظهار تعظيم المسند إليه وتفخيمه؛ لأن اللفظ مما يدل على التعظيم، أو إظهار تحقيره والتهوين من شأنه، لأن اللفظ مما يدل على التحقير.

فمثال الأول؛ قولك: **(قائد الجيش قادم)** ومثال الثانى: **(اللئيم قادم)**.

٥- إرادة التبرك بذكره، أو التلذذ بسماعه:

فمثال ذكر المسند إليه للتبرك قولك: **(هل قال رسول الله كذا؟)** فتذكر المسند إليه وهو: **(رسول الله)** تيمنًا بذكر اسمه، وتبركًا به.

ومثال ذكر المسند إليه للتلذذ به، قولك: **(ليلى أقبلت)** و**(بثينة سلمت)**.

٦- القصد إلى بسط الكلام وإطالته، وذلك حيث يكون إصغاء السامع مطلوبًا للمتكلم لخطر مقامه، أو لقربه، ولهذا يحسن إطالة الكلام مع الأحبة، وذلك كما فى قوله تعالى -حكاية لقول موسى- عليه السلام-: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨] جوابًا عن سؤاله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، وقد كان يكفى فى الجواب أن يقول: «عصا» لأن «ما» للسؤال عن الجنس، ولكنه ذكر المسند إليه وهو الضمير «هى»

حبًا فى إطالة الكلام فى حضرة الذات العلية، ولهذا لم يكتف سيدنا موسى عليه السلام، بذكر المسند إليه ولكنه أردف ذلك بذكر أوصاف لم يسأل عنها، فقال: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، ولم يذكر هذه هذه المآرب طمعًا فى أن يسأل عنها فيجيب فيتلذذ بالسؤال والجواب معًا.

٧- **إظهار التعجب منه، لأن الحكم غريب يندر وقوعه،** وذلك كقولك -عن إنسان سبق الحديث عنه: فلان يصارع الأسود، أو فلان عبر المحيط!!

٨- **قصد التسجيل على السامع بن يدى القاضى حتى لا يكون له سبيل إلى الإنكار،** وذلك كأن يقول القاضى لمن شاهد واقعة: هل أقر هذا بأن عليه لفلان كذا من المال؟ فيجيب الشاهد: نعم أقر فلان أمامى بكذا، فيذكر اسمه لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً إلى الإنكار إذا لم يذكر اسمه.

٩- **حرص المتكلم أن يضيف الخبر إلى المسند إليه فى صورة واضحة ومؤكدة،** ومن ذلك قول عبد الله بن الدمينة معاتبًا صاحبته أمامة:

وأنتِ التى قطعت قلبى حزازة ... وفرقت قرح القلب فهو كليم
وأنتِ التى كلفتنى دلج السُّرى ... وجُونُ القطا بالجهلتين جثومُ
وأنتِ التى أحفظتِ قومى فكلهم ... بعيدُ الرضا، دانى الصدور كظومُ

فأجابته أمامة -على وزنها، ورويها-:

وَأَنْتَ الذى أخلفتنى ما وعدتنى ... وأَشْمَتَّ بى مَنْ كان فيكَ يُلومُ
وَأَبْرَزْتنى للناس ثم تركتنى ... لهم غرضًا أُرْمى وأنت سليم
فلو أنَّ قَولاً يَكْلُم الجسم قد بدا ... بجسمى من قول الوشاة كُلومُ

فالشاعر هنا يلوم صاحبته بأنها قطعت قلبه وجدًا، ونكأت جرح قلبه، وكلفته الإدلاج بالسرى، أغضبت قومه عليه، وأمامة تجيبه معاتبة هى الأخرى بأنه أخلف وعده لها، وأشمت بها من كان يلومها فيه، وكشف أمرها للناس، ثم تركها غرضًا لسهام قالتهم.

وقد ذكر الشاعر ضمير صاحبته -وهو المسند إليه- فى كل بيت لكى يسند إليه هذه الأفعال فى صورة واضحة ومؤكدة، وهى: تقطيع قلبه، وتكليفه الإدلاج بالسرى، وإحفاظ قومه عليه.

كما أن صاحبته هى الأخرى قد ذكرت ضميره فى أول الأبيات، لكى تسند إليه تلك الأفعال فى صورة واضحة ومؤكدة، وهى: أنه أخلف ما وعدها به، وأنه أشمت به اللوام، وأنه كشف أمرها للناس ثم تركها غرضًا لألسنتهم.

****

تمرينات

على ذكر المسند إليه وحذفه

(١)

بين الأغراض التى دعت إلى حذف المسند إليه أو التى دعت إلى ذكره فيما يأتى:

أ- قال الله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾.

ب- قال الله تعالى: ﴿والله قدير والله غفور رحيم﴾.

جـ- الرئيس يكلمك.

د- وإنى رأيت البخل يزرى بأهله   فأَكْرَمْتُ نفسى أن يقال بخيلُ

هـ- وما المال والأهلون إلا ودائع   ولابد يومًا أن تُردَّ الودائع

و- سألونى فى سقامى   كيف حالى؟ قلتُ: نِضْو

ى- قول النبى ﷺ: «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

(٢)

٢- لماذا ذكر المسند إليه فى كل مما يأتى؟

أ- وائل يصارع الأسود.

ب- قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾.

جـ- فعباس يصد الخطب عنا   وعباس يجير من استجارا

د- بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   لَيلاَيَ منكن أمْ لَيْلَى من البَشَرِ؟

(٣)

لماذا حذف المسند إليه فى كل مما يأتى:

أ- خَلِيلَيَّ إما أن تعينا وتسعدا ... وإما كَفَافًا؛ لا عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

ب- «مَرْعَى ولا كالسعدان».

جـ- من ساء طبعه هجر رَبْعُهُ.

د- سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى الندى بسريع

حريص على الدنيا مضيع دينه ... وليس لما فى بيته بمضيع

****

تعريف المسند إليه

وإنما قدموا تعريف المسند إليه على تنكيره، لأن التعريف هو الأصل والتنكير هو الفرع، والأصل مقدم على الفرع.

وإنما كان التعريف -فى المسند إليه- هو الأصل، لأنه -كما قالوا- محكوم عليه، والحكم على المجهول ليس مفيدًا.

تعريف المسند إليه بإيراده اسمًا موصولاً.

وأما تعريفه بإيراده اسمًا موصولاً، فإنه يكون لأغراض منها:

١- **ألا يكون المخاطب عنده علم بالأحوال المختصة به سوى الصلة،** وذلك كقولك: الذى كان معنا أمس رجل عالم، وذلك إذا لم يكن لمخاطبك عهد به قبل لقائه.

٢- **استهجان التصريح باسم المسند إليه،** وذلك كقول الفقهاء: **(الذى يخرج من السبيلين ناقض للوضوء).**

٣- **تقرير الغرض المسوق له الكلام،** وذلك كما تقول لصديق لك: **(خانك الذى ائتمنه على أسرارك).**

وذلك لأن الغرض المسوق له الكلام هو بيان مدى خيانة هذا الإنسان، فإذا كان قد اؤتمن على الأسرار ووضعت فيه الثقة فى عدم إذاعتها ثم أفضى بها كان بذلك قد وصل إلى منتهى الخيانة.

ومن هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ**﴾ [يوسف: ٢٣] وذلك لأن الغرض المسوق له الكلام هو: تقرير نزاهة يوسف عليه السلام، والتعبير بالموصول أدل على هذا الغرض مما لو قال: وراودته امرأة العزيز أو زليخا، لأنه كان فى بيتها وقد واتته فرصة التمكين من نيل ما طلبت منه، ولكنه -مع ذلك- عف وامتنع، فكان ذلك غاية فى نزاهته عليه السلام.

ومما نلحظه من نكتة التعبيـر بالموصول هنا أنه لو قال: وراودته امرأة العزيز، لما كان هذا نصًّا فى المرأة التى راودته، لجواز أن يـكون للعزيز نسـاء أخريات، ولو قال: وراودته زليخا، لاحتمل الكلام مسمى آخر بهذا الاسم؛ غير امرأة العزيز.

٤- وقد يكون تعـريف المسند إليه بالـموصول سـبيلاً إلى ذكر مـعان ذات أهـمـية فى سياق الكلام، وذلك كما فى قول كعب بن زهير لما جاء عائذًا برسول الله ﷺ:

نُبِّـــئْـتُ أن رســـول الله أوعــــدنى ... والوعــد عند رســول الله مــأمــول
فـقـد أتيتُ رسـول الله مـعـتـذرًا ... والعـذر عند رسول الله مـقـبـولُ
مَـهْـلاً هداك الذى أعطاك نـافلة الـ ... ـقـرآن فـيـهـا مـواعـيظ وتفـصـيل
لا تأخـــذنى بأقـــوال الوشـــاة ولم ... أذنب ولَوْ كَـــثُـــرَتْ فىَّ الأقـــاويل

والشـاهد فى قـوله: (هَدَاكَ الذى أَعطَاكَ) فلم يقل: هَدَاكَ رَبُّكَ، أو: هداك الله؛ بل يكون فى الصلة مـا يناسب حاله، وقد عـبر بالصلة عن عطاء الله لنبـيه محمد ﷺ وفى هذا تنويه بمكانته عند الله، واعـتراف صريح بنبوته، وإشارة إلى ما فى القرآن الكريم من مواعظ تدعو إلى العفو والصفح وقبول الإسلام ممن جاء عائذًا.

٥- تفخيم المسند إليه وتهويل أمره؛ وذلك ما تراه فى قول الله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] أى: أنهم قد غمرهم ماء غزير لا يحيط به وصف ولا يدركه وهم.

ومنه قول الشاعر:

مضى بهـا ما مضى من عقل شـاربها ... وفى الزجــاجـة بـاقٍ يطلب البــاقى

يصف الشـاعر الخمـر فيـقول: لقـد ذهب بسبب شربـها قدر عظيم مـن عقل شاربها، ولم يبق فى الكأس إلا ثمالة تطلب البقية الباقية من عقله.

والشاهد هنا قوله (مضى بهـا ما مضى) حيث أتى بالمسند إلـيه اسمًا مـوصولاً لقصد تفخيم ما ذهب عن عقل شارب الخمر وأنه أكبر من أن يوصف.

٦- وقد يكون فى مدلول الصلة ما يشير إلى خطأ وقع من المخاطب أو غيره، فيؤتى بالموصول تنبيهًا له إلى هذا الخطأ، وذلك مثل قول عبدة بن الطبيب يعظ بنيه لما أسن ورابه بصره:

إنَّ الذين ترونهم إخـوانكم ... يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

فقد عبر الشاعر عن المسند إليه بالموصول لتنبيه المخاطبين إلى خطئهم، ولو قال: إن قوم فلان يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا، لما كان فيه تنبيهًا إلى خطأ.

ومما فيه تنبيه المخاطب إلى خطأ غير المخاطب قول عروة بن أدينة متغزلاً:

إنَّ التى زعمت فؤادك مَلَّها ... خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقْتَ هوًى لها

فقد عبر عن المسند إليه بالموصول تنبيهًا إلى خطأ صاحبته فى زعمها أن قلبه قد زهد فيها وتحول عنها إلى غيرها.

٧- وقد يكون فى مدلول الصلة ما يومئ إلى نوع الخبر، فيؤتى بالمسند إليه موصولاً، للإيماء إلى هذا الخبر.

وذلك كما فى قول الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**﴾ [الكهف: ١٠٧] فمدلول الصلة وهو (**الإيمان والعمل الصالح**) يشير إلى أن الخبر من نوع الإثابة وحُسن الجزاء.

وكما فى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠] فمدلول الصلة وهو (**الاستكبار**) يشير إلى أن الخبر من نوع العذاب وسوء الجزاء.

أ- وقد يكون الإيماء إلى نوع الخبر وسيلة إلى التعريض بتعظيم شأن الخبر، أو التعريض بتحقيره، فمثال ما فيه تعريض بتعظيم شأن الخبر، قول الفرزدق يفاخر جريرًا، ويعرض بتعظيم شأن بيته:

إنَّ الذى سمك السَّماءَ بنى لنا ... بيتًا دعائمه أعزُّ وأطول

فقد عبر عن المسند إليه بالموصول؛ لأن فيه قصدًا إلى أن الخبر المرتب عليه من نوع البناء الرفيع، ولكن ذلك ليس هو غرض الشاعر، وإنما غرضه أن يتوسل

بهذا الإيمـاء إلى التعريض بتـعظيم شأن بيتـه وتفخيـمه، لأنه من صنع من رفع السماء.

ومما فيه تعـريض بالتهوين من شأن الخـبر قولك: إن الذى لا يعرف الفـقه قد صنف فيه، وإن الذى لا يحسن قرض الشعر قد أنشأ قصيدة.

ب- وقد يجعل الإيمـاء إلى نوع الخبر ذريعة إلى تعظيم غيـر الخبر، وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٩٢] فـالصلة وهى تكذيبهم شعـيبًا قـد أومأت إلى نوع الخبر، وهو الخـسران، ولكنه لم يقصد إلى هذا، وإنما قـصد من وراء هذا الإيماء إلى تعظيم شأن شعيب عليه السلام.

وقد يجعل ذريعـة إلى تحقيره، كـما فى قولك: (**إن الذى يتبع الشـيطان خاسر**) فالصلة -وهى اتباع الشيطان- قد أومـأت إلى نوع الخبر، وهو الخسران، ولكنك لم تقصد إلى هذا ، وإنما قصدت تحقير الشيطان نفسه.

جـ- وقد يجعل الإيماء إلى نوع الخبر ذريعة إلى تحقيقه، كما فى قول عبدة بن الطبيب -وقد يئس من صاحبته خولة بعد مهاجرتها، وحلولها بالكوفة مجاورة أهل المدائن-:

إنَّ التى ضَـربَتْ بيـتًا مـهـاجـرةً … بكوفـة الجند غَـالـتْ وُدَّهَا غـولُ

والشاهد فى قوله: «**إن التى ضربت بيتًا مهاجرة**» ففى هذه الصلة إيماءٌ إلى أن الخبر من نوع زوال المحبة وانقطاع حبل المودة، ولأنهـا لو كانت باقية على حبه لما هاجرت عنه، ولما بنت بيتًا فى دار هجرتها لتقيم فيه إقامة دائمة.

تعريف المسند إليه باسم الإشارة

ذكر البلاغيون لتعريف المسند إليه باسم الإشارة الأغراض التالية:

١- تمييز المسند إليه أكمل تمييز، لصحة إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسًا.

والسر فى أن تمييز المسند إليه أكـمل تمييز لا يتم إلا باسم الإشارة هو: أنك إذا أشرت إلى شيء فكـأن هذا الشيء -وإن كان معنى من المعـانى- موجـود أمامك

فعلاً، ولهذا فإنك تشير إليه؛ إذ لا يشار إلا إلى موجود، وبإشارتك إليه دون غيره، تكون قد ميزته عن غيره مما لم تشر إليه مما هو موجود معه بخلاف العلم - مثلاً- فإنك إذا قلت «محمد» -مثلاً- فإن هذا الاسم -وإن كان قد وضع لذات معينة- فإن ثمة مسميات أخرى بهذا الاسم، فلا يتم تمييز المسند إليه أكمل تمييز.

وقد يقتضى المقام تمييز المسند إليه أكمل تمييز لكى تسند إليه الخبر قويًا متمكنًا، وذلك لأن ظهور المسند إليه ووضوحه فى ذهن السامع مما يعين على قوة إسناد الخبر إليه، كقول ابن الرومى، يمدح أبا الصقر الشيبانى:

هذا أبو الصقر، فَرْدًا فى محاسنه　　من نَسل شيبان بين الضال والسلم

فقد أراد الشاعر أن يخبر الممدوح بأنه أشهر من نار على علم بتفرده فى كل حسن معنوى، وأنه سليل قوم ذوى شمم وإباء، لأنهم يسكنون البوادى، حيث الحرية والبعد عن سلطة الحكام، فقال لتمييزه أكمل تمييز لكى يسند إليه الخبر بأنه **(أبو الصقر)**، أى الذى يعرفه كل الناس لتفرده فى محاسنه، وأنه **(من نسل شيبان)** الذين يسكنون البوادى، ويعشقون الحرية، فكان من قوة الخبر ما قد رأيت.

ومنه قول بعض الشعراء يمدح حاتمًا الطائى:

وإذا تأمل شخص ضيف مقبل　　متسربل سربال ليل أغبر

أو ما إلى الكوماء: هذا طارقٌ　　نحرتنى الأعداء إن لم تنحرى!!

يقول الشاعر: إن حاتمًا إذا رأى فى ظلمات الليل ضيفًا أشار إلى الناقة العظيمة السنام قائلاً لها: هذا القادم إلينا ضيف طارق، لا كنت إن لم تكونى له طعامًا.

فقد عبر عن المسند إليه باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز، لكى يسند إليه الخبر متمكنًا قويًا، وهو أنه ضيف طارق وجب قراه.

٢- التعريض بغباوة السامع، وأنه لا يفهم إلا من المحسوسات التى يشار إليها بالبنان، ومن ذلك قول الفرزدق يمدح عليًا بن الحسين بن على بن أبى طالب عندما تجهله هشام بن عبد الملك قائلاً: من هذا؟:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته / والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم / هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله / بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك: من هذا؟ بضائره / العُرْبُ تَعْرِفُ من أنكرْتَ والعَجَمُ

فقد عرض الشاعر بغباوة هشام بن عبد الملك بتكراره المسند إليه معرفًا باسم الإشارة فى الأبيات الثلاثة الأولى إذ قال: **(هذا الذى تعرف البطحاء وطأته) (هذا ابن خير عباد الله كلهم) (هذا التقى النقى الطاهر العلم) (هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله)** فكأن هشامًا غبى لا يفهم إلا المحسوسات التى يشار إليها بالبنان، ولكنه كرر اسم الإشارة لينبه إلى أن غباوة هشام قد زادت حتى أصبح لا يفهم المحسوسات التى يشار إليها إلا إذا تأكدت بالتكرار.

٣- تعظيم المسند إليه أو تحقيره:

واسم الإشارة للقريب قد يكون مجالاً للتعظيم، وقد يكون مجالاً للتحقير، وكذلك اسم الإشارة للبعيد. قد يكون مجالاً للتعظيم، وقد يكون هو الآخر مجالاً للتحقير.

فقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] قد قصد فيه تعظيم المسند إليه -وهو القرآن الكريم- بالقرب، تنزيلاً لقربه من النفس منزلة قرب المسافة، ولهذا عبر عنه باسم الإشارة الموضوع للقريب تحقيقًا لهذا الغرض.

وقول الله تعالى: حكاية عن امرأة العزيز -ردًا على أولئك النسوة اللائى لمنها فى يوسف عليه السلام-: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] قد قصد فيه تعظيم يوسف عليه السلام، ولهذا عبر عنه باسم الإشارة الموضوع للبعيد، فقال: ﴿فذلكن﴾ ولم يقل: ﴿فهذا﴾ -مع أنه كان حاضرًا معهن فى المجلس، رفعًا لمنزلته فى الحسن البالغ حد الكمال، وتمهيدًا لإبداء العذر فى افتتانها به.

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] قد قصد به تحقير المسند إليه -وهو الذى يدع اليتيم- بالبعد تنزيلاً لبعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعدالمسافة.

وقول الشاعر -وقد رأته زوجته يطحن للأضياف- فضربت صدرها وقالت: أهذا زوجى؟ فبلغه ذاك فقال:

تقول -وصكت نحرها بيمينها- أَبَعْلِىَ هذا بالرحى المتقاعسُ؟!

والشاهد فى البيت قوله: أبعلى هذا؟! فإن صاحبته قد عبرت عنه باسم الإشارة القريب، إشارة منها إلى دنو منزلته، والتصاقه بالتراب متقاعسًا يطحن بالرحى شأن الخدم والعبيد.

٤- وقد يكون الغرض من تعريف المسند إليه باسم الإشارة: التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف، جدير -من أجل تلك الأوصاف- بما ذكر بعد اسم الإشارة" وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة: ٢- ٥]، فالمشار إليه فى الآية هم المتقون الموصوفون بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله، والإيمان بما أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على الرسل من قبله، وبالإيقان بالآخرة.

وقد عبر عنهم باسم الإشارة (**أولئك**) -وإن كان التعبير عنهم بالضمير ممكنًا- للتنبيه على أنهم -من أجل تلك الأوصاف- جديرون بالهداية فى الدنيا، وبالفلاح فى الآخرة.

ومن هذا القبيل قول عروة بن الورد:

ولله صعلوك صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك إنْ يلق المنية يلقها حميدًا وإن يستغن يومًا فاحذر

فقد وصف عروة هذا الصعلوك بصفات هى: أنه مشرق الوجه بأعماله المجيدة، وأنه لايزال يطل على أعدائه ويشرف عليهم، فيظفر منهم بكل ما يريد

على الرغم من صياحهم به وزجرهم له، وأن أعـداءه لا يأمنون غزوه مهما بعدوا عنه، بل إنهم ليـنتظرونه انتظار أهل الغـائب له، مع أنه لا مـحـالة راجع إليـهم ومصيب أمـوالهم، ثم أشار بقوله: **(فذلك)** إلى أنه -من أجل ما ذكره من تلك الأوصاف -جدير- إذا مات- بأن تظل ذكراه خالدة لمحامده ومناقبه، وأن يبقى - إذا عاش- غنيًا كريمًا، موفور الكرامة، لشجاعته وبسالته.

****

تمرينات

على تعريف المسند إليه بالموصول واسم الإشارة

(١)

١- يأتى المسند إليه معرفًا باسم الإشارة، لأغراض يقصدها البليغ، اذكر ثلاثة من تلك الأغراض ممثلاً لكل منها.

٢- ما وجه دلالة اسم الإشارة للبعيد على تعظيم المسند إليه تارة، وعلى تحقيره تارة أخرى؟ مثل لما تقول.

٣- يأتى المسند إليه معرفًا بإيراده اسمًا موصولاً لأغراض بلاغية، اذكر خمسة من هذه الأغراض، ممثلاً لكل منها بما قرأت من مأثور الكلام.

٤- قد يجعل الإيماء بالموصول إلى نوع الخبر وسيلة إلى أغراض أخرى يقصدها البليغ، وضح غرضين من تلك الأغراض، ممثلاً لها بمثالين مختلفين.

٥- قال الله تعالى: ﴿فذلك الذى يدع اليتيم﴾، لماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت به للقريب؟

٦- لماذا أوثر اسم الموصول على غيره من المعارف فى قول الشاعر:

أَعُبَّادَ المسيح يخاف صحبى ... ونحن عبيدُ من خَلَقَ المسيحا؟!

٧- مثل لما تقتضيه الأغراض التالية:

أ- التعريض بغباوة السامع.

ب- إفادة التفخيم فى المسند إليه.

جـ- تحقير المسند إليه بإشارة البعيد تارة، والقريب تارة أخرى.

د- استجهان التصريح بالمسند إليه.

٨- بين الأغراض التى دعت إلى تعريف المسند إليه فيما يأتى:

أ- هذا ابن خـيـر عـبـاد الله كـلـهم ... هذا الـتـقـى النَّقـىُّ الطـاهِرُ الْعـلَمُ

ب- لا يعـرف الشـوق إلا من يـكابده ... ولا الصَّـبَـابة إلا مـن يعـانيـهـا

جـ- إن الذى سـمك السـمـاء بنى لنا ... بيـتًـا دعـائمـه أعـزو أطول

د- إنَّ التى زعـمـت فـؤادك ملّهـا ... خُلِقَتْ هوَاكَ كـما خُلِقْتَ هوًى لَهـا

هـ- مَضَى بهـا ما مضى من عقل شـاربها ... وفى الزجـاجـة بـاقٍ يَطْلُبُ البـاقى

و- إنَّ التى ضـربت بيـتًـا مـهـاجـرة ... بكوفـة الجند غـالت ودها غـول!

****

تقديم المسند إليه

من الأغراض التى ذكرها البلاغيون لتقديم المسند إليه، ما يلى:

١ - **أن التقديم هو الأصل ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل**، كقولنا: **(محمد خاتم النبيين)**، فقد قدم المسند إليه، لأن الأصل فيه هو التقديم؛ لأنه هو المحكوم عليه بأنه خاتم النبيين، فينبغى أن يذكر مُقَدَّمًا.

٢ - **أن يكون المقصود هو تمكن الخبر فى ذهن السامع، لأن فى المبتدأ تشويقًا إليه**، كقول أبى العلاء المعرى:

والذى حارت البرية فيه ... حَيَوانٌ مستحدثٌ من جماد

أى: إن الذى حَيَّر الخلائق هو ذلك الحيوان الآدمى الناشئ من جماد، أى من طين، والشاهد فيه قوله: **(والذى حارت البريه فيه)**؛ حيث قدم المسند إليه؛ لأن فيه تشويقًا إلى الخبر، بقوله: **(حارت البرية فيه)** ومثل ذلك الأمر الذى يحير البرية مما يجعل النفس تتشوق إلى معرفته فإذا ما جاء الخبر وهو قوله: **(حيوان مستحدث من جماد)** عرفته النفس وتمكن منها أفضل تمكن، ومثل هذا قولهم: **(الذى يقاوم الأسد فى عرينه فلان)** وهكذا.

٣ - **تعجيل المسرة للتفاؤل، أو المساءة للتطير، لكونه صالحًا للتفاؤل، أو المساءة**، كقولك: **(سعد فى دارك)** و**(السفاح فى دار صديقك)**، فقد قدم المسند إليه فى المثالين للمبادرة إلى إدخال السرور على قلب السامع، فيتفاءل بحصول الخبر فى المثال الأول، وللمبادرة إلى إدخال الغم على قلبه، فيتطير من الخبر فى المثال الثانى.

٤ - **إيهام السامع أن المسند إليه لا يغيب عن خاطره لشدة حاجته إليه، أو أنه يستلذه لقربه من قلبه، أو أنه يتبرك به لسمو مقامه.**

فالأول مثل قول الغفير: **(الدرهم مطلوب)** والثانى مثل قولك: **(ليلى حضرت)** وقول جميل بثينة:

بشينة ما فيها إذا ما تبصرت ... معابٌ وما فيها إذا نُسِبَتْ أشَب

والثالث مثل قولك: (الله ربنا) و(محمد نبينا).

٥- **إظهار تعظيمه أو تحقيره**: وذلك إذا كان اللفظ مشعرًا بالتعظيم أو التحقير، إما بنفسه كقولك: (**أبو الفضل عندنا**) و(**أبو الجهل رحل عنا**) أو بإضافة كقولك: (**ابن الأمير قادم**) و(**ابن الخادم راحل**) أو بوصف كقولك: (**رجل فاضل عندنا**) وقولك: (**رجل جاهل مر بنا**).

٦- **إفادة تخصيص المسند إليه بالمسند، أو إفادة تقوّى الحكم**، وذلك إذا كان المسند فعلاً رافعًا لضمير المسند إليه، وقد وقع المسند إليه بعد أداة النفى، مثال ذلك أن تقول: (**ما محمد قال هذا الشعر**) و(**ما أنا رأيت هذا الرجل**) و(**ما طالب أحضر هذا الكتاب**) فتقديم المسند إليه فى تلك الأمثلة مفيد لتخصيص المسند إليه بالمسند سواء أكان المسند إليه اسمًا ظاهرًا معرفة، أو ضميرًا أو نكرة، لأنه قد وقع بعد أداة نفى.

فقد نفيت قول الشعر عن محمد خاصة وأثبته لغيره، ونفيت عنك خاصة رؤية هذا الرجل وأثبتها لغيرك، ونفيت إحضار هذا الكتاب عن جنس الطلاب وأثبته لغيره.

وقد رأيت من الأمثلة السابقة أن هذا الأسلوب قد أفاد أمرين:

أولهما: انتفاء الحكم عن المسند إليه، **والآخر**: ثبوت هذا الحكم لغيره، غير أن انتفاء الحكم قد دل عليه منطوق العبارة، أما ثبوتها لغير المسند إليه فقد دل عليه مفهومها.

فهذا الأسلوب لا يكون إلا فى شىء ثبت حصوله فعلاً، ويراد نفى حصوله عن المسند إليه خاصة.

ولهذا لا يصح أن يقال: ما أنا رأيت هذا الرجل ولا غيرى، لأن منطوق (**لا غيرى**) يتنافى مع مفهوم العبارة، لأن مفهوم (**ما أنا رأيت هذا الرجل**) ثبوت هذه الرؤية للغير، ومعنى (**لا غيرى**) نفيها عنه وهما متناقضان.

فإذا لم يقع المسند إليه بعد أداة نفى بأن لم يكن فى الكلام نفى أصلاً كما فى قولك: (**محمد سعى فى حاجتك**) و(**أنا كتبت فى شأنك**) أو كان فى الكلام نفى، ولكنه تأخر عن المسند إليه كما فى قولك: (**محمد ما سعى فى حاجتك**) و(**أنا ما

كتبت فى شأنك) فإن كان المسند إليه معرفة، اسمًا ظاهرًا أو ضميرًا -كما مثلنا- جاز أن يراد من التركيب التخصيص، وأن يراد منه تقوى الحكم حسبما يتطلبه المقام، فإن كان المتكلم فى مقام الرد على منازع فى الحكم، كان الكلام مفيدًا للتخصيص، وإن كان القصد إلى مجرد الحكم على المسند إليه دون نظر إلى التعرض للرد على منازع، كان الكلام مفيدًا لتقوى الحكم فى ذهن السامع.

وإن كان المسند إليه نكرة - كما إذا قلت: **(رجل أعد هذه المائدة)** أفاد التركيب تخصيص الجنس أو الوحدة، ويكون المعنى: رجل لا امرأة، أو: رجل لا رجلان.

وهذا هو رأى الإمام عبد القاهر الجرجانى، وهو المعول عليه عند البلاغيين، ويتلخص هذا الرأى فيما يلى:

إن كانت أداة النفى سابقة على المسند إليه -سواء أكان معرفة **أو** نكرة- **أفاد** الكلام التخصيص **قطعًا**، وإن لم تسبقه أداة نفى، بأن لم توجد فى الكلام أصلاً، أو كانت متأخرة عنه، وكان المسند إليه معرفة **«ظاهرًا أو ضميرًا»**، احتمل الكلام التخصيص والتقوى حسبما يقتضيه المقام، وإن كان نكرة أفاد **التخصيص قطعًا**، وسواء وقعت بعد نفى أو لا.

والسر فى إفادة التقرير تقوِّى الحكم فى مثل قولك: **(محمد يعطى الجزيل)** هو: تكرر الإسناد، وذلك لأن المبتدأ -كما هو معلوم- يطلب الخبر، فإذا جاء الفعل بعد صرفه إلى نفسه، ثبت له، فإذا كان الفعل متضمنًا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه، فثبت له مرة أخرى؛ وبذلك يتكرر الإسناد، فيكتسى الحكم قوة.

فقولك: **(محمد يعطى الجزيل)** قد أفاد تقوى الحكم، لأن الفعل فيه وهو: **(يعطى)** قد أسند مرتين: مرة إلى **(محمد)** ومرة إلى ضميره المستتر فى الفعل فهو بمثابة قولك: **(يعطى محمد الجزيل، يعطى محمد الجزيل)** ويتكرر الإسناد بتقوى الحكم فيثبت فى ذهن السامع.

ومثل هذا التقوى يجرى فى حالة النفى -أيضًا- فقولك: **(محمد لا يعطى الجزيل)** قد أفاد قوة الحكم وهو نفى إعطاء الجزيل، لتكرر الإسناد، فقولك: **(أنت لا تكذب)** أقوى فى نفى الكذب من قولك: **(لا تكذب أنت)** لتكرر الإسناد.

٧- **إفادة عموم السلب**، وذلك إذا كان المسند إليه من أدوات العموم مثل: «**كل، وجميع، ولم تقع فى حيز النفى، كأن تتقدم على النفى لفظًا ورتبة، كقولك: كل بائع لم يغش**» فقد تقدمت (كل) على أداة النفى لفظًا ورتبة، أما فى اللفظ فواضح، وأما فى الرتبة، فلأنها مبتدأ، ورتبة المبتدأ التقدم على الخبر، فقد أفاد هذا التركيب عموم السلب؛ فالغش فى المثال منفى عن جميع البائعين بلا استثناء.

والسر فى إفادة مثل هذا التركيب عموم السلب: أنك إذا بدأت بأداة العموم كنت قد بنيت النفى عليها، وسلطت الكلية عليه وأعملتها فيه، وذلك يقتضى شمول النفى.

أما إذا وقعت أداة العموم فى حيز النفى، بأن وقعت بعده لفظًا ورتبة، أو رتبة فقط، لم يكن النفى عامًا، بل أفاد الكلام ثبوت الحكم لبعض الأفراد دون بعض.

أما وقوع أداة العموم فى حيز النفى لفظًا ورتبة، فمثاله قول أبى العتاهية:

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد ... إذا بدا لَكَ رأى مشكلٌ فقف

وقولك: ما حضر الطلاب كلهم، وما حضر كل الطلاب، ولم أكتب البيانات كلها، ولم أكتب كل البيانات، فقد وقعت أداة العموم بعد النفى لفظًا ورتبة فى كل تلك الأمثلة. وأما وقوع أداة العموم فى حيز النفى فى الرتبة فقط، فمثاله قولك: كلَّ البيانات لم أكتب، والبيانات كلَّها لم أكتب بنصب (كل) فيهما.

وأما قول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة: ٢٧٦] فإفادة الآيتين لعموم السلب ونفى الحكم من كل فرد إنما جاء من قرينة خارجية، هى تحريم الاختيال والكفر، وإلا فإن التركيب فى أصل وضعه لا يفيد العموم.

٨- («مثل» و«غير») **إذا استعملتا على طريق الكناية** فى نحو قولهم: (**مثلُكَ يَرْعَى الودَّ**) و(**غيرُكَ لا يَفى**)؛ على معنى: أنت ترعى الود، وأنت تفى، من غير أن يقصدوا إلى التعريض بأحد، أى لا يريدون «بمثل» أو «غير» غير ما أضيفتا إليه، لأنهم يقصدون إثبات رعاية الود للمخاطب فى الأول، وإثبات الوفاء له فى الثانى من طريق الكناية، لأنه أبلغ.

وتوضيح ذلك فيما يلي:

أ- **إذا قلت: (مثلك يرعى الود)** كنت قد أثبت رعاية الود لكل من هو مثل المخاطب فى صفاته والمخاطب متصف بها، فهو فرد من هذا العام، فلزم ثبوت رعاية الود له؛ لأن الحكم على العام ينسحب على كل فرد من أفراده، فقد أطلق الملزوم -وهو إثبات رعاية الود للمماثل-، وأريد اللازم وهو إثباتها للمخاطب.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى يعزى عضد الدولة:

مثلك يثنى الحزن عن صوبه ويسترد الدمع من غربه

أى: إنه قدير على دفع الحزن، ورد الدمع إلى مجراه.

ب- **وإذا قلت: (غيرك لا يفى)** كنت قد نفيت الوفاء عن كل من عدا المخاطب، فلزم قيامها بالمخاطب ضرورة وجودها إما فى المخاطب وإما فى غيره، فإذا انتفت عن غيره فقد ثبتت له، فقد أطلق الملزوم وهو نفى الوفاء عن كل من عدا المخاطب وأريد اللازم -وهو إثباته للمخاطب.

ومثله قول أبى تمام:

وغيرى يأكل المعروف سُحْتًا وتُشْحَبُ عنده بيض الأيادى

أى: إنه لا يجحد الصنيعة، ولا ينكر المعروف.

والسر فى أن الأسلوب الكنائى أبلغ هو أن الكناية كدعوى الشىء ببينة، فقولك: **(مثلك يرعى الود)** معناه: أنت ترعى الود، لأن من كان على صفاتك يرعاه. وقولك: **(غيرك لا يفى)** معناه: أنت تفى؛ لأن غيرك لا يفى، والدعوى إذا جاءت مشفوعة بالبينة كانت آكد وأقوى من دعوى لا تؤيدها بينة.

ولما كان استعمال **(مثل)** و**(غير)** كنايتين مفيدًا لإثبات الحكم من طريق أبلغ، وكان تقديمهما مما يعين على هذا الغرض - إذ فيهما تقديم للمسند إليه على الخبر الفعلى- لم يردا فى استعمالات العرب إلا مقدمين.

****

تمرينات
على تقديم المسند إليه

١- اذكر بإيجاز مذهب الإمام عبد القاهر فى إفادة تقديم المسند إليه التخصيص، مع التمثيل.

٢- بين معنى التخصيص فى قولك: **(ما أنا كَتَبْتُ هذا المقال)** ثم فرق بينه وبين قولك: **(أنا ما كتبت هذا المقال)**.

٣ - بم تعلل فساد قولهم: **(ما أنَا قُلْتُ هذا ولا غيرى)**؟

٤- بَيِّن السِّرَّ فى أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى يفيد تقوى الحكم، وأى القولين أنفى للكذب: قولك: **(لا تكذب أنت، أم قولك: أنت لا تكذب)** ولماذا؟

٥- ما السر فى أبلغية قولهم: **(مثلك لا يبخل)** و**(غيرك لا يجود)**؟

٦- مثل للأغراض التالية من أغراض تقديم المسند إليه.

أ- تمكن الخبر فى ذهن السامع، لأن فى المبتدأ تشويقًا إليه.

ب- تعجيل المسرة للتفاؤل، والمساءة للتطير.

جـ- إيهام السامع أن المسند إليه لا يغيب عن خاطره لشدة حاجته إليه.

د- إظهار تعظيم المسند إليه، أو تحقيره.

هـ- إفادة تخصيص المسند إليه بالمسند.

و- إفادة تَقَوِّى الحكم.

٧- ما الفرق بين قولك: **(أنت لا تكذب)** وقولك: **(لا تكذب أنت)**؟

٨- ما المراد بقولهم: **(سلب العموم)** وقولهم **(عموم السلب)**؟

ومن أيهما قول الله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ وقوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾؟ ولماذا؟

٩- لماذا قدم المسند إليه فى كل مما يأتى:

أ- **أنا لا أختار تقبيل يَدٍ — قطعها أجمل من تلك القُبَلْ**

ب- **أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى — وأسمعت كلماتى من به صَمَمُ**

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر
فى المسند إليه

قد يأتى المسند إليه مخالفًا لمقتضى الظاهر، لنكتة بلاغية يقصدها البليغ، ويتمثل ذلك فى موضعين:

الموضع الأول: وضع المضمر موضع المظهر، وله صورتان:

الصورة الأولى: «نعم» و«بئس» وذلك مثل قولك: «نِعْمَ رَجُلاً خالدٌ»، «بئس صاحبًا الكسل» فالمسند إليه ضمير مستتر فى (نعم) و(بئس) مع أن شرط الإضمار هو: أن يتقدم للضمير مرجع، ولا مرجع هنا، فظاهر الحال -هنا- يقتضى أن يؤتى بالمسند اسما ظاهرًا، لفقدان شرط الإضمار؛ فيقال: نعم الرجل خالد، وبئس الصاحب الكسل، فالرجل فاعل نعم، والصاحب فاعل بئس، وكلاهما اسم ظاهر، ولكن خولف فيهما مقتضى الظاهر، فوضع المضمر موضع المظهر، لنكتة بلاغية هى الإيضاح بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال، وهو الأنسب بمقام المدح والذم.

والصورة الأخرى: هى صورة ضمير الشأن، وذلك كما فى قول الشاعر:

هى الحياة كما شاهدتها دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءته أزْمَانُ

فالمسند إليه ضمير الغائبة، والشرط فى الإضمار، أن يتقدم المرجع ولا مرجع هنا، فكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمسند إليه اسمًا ظاهرًا، لفقدان شرط الإضمار. فيقال: الشأن، أو القصة.. إلخ، ولكن خولف مقتضى الظاهر، فوضع المضمر موضع المظهر للنكتة البلاغية التى عرفتها، وهى: الإيضاح بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال.

والموضع الثانى: هو وضع المظهر موضع المضمر:

وهذا المظهر الذى يوضع موضع المضمر: إما أن يكون اسم إشارة، وإما أن يكون غيره كأن يكون علمًا، أو معرفًا بأل، أو بالإضافة، أو نحو ذلك.

فإن كان هذا المظهر اسم إشارة، فلأغراض بلاغية، أهمها:

١- كمال العناية بتمييز المسند إليه، ليبدو في معرض المحسوس المشار إليه لاختصاصه بأمر عجيب، ومن ذلك قول ابن الراوندي:

كم عاقلٍ عاقل أعْيَتْ مذاهبه ... وجاهلٍ جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرةً ... وَصَيَّرَ العالم النحرير زنديقا!

والشاهد في البيتين قوله: **(هذا الذي)** فقد عبر عن المسند إليه باسم الإشارة، وكان ظاهر الحال يقتضي أن يعبر عنه بالضمير، فيقال: هما، وذلك لتقدم مرجعه، وهو ما أفاده البيت الأول من حرمان العاقل، وإعطاء الجاهل، ولكنه عدل عن الضمير إلى اسم الإشارة -كما رأيت- لكمال العناية بتمييزه، لاختصاصه بحكم بديع، وذلك لأن هذا الأمر لما كان قد خرج عن المألوف المتعارف اختص بحكم بديع، وهو ترك العقول حائرة وجعل العالم الذكي مزعزع الإيمان ملحدًا، ولهذا كان جديرًا بأن يميز أكمل تمييز ليشار إليه ويسند إليه هذا الحكم.

٢- التهكم بالسامع، وذلك كأن يسأل بصيرًا عن شيء، فيجيبه آخر مشيرًا إلى غير شيء تهكمًا به.

٣- التنبيه على كمال بلادة السامع؛ وأنه لا يدرك غير المحس بحاسة البصر؛ أو على كمال فطانته؛ وأن غير المحس عنده بمثابة المحس.

فمثال الأول قولك لمن يسألك عما بيدك -وبيدك مصحف-: هذا مصحف شريف، وكان الظاهر أن تقول: هو مصحف؛ ولكنك قلت: هذا مصحف لتنبه على كمال بلادته.

ومثال الثاني: قول الأستاذ لطلابه بعد أن يشرح مسألة: هذه مسألة واضحة. وكان مقتضى الظاهر أن يقول: هي مسألة، ولكنه عبر باسم الإشارة تنبيهًا على كمال فطنة الطلاب وأن المعقول عندهم كالمحس بحاسة البصر.

٤- ادعاء كمال ظهور المسند إليه حتى كأن المعقول -فى رأى المتكلم- مما يحس بحاسة البصر كأن تحاور إنسانًا فى مسألة ينكرها: هذه مسألة ظاهرة، وكان مقتضى الظاهر أن نقول: وهى مسألة ظاهرة، لكنك عبرت باسم الإشارة ادعاءً لكمال ظهور المسند إليه عندك حتى كأنه مما يحس بحاسة البصر.

وإن كان المسند إليه غير اسم الإشارة، فلأغراض بلاغية منها:

أ- أن يقصد تمكين المسند إليه فى ذهن السامع، لأن المقام يقتضى اعتناء بشأنه: ومن الاعتناء بشأنه أنه لا ينوب عنه ضمير، لأن الضمير -وإن جاز أن ينوب عنه- لا يغنى غناء الاسم الظاهر، لما يتضمنه الاسم من معنى له وقع عند المتلقى أو المتذوق فى رأى الشاعر أو الأديب، ففى إظهار الاسم مكان إضماره بيان لعظم أمر ما، شرفا أو خسة، جودة أو رداءة.

والشاهد على ذلك قول الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ [الإخلاص: ١، ٢]؛ لم يقل: «**هو الصمد**» -وإن كان ظاهر الحال يقتضى الإضمار، لتقدم المرجع- ولكنه قال: «**الله الصمد**» فوضع المظهر موضع المضمر، لأن المقام يقتضى الاعتناء بتمكين لفظ الجلالة من النفوس، وعلى هذا الأسلوب جرى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منه، حيث تريد تربية المهابة فى نفوس المؤمنين.

وأما ما جاء منه للذم فنحو قول الله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٩٨]، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾ ولم يقل (**عدو لهم**).

وقد سبق ذكرهم فى «**من**» المبهم، واسم كان المضمر فيها ذمًّا لهم بالكفر، تبيينًا أن عدو الله وملائكته ورسله لا يكون إلا كافرًا.

ومن الإظهار فى مقام الإضمار قول الفندى الزمانى -فى حرب البسوس- وكان بنو بكر بن وائل قد بعثوا إلى بنى حنيفة يستصرخونهم، فأمدوهم به وبقومه:

صفحنا عن بنى ذهل	وقلنا: القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يرجعـ	ـنَ قومًا كالذى كانوا
فلما صرَّح الشرُّ	وأمسى وهو عريانُ

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى العـــدوانِ دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبانُ

والشاهد فى الأبيات قوله: **(والليث غضبان)**، فقد أتى بالمسند إليه اسمًا ظاهرًا -وهو الليث- وكان ظاهر المقام يقتضى أن يأتى به ضميرًا، فيقول: **(وهو غضبان)** لتقدم مرجع الضمير- ولكنه عدل عن الإضمار إلى الإظهار، ليتمكن الاسم فى ذهن السامع لأن المقام -وهو الحرب- يقتضى الاعتناء به، لأن فى لفظ المسند إليه -وهو الليث- ما يشعر بالتفخيم والتهويل.

ب- **أن يقصد الاستعطاف**، كما فى قول الشاعر:

إلهى عبدك العاصى أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

كان ظاهر المقام يقتضى أن يقول: **(أنا العاصى)** ولكنه عبر بالاسم الظاهر وهو: **(عبدك)** قصدًا إلى الاستعطاف والتذلل، لما فى هذا اللفظ من معنى التذلل والاسترحام اللذين يقتضيان الشفقة والرحمة.

****

الالتفات

هو من أساليب العربية التى ورد بها القرآن الكريم، وكثر على ألسنة الشعراء.

وهو من قولهم: لفت وجهه عنه إذا صرفه، والتفت التفاتًا، إذا حول وجهه يمينًا أو شمالاً.

وهو فى اصطلاح البلاغيين: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة - التكلم، والخطاب، والغيبة- بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.

وإليك صور الالتفات كما صورها جمهور البلاغيين:

الصورة الأولى: الالتفات من التكلم إلى الخطاب: وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس: ٢٢]، فقد عبر عن المعنى أولاً بطريق التكلم فقال: «**ومالى لا أعبد الذى فطرنى**» ثم التفت فعبر عنه بطريق الخطاب، فقال: «**وإليه ترجعون**» وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «**وإليه أرجع**» وذلك لما فى الالتفات من فائدة تحذيرهم من أنهم راجعون إلى الله تعالى، فكأنه قال: كيف لا تخافون من ترجعون إليه فيحاسبكم على ما قدمتم؟

الصورة الثانية: الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقد عبر عن المعنى أولاً بطريق التكلم: فقال: «**يا عبادى**» ثم التفت فعبر عنه بطريق الغيبة فقال: «**من رحمة الله**» لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «**من رحمتى**» وذلك لما فى الالتفات من فائدة اقتضاها المقام، وذلك أنه أجرى الحديث أولاً على طريق التكلم، لأن الله تعالى أراد أن يغمر عباده الذين أسرفوا على أنفسهم فى المعاصى ثم ندموا على ما قدمت أيديهم، بعطفه، وأن يسبل عليهم رداء الأمان فأضافهم إليه تعالى ولكنه التفت فعبر عن نفسه بطريق الغيبة فقال: «**لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا**» تعظيمًا لاسمه سبحانه، وإشعارًا للمخاطبين بما يحمله هذا الاسم من عظمة، فيطمئنوا إلى رحمته، لأن أخص صفات الله تعالى هى الرحمة.

الصورة الثالثة: الالتفات من الخطاب إلى التكلم: ويمثلون لها بقول علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس:

طحا بكَ قَلْبٌ فى الحسانِ طَرُوبُ … بُعَيْد الشباب عصر حان مَشيبُ
يكلفنى ليلى وقد شط وَلْيُهَا … وعادت عواد بيننا وخطوبُ

فقد التفت الشاعر من الخطاب فى (طحا بك) إلى التكلم فى (يكلفنى).

والسر فى هذا الالتفات: أن الشاعر بعد أن جرد من نفسه شخصًا يخاطبه ويحدثه عما فعل به القلب بشغفه بالحسان بعد انصرام الشباب واقتراب المشيب، أحس بما ينوء به من تكليف القلب له وصل ليلى فى وقت عز فيه وصالها، وحالت نوازل الأيام دونه فالتفت إلى نفسه، فأجرى الحديث على طريق التكلم ليبث شكواه فيما ينوء به.

الصورة الرابعة: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ويمثلون له بقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وذلك لأن المخاطبين هم الذين إذا أنجاهم الله من الغرق يبغون فى الأرض بغير الحق، فناسب أن ينقل الحديث إلى الغيبة إعراضًا عنهم وتشهيرًا بهم، ودعوة لغيرهم أن يأخذوا من قصتهم عظة وعبرة، لأنهم لما كانوا فى الفلك، كانوا فى مقام الشهود والوجود فناسب المقام خطابهم، فلما جرت بهم الريح، وذهبوا بعيدًا عن مقام الخطاب ناسب حالهم طريق الغيبة.

الصورة الخامسة: الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ويمثلون له بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]، التفت من الغيبة فى قوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ إلى التكلم فى قوله: «فسقناه» وكان مقتضى الظاهر أن يقال: فساقه، وذلك لأن سوق السحاب إلى بلد ميت فيحيا، أمر لا يقدر عليه غير مقسم الأرزاق سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك نوع من قسمة الأرزاق، حيث يسوقها -سبحانه- إلى مَنْ يشاء مِنْ عباده، فناسب أن يسند السوق إلى ذاته العلية.

فالالتفات هنا: تنبيه إلى أن قسمة الأرزاق أمر تكفل به -سبحانه- ولم يتركه لأحد من خلقه.

الصورة السادسة: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: ويمثلون لها بقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فقد التفت -فى الآية الكريمة- من الغيبة، فى قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٣﴾ إلى الخطاب فى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾وذلك لأنه بدأ الحديث عن الله تعالى معظمًا لشأنه، معددًا لصفات عظمته التى توجب العبادة له وحده، فلما حان وقت عبادته خاطبه خطاب الحاضر الذى لا يغيب عنه طرفة عين.

وجه حسن الالتفات:

رأيت من الآيات السابقة أن مزايا الالتفات لا حصر لها، لأن لكل التفات مزية خاصة يقتضيها المقام.

وقد ذكر الإمام الزمخشرى -فى الكشاف- من مزايا الالتفات: أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.

ولكن ابن الأثير لم يرتض هذا القول ورفض أن تكون مزية الالتفات قد اقتصرت على هذا المعنى، وأنه لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد ولا تضبط بضابط.

والحق أن الالتفات -وإن كانت له فوائد جليلة يقتضيها المقام- إلا أنه -أيضًا- يثير انتباه السامع ويجدد نشاطه للإصغاء إلى تلك الفوائد، فيتقبلها فى شوق المنتظر ولهفة المتطلع، فتستقر فى قلبه، وتتمكن منه أفضل تمكن.

****

تمرينات على خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

(١)

١- بين الغرض من خروج الكلام عن مقتضى الظاهر فى كل مما يأتى:

أ- هى الآمـال نبنيـها قُـصوراً على عُـمُدٍ للكلام فـهل تُـقامُ؟!

ب- قال الله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾.

جـ- قال الله تعالى: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾.

د- إن تسـألوا الحق نعـط الحق سـائله والدرع مـحقـبـةٌ والسـيف مقـروب

٢- اذكر غـرضين من الأغراض المقـتضـية للتـعبـير باسم الإشارة فـى موضع الضمير؛ مع التمثيل لكل منها؟

٣- مـا الغـرض الذى يوجب الإتيـان بالاسم الظاهر، فى قـول الأب لابنه: (والدك يدعوك للحضور)، مع أن المقام يتطلب ضمير المتكلم؟

٤- عرف الالتفات، واذكر ثلاث صور منه، ومثل لكل منها؛ مع ذكر الغرض من الالتفات فيها.

(٢)

مثل لما يأتى:

أ- ضمير وضع موضع المظهر ليتمكن ما يعقبه فى ذهن السامع.

ب- اسم إشارة وضع موضع الضمير للتهكم بالسامع.

جـ- اسم مظهر غير اسم إشارة وضع موضع الضمير قصدًا إلى الاستعطاف.

د- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

هـ- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

و- الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

ى- الالتفات من التكلم إلى الغيبة

أحوال المسند

هى الأمور التى تعرض له من الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير؛ لأغراض بلاغية بها يكون مطابقًا لمقتضى الحال.

١ - ترك المسند:

عبر البلاغيون عن حذف المسند إليه (بالحذف) وعن حذف المسند (بالترك) لنكتة لطيفة؛ وهى: أن المسند إليه أقوم ركن فى الكلام وأعظمه، والاحتياج إليه فوق الاحتياج إلى المسند، فحيث لم يذكر لفظًا، فكأنه أتى به -لفرط الاحتياج إليه- ثم سقط لغرض بلاغى؛ بخلاف المسند؛ فإنه ليس بهذه المثابة فى الاحتياج، فيجوز أن يترك ولا يؤتى به لغرض.

ومن الأغراض البلاغية التى توجب حذف المسند ما يلى:

أ- ضيق المقام بسبب حزن أو ضجر:

ومن ذلك قول ضابئ بن الحارث البرجمى وهو فى سجن عثمان -رضى الله عنه-:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإنى وقيار بها لغريب
فلا تجزعن قيار من حبس ليلة ... قضية ما يقضى لنا فنئوبُ
وما عاجلاتُ الطير تدنى من الفتى ... رشادًا ولا عن ريشهن يخيبُ
ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيبُ
فلا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوبُ
وفى الشك تفريط وفى الحزم قوةٌ ... ويخطئ فى الحدس الفتى ويصيبُ
ولست بمستبق صديقًا ولا أخًا ... إذا لم تعبد الشىء وهو يريبُ

فالشاعر يشكو ما يعانيه هو وجمله (قيار) من ألم الغربة بالمدينة، فقد حز فى نفسه وآله أن يرى نفسه غريب الدار، بعيد المزار، نائيًا عن الأهل والوطن فى

الوقت الذى يرى فيه غيره -من أهل المدينة- ينعم باجتماع شمله بأهله ووطنه، ولهذا فإنه يستشعر الصبر ويأخذ قيارًا به -أيضًا-، لأن ما يلقاه الأحياء إنما هو قضاء الله وقدره، والناس يفزعون من النوائب قبل حلولها، وإذا وطنوا أنفسهم عليها لم يجدوا لها ذلك الخوف والفزع، ولا خير فى الظن وإنما هو اليقين والجزم وغفران زلة الصديق مما يستبقيه ويحفظه.

والشاهد فى الأبيات قوله: **(فإنى وقيار بها لغريب)** فلفظ البيت خبر ولكن معناه التحسر على الغربة والتوجع من الكربة، وقد حذف فيه المسند إلى **(قيار)** وكان أصل الكلام أن يقول: فإنى لغريب بها وقيار غريب، ولكنه حذف فى الجملة الثانية، لأن ذكره فى العبارة -بعد دلالة القرينة عليه- عبث واضح، ولأن نفسه تؤثر الإيجاز، لما هى فيه من ضيق وحزن وضجر.

ب- **اتباع الاستعمال الوارد**: ومنه قول الأعشى:

إن مَحَلاًّ وإنَّ مُرتحلا ... وإنَّ فى السفر إذْ مَضَوْا مَهَلا

أى: إنا لنا فى الدنيا حلولاً، وإن لنا عنها إلى الآخرة ارتحالا **(والسفر: الرفاق)** قد توغلوا فى المضى لا رجوع لهم، ونحن على إثرهم عن قريب.

والشاهد فى البيت الأول هو: حذف المسند الذى هو خبر **(إن)** اتباعًا للاستعمال الوارد وهو: حذف الخبر عند تكرار **(إن)** وتعدد اسمها.

ومن حذف المسند لاتباع الاستعمال الوارد قول الله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي**﴾ [الإسراء: ١٠٠] فقد حذف هنا المسند إلى ضمير المخاطبين، وذلك لأن **(أنتم)** فاعل لفعل محذوف دل عليه المذكور، لأن **(لو)** لا تدخل على الأفعال، وتقديره: **(لو تملكون تملكون)** مكررًا للتأكيد ولكن حذف الفعل الأول المسند إلى ضمير المخاطبين، لدلالة الفعل الثانى عليه فانفصل الضمير.

ومنه قول حاتم الطائى: **(لو ذات سوار لطمتنى)** فقد روى الأصمعى أن حاتمًا مر ببلاد عنزة فناداه أسير لهم أن يطلقه، ولم يكن مع حاتم شىء يساومهم به، فقال: أطلقوه واجعلوا يدى فى القيد مكانه، ففعلوا، ثم جاءته امرأة أمة ببعير ليفصده، فقام فنحره، فلطمته، فقال لها ذلك.

والمعنى: لو أن التى لطمتنى إحدى الحرائر لأخذتها، والأصل: لو لطمتنى ذات سوار لطمتنى، فحذف الفعل الأول لدلالة الثانى عليه اتباعًا للاستعمال الوارد.

جـ- تكثير الفائدة، وذلك فيما يحتمل فيه حذف المسند أو المسند إليه، بإمكان حمل الكلام على كل من المعنيين.

ومما هو محتمل لحذف المسند أو المسند إليه قول الله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١] وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [النور: ٥٣].

فالآية الأولى: يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير: فصبر جميل أجمل، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: فأمرى صبر جميل.

والآية الثانية: يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير: فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: هذه سورة أنزلناها.

والآية الثالثة: يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: الذى يطلب منكم طاعة معروفة معلومة، لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها، أو: طاعة معروفة بأنها بالقول دون العمل.

د- وقوع المسند فى جواب سؤال محقق، أو مقدر:

فمن الأول: قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] فقوله: (الله) جواب سؤال محقق - أى مذكور- فى الكلام هو قوله «من خلق السموات والأرض؟». وقد حذف المسند فى الجواب، والأصل: خلقهن الله.

ومن الثانى: قوله تعالى فى قراءة من قرأ-: ﴿يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] ببناء (يسبح) للمجهول، فكأنه بعد أن قال: يسبح له فيها بالغدو والآصال، قيل: من يسبحه؟ فقال: رجال.

ومنه قول الحارث بن ضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيد:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائحُ

والمختبط: من جاء يطلب المعروف من غير آصرة، والطوائح: الشدائد.

يقول: إن أخاه كان عونًا للضعفاء والمظلومين، ومقصدًا لآمال المحتاجين والمكروبين، فليبكه هؤلاء جميعًا، وحق لهم أن يبكوا، فقد ذهب بذهابه صفات الكرم، ومات بموته محامد الشيم.

والشاهد هنا: (ضارع لخصومة) حيث حذف المسند إلى (ضارع) والتقدير: يبكيه ضارع، لأنه واقع فى جواب سؤال مقدر، تقديره: «من يبكيه؟».

وذلك لأنه لما قال: (ليبك يزيد) ببناء الفعل للمجهول وقع فيه إبهام، فكأن سائلاً سأل: من يبكيه؟ فقال: ضارع لخصومة، أى: يبكيه ضارع لخصومة، ومختبط مما تطيح الطوائح.

وهذا البيت -وإن كان قريب المعنى من قول لبيد فى رثاء النعمان ابن المنذر:

ليبك على النعمان شربٌ وقينة ومختبطاتٌ كالسعالى أراملُ

إلا أن بيت الحارث بن ضرار بن نهشل قد بنى فيه (ليبك) للمجهول، فأسند الفعل إلى نائب الفاعل وهو: (يزيد) بينما بيت لبيد قد بنى فيه (ليبك) للمعلوم وأسند الفعل إلى فاعله، ولهذا فإن بيت الحارث فيه حذف للمسند، بينما بيت لبيد ليس فيه حذف للمسند.

وكان لصنيع الحارث بن ضرار من مزايا النظم البلاغى ما رآه البلاغيون مجملاً فيما يلى:

أولاً: تكرار الإسناد، وذلك لأن إسناد الفعل المبنى للمجهول إلى نائب الفاعل يوحى بأن له فاعلاً ينبغى أن يسند إليه، وهذا هو الإسناد الأول.

ولما كان ضارع فاعلاً لفعل مقدر تقديره: «يبكيه ضارع» فقد جاء الإسناد الثانى.

ولا ريب أن التركيب الذى اشتمل على إسنادين أقوى وآكد مما اشتمل على إسناد واحد.

ثانيًا: التفصيل بعد الإجمال، وذلك لأنه لما قال: **(ليبك يزيد)** فأسند الفعل إلى نائب الفاعل، وقد أبهم الفاعل، ولكنه لما قال: **(ضارع)** وكان التقدير: **(يبكيه ضارع)** قد نص على ذلك الفاعل، ولهذا يكون الشاعر قد أجمل ذكر الفاعل أولاً، ثم فصله ثانيًا.

ولا ريب أن الإيضاح بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال أوقع فى النفس، لما هو مركوز فى الطباع، من أن إبهام الشىء أو إجماله مما يشوق إلى إيضاحه وتفصيله.

ثالثًا: أن نائب الفاعل هنا -وهو: **(يزيد)** هو المقصود من المرثية، لأنها إنما قيلت من أجله لتعداد مناقبه وبيان مآثره، فناسب أن يطوى ذكر الباكى ويذكر المبكى عليه وهو: **(يزيد)** ويصير عمدة فى الكلام، ولو لم يسلك به الشاعر هذا الصنيع لصار **(يزيد)** فضلة لا عمدة فى الكلام، ولأصبح الاهتمام موجهًا إلى الباكى لا إلى المبكى عليه، وذلك مما لا يناسب مقام الرثاء، ولا يتفق وغرض الشاعر.

رابعًا: أن الشاعر لما قال: ليبك يزيد، فأسند الفعل إلى نائب الفاعل كان الكلام بذلك قد تم وليس محتاجًا إلى فاعل ليتم به، ولكنه لما ذكر الفاعل بعد ذلك فقال: **(ضارع)** كان مجيئه كالغنيمة غير المتوقعة، وذلك أشهى عند النفس، وأحلى عندها موقعًا.

ولكنه لو بنى الفعل للفاعل، فقال: **(ليبك يزيد)** بنصب «يزيد» لأصبح الفاعل مترقبًا ذكره، لأنه لابد للفعل من فاعل، فلا يكون موقعه فى النفس -عند مجيئه- ذلك الموقع الذى أسلفنا.

٢- ذكر المسند:

ذكر البلاغيون أن المسند يذكر لنفس الأغراض التى اقتضت ذكر المسند إليه ومنها:

١- كونه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل، كقولك ابتداء: أكثم بن صيفى خطيب العرب فى الجاهلية.

٢- الاحتياط لضعف التعويل على القرينة. كقولك -فى جواب من قال: من أكرم العرب فى الجاهلية وأشجعهم؟-: عنترة أشجعهم، وحاتم أجودهم، لأنك لو قلت: عنترة وحاتم، وحذفت المسند إلى كل منهما لاحتمل أن تكون قد أردت: عنترة أكرمهم، وحاتم أشجعهم، فذكرت المسند إلى كل منهما حتى يتعين للمخاطب.

٣- التعريض بغباوة السامع: كقولك: **(محمد نبينا)** فى جواب من سأل: من نبيكم؟ تعريضًا بغباوة من سأل هذا السؤال، وأنه لو كان له تمييز لم يسأل عن نبى هو أظهر من أن يتوهم خفاؤه، فيجاب بذكر أجزاء الجملة إعلامًا بأن مثل هذا لا يكفى معه إلا التنصيص لعدم فهمه بالقرائن الواضحة.

٤- زيادة تقرير المسند فى نفس السامع وتثبيته فى ذهنه، لأنه مما يتعلق به الغرض، وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزخرف: ٩]، فلو حذف المسند لدل السؤال عليه، ولكنه ذكر المسند وهو: (خلق) لزيادة تقرير خلق السموات والأرض.

٥- تعين أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث، أو أنه اسم فاعل فيفيد الثبوت والدوام

فمثال الأول قولك: محمد يبيع، فتجعل المسند فعلاً ليفيد تجدد البيع وحدوثه لمحمد.

ومثال الثانى أن تقول: محمد بائع، فتجعل المسند اسمًا ليفيد ثبوت البيع له ودوامه أى أن البيع صفة ثابتة ولازمة له.

٣- تعريف المسند:

والأصل فى تعريف المسند هو: إفادة السامع حكمًا على أمر معلوم له بإحدى طرق التعريف بأمر معلوم له كذلك، فإذا كان المخاطب يعرف عليا -مثلاً- ويعرف أن بالقرية شاعرًا معروفًا، ولكن لا يدرى أن عليًا هو ذلك الشاعر فتقول له: على الشاعر، أى: على الشاعر المعروف.

• إذا كان المخاطب يعرف أن هناك شاعرًا معروفًا، ثم عرف شخصًا معينًا يسمى عليًا، ولكن لا يدرى أن ذلك الشاعر هذا الشخص، فتقول له حينئذ: الشاعر على، أى الشاعر المعروف هو على.

وعن هذا الأصل فرع البلاغيون لتعريف المسند الأغراض التالية:

أ- قصر المسند على المسند إليه حقيقة أو ادعاء:

فمثال قصر المسند على المسند إليه حقيقة قولك: على الشاعر، إذا لم يكن ثمة شاعر سواه.

ومثال قصر المسند على المسند إليه ادعاء لقصد المبالغة قولك: زيد الكريم، وعمرو العالم، فتفيد قصر جنس الكرم على زيد، وقصر جنس العلم على عمرو، وأنت لا تقصد القصر الحقيقى، وإنما تقصد المبالغة فى وصف زيد بالكرم ووصف عمرو بالعلم، فتخيل بهذا قصر هاتين الصفتين على زيد وعمرو قصدًا للمبالغة وأنك لم تعتد بهاتين الصفتين فى غيرهما.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى يمدح سيف الدولة الحمدانى:

وما الدهر إلا من رواة قصائدى ... إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمرًا ... وغنى به من لا يغنى مغردا

أجزنى إذا أنشدت شعرًا فإنما ... بشعرى أتاك المادحون مُرَدَّدا

ودع كل صوت غير صوتى فإننى ... أنا الصائح المحكى والآخر الصدى!

والشاهد فى الأبيات قوله: **(أنا الصائح المحكى)** حيث قصر المسند المعروف **«بأل»** على المسند إليه، لقصد المبالغة.

ب- تقرير المسند للمسند إليه، وأن ثبوته له أمر ظاهر ومعروف لا يشك فيه أحد، وذلك كما فى قول الخنساء ترثى أخاها صخرًا:

إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

فالخنساء لم ترد أن تقصر صفة الحسن على بكاء أخيها، ولكنها أرادت أن تقرر للبكاء عليه جنس الحسن الظاهر الذى لا ينكره أحد، ولا يشك فيه شاك.

ومنه قول حسان بن ثابت -رضى الله عنه- يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه:

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العَبْدُ

فقد أراد أن يقرر العبودية لوالد المهجو، وأن يبين أن ذلك الأمر ظاهر معروف لا ينكره أحد، ولو قال: ووالدك عبد، بتنكير المسند لما أفاد إلا إثبات العبودية له.

جـ- الإشارة إلى بلوغ المسند إليه -فى الصفة- حد الكمال، أو أنه بلغ فيها حقيقتها المتخيلة فى الذهن، وذلك ما نجده فى قولهم: **(هو البطل الحامى)** أى: هو البطل الذى بلغ فى صفة البطولة حد الكمال، أو أنه بلغ فيها حقيقتها المتخيلة فى الذهن.

ومثله قول ابن الرومى:

هو الرجل المشروك فى جل ماله ولكنه بالمجد والحمد مُفْرَد

أى: إذا تصورت فى ذهنك رجلاً يشرك فى معظم أمواله عفاته وجيرانه ومعارفه، فإنه هو ذلك الرجل.

ويغلب أن يأتى هذا النوع باسم الموصول (الذى) حيث تقدر فى ذهنك شيئًا، ثم تعبر عنه بالذى، كما فى قول الشاعر:

أخوك الذى إن تدعه لملمة يُجِبْك وإن تغضب إلى السيف يَغْضَبُ

فقد قدرت فى ذهنك وتصورت أخًا، إن دعوته أجابك وإن غضبت واضطررت إلى حمل السيف غضب وحمل السيف من أجلك، ثم عبرت عنه بالذى.

٤- تنكير المسند:

ينكر المسند للأغراض التالية:

أ- قصد الإخبار بثبوت المسند للمسند إليه من غير إرادة عهد أو تخصيص كما فى قولك: على شاعر، ومحمد خطيب.

ب- تفخيم المسند وتعظيمه، وأنه قد بلغ من خطورة الشأن حدًا لا يدرك كنهه أو مداه، كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فقد أتى بالمسند نكرة للدلالة

على كمال هداية الكتاب الكريم، وأنها بلغت مبلغًا لا يدرك مداه، ولهذا أكد التفخيم بأن جعل «هدى» مصدرًا مخبرًا به عن الكتاب، أى أن الكتاب هو الهداية نفسها.

جـ- تحقير المسند، وذلك كما فى قول قيس بن جـروة يخاطب عمرو بن هند، وكان قد نقض عهدًا بينه وبين طيئ:

غـدرْتَ بأمـر كنت أنت دعـوتنا ... إليـه وبئس الشـيمة الـغدر بالعـهـد

وقـد يتـرك الغـدْرَ الـفتى وطعـامـه ... إذا هو أمـسى -حلبـة من دم الفصـد

يقول: لقد غـدرت بعهد كنت أنت الذى دعا إليـه، وبئست -لعمرى- شـيمة الغدر بالعهد من شـيمة، فقد يترفع عنها أفقـر الناس، وأقلهم شأنًا، **فكيف يغدر** بالعهد ملك عظيم كعمرو بن هند؟!

والشاهد هنا تنكير **(حلبة)** التى وقعت خبرًا عن **(طعامه)** لبيان أنه شىء تافه وحقير.

هذا إلى ما تفيده صيغة **(فعلة)** الدالة على المرة من إفادة معنى القلة.

٥- تقديم المسند:

من أغراض تقديم المسند ما يلى:

أ- قصـر المسند إليه على المسند، كقولك: **(مسلم أنا)** فتقـديم المسند هنا قد أفاد قصر المتكلم على الإسـلام، لا يتعداه إلى النصرانية، فيكون قصـرًا إضافيًا أو لا يتعداه إلى غيره من سائر الصفات فيكون قصرًا حقيقيًا ادعائيًا.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ٥]، أى: إن دينكم مقـصورٌ عليكم لا يتـجاوزكم إلىّ، ودينى مقـصورٌ على، لا يتـجاوزنى إليكم، فالقصر هنا إضافى فى الوضعين.

ومنه قول أبى تمام يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

لـك القـلم الـذى بشـبـأنـه ... يصـاب الأمـر الكلى والمفـاصل

والشاهد فى البيت هو أن الشاعر قدم المسند فى قوله: **(لك القلم)** لإفادة معنى القصر، أى: إن القلم الموصوف بتلك الصفات لك لا لغيرك.

ب- **التنبيه -من أول الأمر- على أن المسند خبر لا نعت**، وذلك كما في قول حسان بن ثابت -رضى الله عنه- في مدح رسول الله ﷺ:

لَهُ هِمَمٌ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

فإنه لو قال: همم له، لتوهم السامع أن (له) نعت لهمم، لأن النكرة تحتاج إلى الصفة أكثر من احتياجها إلى الخبر -وهذا التوهم- وإن كان يزول بمجرد النطق ببقية البيت إلا أن الإسراع بإيقاع المعنى فى النفوس لأول وهلة أنسب بمقام المدح.

جـ- **التشويق إلى ذكر المسند إليه**، كالذى رووه من قول محمد بن وهيب فى مدح المعتصم بالله العباسى:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

يحكى أفاعيله فى كل نائلة الغيث، والليث، والصمصامة الذكرُ

وذلك لأنه لما قال: ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها، اشتاقت النفوس إلى معرفتهم لأن فى المسند ما يشعر بأنهم ذوو خطر، لأن الدنيا تشرق ببهجتهم، فلما أتى بالمسند إليه وقع فى النفس موقعًا كريمًا.

د- **التفاؤل**. كقولك: سعد بلقائك صديقك، وناجح أخوك.

****

تمرينات

على حذف المسند وذكره

١- بين الغرض الداعى إلى حذف المسند فى كل مما يأتى:

أ- قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يُفْقِرُ والإقدامُ قتال

ب- قال الله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾.

جـ- قال الشاعر:

والطير أقعدها الكرى ... والناس نامت والوجود

د- وقال آخر:

والناس: هذا حظه مالٌ وذا ... عِلمٌ وَذاكَ مَكارِمُ الأَخلاقِ

٢- بين الغرض الداعى إلى ذكر المسند فى كل مما يأتى:

هـ- تقول العرب: (أحَشَفًا وسوء كيلة؟!).

أ- قال الله تعالى: ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كان ينطقون﴾.

ب- «يعرض البائع السلعة فى الأسواق».

٣- لماذا حذف المسند فى الشطر الأول، وأعيد ذكر المسند فى الشطر الثانى من هذا البيت؟

لولا التُّقى لَجَعَلتُ قَبرَكَ كَعبَتى ... وَجَعَلتُ قَولَكَ سُنَّتى وكتابى

على تعريف المسند وتنكيره

١- بين الأغراض الداعية إلى تعريف المسند فيما يأتى:

أ- قال الشاعر:

وإنَّ سنام المجـــد مـن آل هاشـم بنو أم مـــخــزوم ووالـد العـبْــدُ

ب- وقال آخر:

كُلْـثُـمُ أنـتِ الـهـمُّ يـا كُـلْـثُـمُ وأنـتِ دَائـى الـذى أكـــتـم

جـ- قال الله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾.

د- وقال الأعشى:

هـو الواهـب المائة المُصْطَفَــاة إمَّـا مـخـاضًـا، وإمـا عـشـارا

٢- بين الأغراض الداعية إلى تنكير المسند فيما يأتى:

أ- قال الشاعر:

آراؤه وعطـاياه ونـعــمـتــه وَعَـفْـوُهُ رحـمــة للناس كـلهم

ب- وقال الشاعر:

خيـر الصنائع فى الوجـود صنيـعـةٌ تنبـو بحـاملهـا عن الإذلال

جـ- وقال آخر:

وكنتُ فتًى من جُنْدِ إبليس فـارتمى بى الحال حتى صارَ إبليس من جندى!!

****

أحوال متعلقات الفعل

١- حذف المفعول.

٢- تقديمه على الفعل.

٣- تقديم بعض المعمولات على بعض.

الفعل المتعدى إذا أسند إلى الفاعل، ولم يذكر له مفعول كان الغرض من ذلك أمرين:

أولهما: أن يكون الغرض هو مجرد إسناد الفعل إلى الفاعل، دون النظر إلى المفعول، وحينئذ يكون الفعل المتعدى بمنزلة اللازم، فلا يذكر له مفعول، لئلا يفهم السامع أن الغرض هو الإخبار بوقوع الفعل باعتبار تعلقه بالمفعول، لا مجرد نسبته إلى الفاعل الذى هو المقصود، **وهذا الفعل المنزل منزلة اللازم ضربان:**

أحدهما: أن يذكر الفعل ولا ينوى له فى النفس مفعول أصلاً، لأن الغرض هو إثبات الفعل فى نفسه أو نفيه، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾!؟ [الزمر: ٩] فالفعل متعد قطعًا إلى مفعول، لأن الأصل: هل يستوى الذين يعلمون الدين، والذين لا يعلمونه؟ فحذف المفعول المذكور ونزل الفعل منزلة اللازم، وصار المراد من الفعل حقيقته، والمعنى: هل يستوى الذين وجدت فيهم حقيقة العلم، والذين لم توجد عندهم حقيقته؟

ومن هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**﴾ [النجم: ٤٤] وقولهم: **(فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى)** وقولهم: **(فلان يضر وينفع ويعطى ويمنع)** ففى كل تلك الأمثلة لا تعرض لحديث المفعول، لأن الغرض هو إثبات الفعل فى حد ذاته.

والآخر: أن يذكر الفعل وينوى له فى النفس مفعول خاص قد علم موضعه من سبق ذكر أو قرينة حال، ولكنك تنسيه نفسك، وتخيل أنك لم تقصد إلا إلى ذات الفعل قاصدًا بذلك المبالغة فيه، وذلك كما فى قول البحترى يمدح المعتز بالله الخليفة العباسى، ويعرض بأخيه المستعين بالله وكان ينازعه الخلافة:

شجو حساده وغيظ عداه   أن يرى مبصر ويسمع واعِ

أى: ليس فى الوجود ما يرى ويسمع إلا آثاره المحمودة، فإذا أبصر مبصر، لا يرى إلا محاسنه، وإذا سمع سامع لا يسمع إلا مآثره، فيغيظ عداه أن يقع إبصار أو سمع؛ لأنه لا يقع إلا على محاسنه ومآثره.

فالفعلان (يرى) و(يسمع) من الأفعال المتعدية، فالمعنى -لا محالة-: أن يرى مبصر آثاره، ويسمع واع أخباره، ولكنهما هنا نزلا منزلة الفعل اللازم؛ لأن المقصود هو: مجرد إثبات الرؤية والسماع للفاعل، دون النظر إلى تعلقهما بمفعول خاص، وذلك ليتسنى له أن يشعر الناس بأن محاسن الممدوح وفضائله قد بلغت من الوضوح والشهرة حدًا لا تخفى عنده على ذى بصر أو سمع بحيث يكفى فى إدراكها مجرد أن يكون ذا بصر وذا سمع، فيعلم الرائى والسامع أنه لا يليق لمقام الخلافة سواه؛ فلا يجد أعداؤه وحساده إلى منازعته سبيلاً، فحساده وأعداؤه يتمنون ألا يكون فى الدنيا ذو بصر وسمع ليخفى استحقاقه للإمامة فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته.

ولا يخفى عليك أن هذا الغلو فى المدح يفقد عند ذكر المفعول أو تقديره.

ومنه قول عمرو بن معديكرب الزبيدى:

ظَلِلْتُ كأنى للرياح دريئةٌ   أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم   نطقتُ ولكن الرماح أَجَرَّتِ

والشاهد فى البيت الثانى، ومعناه: لو أن قومى أبلوا فى الحرب بلاء حسنًا لمدحتهم وذكرت بلاءهم، ولكنهم قصروا، فأجروا لسانى -أى منعوه من النطق- فما أنطق بمدحهم.

فقوله: (أجرت) فعل متعد، والمعنى: أجرتنى، ولكنه نزل منزلة اللازم قصدًا إلى إثبات الفعل للفاعل، أى: إثبات الإجرار للرماح، دون نظر إلى تعلقه بمفعول لأنه يريد أن يقول: إنه كان منها ما من شأنه أن يجر كل لسان ويخرسه عن النطق بمدحهم والإشادة بهم.

والثانى: أن يقصد تعلق الفعل بمفعول، وأن يراعى فى الكلام ويلتفت إليه، وحينئذ يجب تقدير هذا المفعول بحسب القرينة الدالة، إن عامًا فعام، وإن خاصًا فخاص، يعنى إذا كان المدلول عليه بالقرينة عامًا فاللفظ المقدر عام، وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] فالدعوة إلى الجنة عامة، ولهذا كان اللفظ المقدر عامًا، أى: كل أحد.

وإذا كان اللفظ المدلول عليه بالقرينة خاصًا، فاللفظ المقدر خاص كذلك، وذلك نحو قول عائشة -رضى الله عنها-: «ما رأيت منه ولا رأى منى» تقصد: العورة.

فإذا ما وجب تقدير المفعول تعين أنه مقصود، وأنه إنما حذف لغرض بلاغى ومن هنا تعلم أن حذف المفعول مشروط بشرطين:

أولهما: وجود القرينة الدالة.

والآخر: وجود الغرض الموجب للحذف.

ومن الأغراض الموجبة لحذف المفعول:

أ- البيان بعد الإبهام وذلك فى فعل المشيئة إذا وقع شرطًا ولم يكن تعلقه بالمفعول المحذوف غريبًا، وكفعل المشيئة كل ما فى معناه كالإرادة والمحبة، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩] فمفعول فعل المشيئة محذوف تقديره ولو شاء هدايتكم لهداكم.

ونكتة الحذف هنا: هى البيان بعد الإبهام، لأنه لما قيل: ولو شاء، علم أن هنا شيئًا تعلقت به المشيئة، لكنه مبهم، فلما جىء بجواب الشرط وضح ذلك الشرط، وعلم أنه الهداية.

فكل من الشرط والجواب قد دل على المفعول، غير أن الشرط دل عليه إجمالاً، والجواب دل عليه تفصيلاً، ولا ريب أن الإيضاح بعد الإبهام أوقع فى النفس، لأن السامع حين يسمع قوله: «ولو شاء» تتحرك نفسه -فى شوق- إلى ما تعلقت به المشيئة، فإذا ما جاء بعد ذلك جاء والنفس فى ولع ولهف ترقب قدومه فلا يلبث أن يقع منها موقع الماء القراح من ذى الغلة الصادى.

ومن هذا القبيل قول البحترى:

لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده

العقيق والزرود بفتح الزاى: موضعان ببلاد نجد.

أى: لو شئت عيادة بلاد نجد عدتها.

ومنه قول البحترى - أيضًا:

يا يوسف بن أبى سعيد والغنى للمغمد العزمات غير مساعد

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرمًا ولم تهدم مآثر خالد

أى: لو شئت عدم إفساد سماحة حاتم لم تفسدها، لكنه حذف مفعول المشيئة، فتحركت النفس لتعرف حقيقة مشيئة هذا الرجل ذى العزمات، فأدركها الشاعر ببيان هذه المشيئة، فارتاحت النفس لوقوعها منها هذا الموقع الحميد.

فإن كان فى تعلق فعل المشيئة بالمفعول غرابة لم يستحسن حذف المفعول، لأن الجواب لا يدل عليه، لغرابة موضعه، وينبغى ذكره ليتقرر فى ذهن السامع ويأنس به، وذلك نحو قول أبى الهندام الخزاعى، يرثى ابنه الهندام:

ولو شئت أن أبكى دمًا لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

والشاهد فيه قوله: (**ولو شئت أن أبكى دمًا لبكيته**) حيث صرح بمفعول المشيئة وهو: (**أن أبكى دمًا**) لأنه من الغرابة بمكان أن يريد الإنسان بكاء الدم، ولهذا صرح به -وإن كان الجواب دالاً عليه- ليتقرر فى ذهن السامع فتأنس النفس إليه.

ومن هذا القبيل قول الله تعالى: ﴿**لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ [الزمر: ٤]، لأنه من الغرابة بمكان أن يتخذ رب العالمين ولدًا.

وقد يذكر الشاعر مفعول المشيئة -وهو غير مستغرب- وذلك لأن الواقع بعده لا يدل عليه، لأنه ليس من نوعه.

ومما جاء على هذه الطريقة قول أبى الحسن على بن أحمد الجوهرى، أحد شعراء الصاحب بن عباد:

فلم يبق منى الشـوق غـيـر تـفكر ... فَلَوْ شِـئْتَ أن أبكـى بكيتُ تـفكرا

الشـاعر يريـد أن يبالغ فى فنـائه ونحوله، حـتى إنه لم تبق فـيـه مادة سـوى التفكير، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه هو بكاء الدمع، وأراد بالبكاء الثانى: بكاء التفكر، ولهذا فإنه لا يصلح البكاء الثانى بيانًا للبكاء الأول لمباينته له.

فذكْر مـفعول المشيئـة فى البيت إنما هو لعدم قيـام الدليل عليه، وذلك لأنه لو حذفَ فقيل: **(لو شئت بكيت تفكرا)** لم يوجد ما يدل عليه، وأوهم أن المراد بكاء التفكر، مع أن المراد هو: بكاء الدمع.

ب- دفع توهم السامع -فى أول الأمـر- إرادة غير المراد -كما فى قول الـبحترى يمدح أبا الصقر الشيبانى:

وكم ذدت عنى مـن تحـامل حـادث ... وَسَـوْرَةَ أيـام حَـزَزْنَ إلى العَظْم

فالشاعر يذكـر فضل أبى الصقر عليه، ومن دفعـه عنه عاديات الزمن وحادثات الأيام فيـقول: **(حـززن إلى العظم)** كناية عن بلوغـها الغـاية فى الشدة، فـحذف المفعـول -كما ترى- ولو ذكره فـقال: **(حززن اللحم)** لجاز أن يدور بخلد السامع قبل ذكر مـا بعده أن الحز كان فى بعض اللحم ولم يصل إلى العظم، ودفـعًا لهذا التوهم حذف المفعول، ليدل الكلام على المقصود من أول الأمر.

جـ- إرادة ذكره ثانيًا، بحيث يعمل الفعل فى صـريح لفظه لا فى ضميره العائد عليه إظهارًا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، كالذى تراه من قول أبى عبادة البحترى فى مدح المعتز بالله:

قـد طلبنـا فلم نجـد لك فى السـؤ ... دد والمجـد والمكارم مِـثْـلا

لم يزل حـقك المقـدم يَمْـحُـو ... بَاطِلَ المسـتعار حتى اضـمحلا

أى: إننا أعيـانا البحث عن مثيل لك دون أن نـعثر على هذا المثيل، فـلا نظير لك، لأن شمس حقك أزاحت باطل غيرك.

والشاهد هنا قوله: **(قد طلبنا)** حيث حذف المفـعول، لأن الأصل قد طلبنا لك مثلاً، ولكنه حـذف لإيقاع الفعل المنفى على صريح لفظه -كما جـاء عليه البيت-

ولو أنه ذكر المفعــول، فقال: قد طلبنا لك مثـلاً، لناسب أن يقول بعد ذلك: فلم نجده، لأن المقام -حينئذ- يكون للضمير لتقدم مرجعه، فيفوت المقصود وهو إيقاع الفعل المنفى على صــريح لفظ المفعول الدال صراحة عــلى عدم وجود المثل وذلك أنسب بمقام المدح.

ويمكن أن يكون الغرض من حذف المفعول فـى البيت المذكور هو: التحرج من مواجهة الممدوح بطلب مثل له، مبالغةً فى التأدب معه تعظيمًا له.

ويمكن -أيضًـا- أن يكون الغرض هو البـيـان بعد الإبهـام، لأن المطلوب أبهم أولاً، ثم بين أنه المثل، ولهذا أثر حميد فى النفس.

د- **قصـد التعـميم فى المفعـول مع الاختـصار**، وذلك كقولك: قــد كان منك ما يؤلم: أى: كل أحد، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، أى جميع المكلفين.

هـ- **استهجان التصريح بالمفعول**، كما فى قول عائشة رضى الله عنها: «**ما رأيت منه ولا رأى منى**» تريد العورة.

و- **رعاية الفاصلة فى النثر أو مراعاة الوزن فى النظم:**

أما الأول فكقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣] أى: ما قلاك ،فحذف المفـعول محافظة على الروى حتى يتوافق مع ما قبله وما بعده. وأما الثانى فكما فى قول الشاعر:

بنـاها فـــأعلى والقـنا يقـــرع القـنا ومــوج المنايـا حــولهــا مــتــلاطمُ

يقصد: فأعلاها، ولكنه حذف المفعول محافظة على وزن البيت.

ز- **قصد الاختصـار المجرد عن أى اعتبار**، وذلك كما فى قولهم: أصغيت إليه، أى أذنى، وأغـضيت عنه، أى: بصــرى، فحـذف المفعـول -فى المثالين- لمجـرد الاختصار.

ومنه قوله الله تعـالى -على لسان موسى عليـه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أى: ذاتك.

وثمة أغراض أخرى تقتضى حذف المفعول، كإخفائه عن السامعين خوفًا عليه، أو التمكن من إنكاره إن مست الحاجة إلى ذلك، أو إيهام صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه، وهكذا.

تقديم المفعول على الفعل

الأصل فى الفعل أن يتقدم على معموله -سواء كان هذا المعمول مفعولاً، أو جارًا ومجرورًا، أو ظرفًا، أو حالاً، وهكذا- وقد يقدم معمول الفعل عليه لأغراض يقصدها البليغ، ومن هذه الأغراض:

١- **إفادة التخصيص**: ومعنى التخصيص هنا: هو قصر الفعل على معموله، بحيث لا يتعداه إلى غيره.

كما فى قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أى: لا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

وكما تقول: (عَلِيًّا أكرمْتُ) لإفادة الإكرام على «على».

وكما تقول: (فى المسْجِد صَلَيتُ) و(تحت الشجرة جَلَسْتُ) و(مُبْحِرًا حججت) وهكذا. أى أنك صَليت فى المسجد لا فى غيره، وجلست تحت الشجرة لا تحت غيرها، وحججت متخذًا طريق البحر، لا طريق الجو أو طريق البر.

ب- **الاهتمام بأمر المقدم**، كما تقول: (الحقَّ عَرَفْتُ) و(العِلْمَ لزمْتُ) (والحَيَاةَ سَئِمْتُ).

جـ- **التعجيل بذكر ما يتبرك به أو يتلذذ، أو بذكر ما يسر به أو يساء.**

فمثال الأول: قولك: (مُحَمَّدًا ﷺ زُرْتُ).

ومثال الثانى: قولك: (ليْلى رأيتُ) و(هنْدًا قابَلْتُ).

ومثال الثالث: قولك: (نجاحًا لقيت).

ومثال الرابع: (بشرًّا منيت).

وإنما عبروا بالتعجيل -فى إفادة هذه المعانى- لأنها تأتى مع التأخير -أيضًا-.

د- كون المعمول محط الإنكار، كقولك: (أفي الشر تسعى وقد جربت عواقبه؟!) فأنت لا تنكر عليه (سعيه) وإنما تنكر عليه أن يكون السعي منه في الشر، وقد عرف سوء عاقبته.

ومثال ذلك قول الشاعر:

أحين عسا غصني طرَحْتِ حبائلي ... إلَيَّ فَهلا ذَاكَ وَهْوَ رطيب!؟

فهو ينكر عليها أنها حولت قلبها عنه، وتسلت عنه بغيره، حينما ولت نضارته، وذبلت زهرة شبابه، ويعيب عليها عدم الوفاء له، فهو لا ينكر عليها طرح حبائله مطلقًا، وإنما محط إنكاره أن يكون ذلك منها في وقت ذبل فيه غصنه وذهبت نضارته.

وكقول الشاعر:

أكل امرئٍ تحسبين امرأ ... ونار توقد بالليل نارا؟!

قدم المفعول ليفيد أن الإنكار مسلط عليه، إذ هو ينكر عليها: أن الناس في حسبانها متساوون، لا فرق بين كامل وناقص؛ كما أنه ينكر عليها: أن كل نار - في زعمها- نار كرم وسماحة.

هـ- موافقة كلام السامع كما تقول «الله دعوت» و«بالنبي توسلت» في جواب: «من دعوت؟» و«بمن توسلت؟» فتقدم المعمول ليكون موافقًا مقابله في كلام السائل.

و- المحافظة على الوزن، أو رعاية الفاصلة.

فمثال الأول قول الشاعر:

سريعٌ إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

أي: إن نزعة الشر فيه غالبة، فهو إلى الضر والأذى أسرع منه إلى الإحسان والخير.

ومثال الثاني: قول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢]

وقوله -جل شأنه-: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

تقديم بعض المعمولات على بعض

يقدم بعض المعمولات على بعض، لأغراض بلاغية، من أهمها:

أ- أن يكون التقديم هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل كقولك: فهم الطلاب الدرس، فقد قدم (الطلاب) لأنه فاعل، والأصل فيه أن يقدم على المفعول.

وكالمفعول الأول في نحو: (أعرت محمدًا كتابًا) فالأصل فيه التقديم لما فيه من معنى الفاعلية لأنه الآخذ للكتاب، فهو في قوة قولك: أخذ محمد كتابًا.

ب- أن يكون ذكره أهم، والعناية به أتم، بأن يكون تعلق الفعل بذلك المقدم هو المقصود بالذات لغرض من الأغراض، كما إذا عاث شقى في البلاد فسادًا، فهاجمه شرطى وقتله «فأردت أن تخبر بذلك»، قلت: (قتل الشقىَّ الشرطىُّ)، إذ المقصود الأهم هو تعلق القتل بالشقى لينجو الناس من شره ويتقوا أذاه، فهم لا يعنيهم: أقتله شرطى أم غير شرطى؟

فإذا كان هناك رجل ضعيف هزيل لا يستطيع أن يدفع الأذى عن نفسه فقتل رجلاً، وأردت أن تخبر عن ذلك قلت: قتل فلان رجلاً، فتقدم الفاعل حينئذ، لأن الذى يهم الناس من شأن هذا القتيل: صدوره من رجل لا يظن فيه ذلك، ولا يهمهم بعد ذلك أكان المقتول زيدًا أم عمرًا.

ولهذا قدم الله تعالى الوعد برزق المخاطبين على الوعد برزق أولادهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] لأن الخطاب -هنا- للفقراء، بدليل قوله: «من إملاق» أى: بسبب فقر وعوز، لأن رزقهم موضع اهتمامهم ومحط آمالهم.

وقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] لأن الخطاب هنا

للموسرين، بدليل قوله: «خشية إملاق» لأن الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب والمهم عندهم.

جـ- أن يكون فى تأخير المعمول إخلال بالمعنى المراد، بأن يكون موهمًا لمعنى آخر غير مراد، **ولهذا يقدم دفعًا لهذا الإيهام**، كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨].

فقد قدم هنا قوله: «**من آل فرعون**» على قوله: «**يكتم إيمانه**» لأنه لو قال: قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، لتوهم أن قوله: «**من آل فرعون**» من صلة «**يكتم**» أى: متعلق به، وفى هذا إخلال بالمعنى المقصود، إذ لا يفهم منه -حينئذ- أن ذلك الرجل كان من آل فرعون، والغرض هو: بيان أنه منهم لإفادة ذلك مزيد عناية به ورعاية له.

و- أن يكون فى تأخير المعمول إخلال بالتناسب، فيقدم المعمول حينئذ لرعاية الفاصلة، كما فى قول الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧] قدم الجار والمجرور، والمفعول به على الفاعل لأن فى ذلك رعاية للتناسب بين الفواصل المختومة بالألف، لتكون على نسق واحد.

****

تمرينات
على التقديم والتأخير

١- ما الغرض الذى دعا إلى تقديم المسند فى كل مما يأتى؟:

أ- قولهم: (ثلاثة يذهبن الغم والحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن).

ب- قول الشاعر:

ثلاثةٌ لَيْسَ لها إيابُ ... الوَقْتُ والجَمَالُ الشَّبَابُ

جـ- قول الشاعر:

وليس بمغن فى المودة شافعٌ ... إذا لم يكن بين الضلوع شفيعُ

د- قول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تُجِبْهُ . فخيرٌ من إجابته السكوتُ

٢- ما الغرض من تقديم المفعول على الفاعل فى قول الشاعر:

صَهْوَةَ الجو اعْتلَوا تحسبهم ... جمع أملاك على الخيل تسامى

٣- لماذا قدم الظرف على الفعل فى قول الشاعر:

أبعد المشيب المنقضى فى الذوائب ... تحَاولُ وَصْلَ الغانياتِ الكَوَاعِبِ

٤- لماذا قدم المفعول الثانى على نائب الفاعل فى قول الشاعر:

أفى الحق أن يُعْطى ثلاثون شاعراً ... ويحرم ما دون الرضا شاعرٌ مثلِى؟!

٥- لماذا قدم المفعول على الفعْل فى قول الله تعالى: ﴿وربك فكبر وثيابك فطهر﴾.

٦- ما الغرض من تقديم بعض المعمولات على بعض فى قول الشاعر:

ألقت مقاليدها الدنيا إلى رَجُلٍ ... ما زَالَ وَقفًا عليه الجُودُ والكَرَمُ

٧- هل تقـديم الجار والمجـرور للتـخـصيص، أم لمجـرد الاهتـمام فى قـول الشاعر:

على الأخـــلاق خُطّوا المُلك وابنوا فـليس وَرَاءهَا لِـلـعِــــزٍّ رُكْنُ

٨- اذكر ثلاثة أغراض من أغراض تقديم المسند مع التـمثيل، ثم بين كيف كان تقديم المسند لقصد التفاؤل فى قول الشاعر:

سَـعِــدَتْ بغـرة وجـــهك الأيام وتزينت ببـــقـــائك الأعـــوام

مع ما تعلمه من وجوب تقديم الفعل على الفاعل.

****

القصـــر

القصـــر في اللغـة: الحبس، قال الله تـعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي: محبوسات فيهـا لا يبرحنها، تقول: قصرت نفسي على هذا الأمر، إذا لم تطمح إلى غيره.

وفي اصطلاح البـلاغيين: تـخصيص شيء بـشيء بطريق مخـصوص، والمراد بالشيء الأول: المقصور، وبالثاني: المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر المعروفة عند البلاغيين.

أغراض القصر: يؤتى بأسلوب القصر لأغراض بلاغية من أهمها:

١- **التـأكيـد مع الإيجـاز**: لما كـان المراد بتخـصيص الشيء بالشيء هو: إثـبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره كـانت جملة القصر في قوة جملتين، وبهذا يكون طريقًا من طرق التأكيد في إيجاز، فإذا قلت: ما المتنبي إلا شاعر، كان قولك هذا في قوة قولك: المتنبي شـاعر، المتنبي ليس كاتبًا، ولما كان في القـصر إثبات ونفي كان من أغراضه: أنه يقصد به تمكين الكلام وتقريره في ذهن السامع لدفع ما عنده من شك أو إنكار.

٢- **التعريض**: قد يجيء القصر للتعـريض، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] ففي الآية الكـريمة تعريض بذم الكـفار، وأنهم من فرط جهلهم وغلبة الهوى عليهم ألحقوا بالبهائم.

٣- **الفخر**: وذلك كما في قول الفرزدق:

أنا الـذائد الحـــامي الذمـــار وإنما ... يدافع عن أحـســابهم أنا أو مـثلي

٤- **المدح**: كما في قول عبد الله بن قيس في مصعب بن الزبير بن العوام:

إنما مـــصــعـب شــهـــاب من الله ... تجلت عن وجــــهـــه الظلـمـــاء

٥- **الاستعطاف**: كما في قول أبي الطيب المتنبي:

إنمـا أنـت والـدٌ والأبُ الـقـــــــا طـع أحـنـى مـن واصـل الأبـنـاء

تقسيمات القصر

للقصر تقسيمات ثلاثة:

١- **تقسيم باعتبار غرض المتكلم.**

٢- **تقسيم باعتبار طرفيه.**

٣- **تقسيم باعتبار حال المخاطب.**

وإليك بيان هذه التقسيمات الثلاثة بالتفصيل.

١- تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم:

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى: قصر حقيقى، وقصر إضافى:

أ- فالقصر الحقيقى هو: أن يختص المقصور بالمقصور عـليه فى الحقيقة والواقع، فالنفى فـيه موجـه إلى كل ما عدا المـقصور عليـه، فإذا قلت: **(ما خـاتم الأنبياء والمرسلين إلا محمد)** كنت قد خصصـته ﷺ بهذه الصفة، ونفيتـها عن جميع من عداه، فهى مقصورة عليه، لا تتعداه إلى غيره.

وإذا قلت: **(لا رازق إلا الله)** كنت قـد قـصرت صـفـة الرزق على الله تعـالى ونفيتها عن جميع ما عداه، فهى مقصورة عليه تعالى، لا تتعداه إلى غيره.

وإذا قلت: **(لا إله إلا الله)** كنت قـد قصـرت صـفة الألوهيـة على الله تعـالى ونفيتها عن جميع من عداه، فهى مقصورة عليه لا تتعداه إلى غيره.

وإنما سمى هذا القصر حقيقيًا، لأن تخصيص الشىء بالشىء فيه بحسب الحقيقة ونفس الأمر، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره، فالحـقيقة التى يدركها العقلاء هى: أن صفة خـاتم الأنبياء والرسل مقصورة عـلى محمد ﷺ وأن صفة الرزق مـقصورة على الله تعالى، وأنه لا إله إلا هو.

ب- وأما القصـر الإضافى، فهو: أن يخـتص المقصور بالمقصور عليـه بالإضافة إلى شىء آخر مـعين بحيث لا يتـجاوز المقصـور بالمقصور عـليه إلى ذلك الشىء

المعين، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر، فإذا قلت: **(ما شوقي إلا شاعر)** كنت خصصت شوقيًا بالشعر وقصرته عليه، بحيث لا يتجاوزه إلى شيء آخر معين كالكتابة -مثلاً-، وإن كان ذلك لا ينافي أن يتجاوز الشعر إلى صفات أخرى كالتجارة أو الصناعة أو غيرهما، فالقصر هنا إنما هو بالإضافة إلى الكتابة فحسب، ولهذا سمى قصرًا إضافيًا.

٢- تقسيم القصر باعتبار طرفيه:

ينقسم القصر باعتبار طرفيه **(المقصور والمقصور عليه)** إلى: **قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف.**

فأما الأول، وهو: قصر الموصوف على الصفة، فمعناه: ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، أصلا -إذا كان القصر حقيقيًا- أو إلى صفة أخرى معينة إذا كان القصر إضافيًا.

فمثال قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا قولك: **(ما شوقي إلا شاعر)** وذلك إذا أردت قصر شوقي على صفة الشعر، بحيث لا يتعداها إلى غيرها من سائر الصفات، غير أن هذا النوع من القصر -وهو قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا- لا يكاد يوجد في الكلام، وذلك لأنه يتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها، ونفي ما عداه، فالإنسان لا يستطيع الإحاطة بصفات نفسه وبخاصة الباطنة منها، فكيف يستطيع الإحاطة بصفات غيره؟ فالمعول عليه في مثل هذا النوع من القصر على قصد المبالغة والادعاء في مقام المدح والفخر ونحوهما.

ومنه قول الشاعر:

هل الجود إلا أن تجود بأنْفُس ... عَلَى كُلِّ مَاضِي الشفرتين صَقِيل

ومثال قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا: ما ابن العميد إلا كاتب، تريد قصره على صفة الكتابة، بحيث لا يتعداها إلى شيء بعينه كالشعر -مثلاً- وإن جاز أن تكون تلك الصفة -الكتابة- لموصوف آخر.

وأما الثاني وهو قصر الصفة على الموصوف، فمعناه: ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر -إذا كان القصر حقيقيًا- أو إلى موصوف آخر معين إذا كان القصر إضافيًا.

فمثال قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا: **(ما شاعر فى القرية إلا على)** إذا أردت أن تقصر صفة الشعر عليه بحيث لا تتعداه أصلا إلى غيره من أهل القرية.

ومثال قصر الصفة على الموصوف قصرًا إضافيًا قولك: **(ما كاتب إلا ابن العميد)** تريد: أن صفة الكتابة مقصورة عليه لا تتعداه إلى رجل بعينه -كالمتنبى مثلاً- فالقصر فى هذين المثالين من قصر الصفة وهى الشعر فى المثال الأول والكتابة فى المثال الثانى، على الموصوف، وهو (على) فى المثال الأول و(ابن العميد) فى المثال الثانى، وهذا لا ينافى أن يكون للموصوف صفات أخرى.

القصر الادعائى

إذا نزل ماعدا المقصور عليه منزلة المعدوم قصدًا للمبالغة والادعاء سمى القصر ادعائيًا، وعلى هذا فهناك قصر حقيقى ادعائى، وقصر إضافى ادعائى.

أ- فالقصر الحقيقى الادعائى: هو ما ينزل فيه ماعدا المقصور عليه منزلة المعدوم، فتقول فى قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا ادعائيًا: **(ما طارق إلا شجاع)**، إذا أردت قصر طارق على صفة الشجاعة، بحيث لا يتعداها إلى غيرها من سائر الصفات بأن يجعل ما عداها من الصفات غير معتد به، وكأنه لا صفة له غير الشجاعة لبلوغه فيها الغاية.

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقيًا إدعائيًا: **(ما شاعر إلا أبو الطيب)** إذا أردت قصر صفة الشعر على أبى الطيب، بحيث لا يتعداه إلى غيره من الناس، مع أن هناك شعراء غيره، ولكنهم بالقياس إليه لم يعتد بهم، فنزلوا منزلة المعدوم، ومنه قول الشاعر:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

والفرق بين القصر الحقيقى حقيقة، والقصر الحقيقى إدعاء: أن ما عدا المقصور عليه فى القصر الحقيقى حقيقة لا وجود له أصلا، أما ماعدا المقصور عليه فى القصر الحقيقى إدعاء فهو موجود، ولكنه منزل منزلة المعدوم.

ب- **والقصر الإضافى الادعائى:** هو ما ينزل فيه ماعدا المقصور عليه وهو ما يكون القصر بالإضافة إليه منزلة المعدوم، فتقول فى قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا أو ادعائيًا: **(ما العقاد إلا كاتب)**، إذا أردت قصر العقاد على صفة الكتابة بحيث لا يتعداها إلى صفة الشاعرية على حين أنه متصف بها أيضًا، إلا أنك لم تعتد بها لتفوقه فى الكتابة ونبوغه فيها.

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف قصرًا إضافيًا ادعائيًا **(ما شاعر إلا شوقى)**، إذا أردت قصر صفة الشعر على شوقى، بحيث لا تتعداه إلى العقاد - مثلاً- وإن كان العقاد متصفًا بها -أيضًا- إلا أنك لم تعتد بها أمام شاعرية شوقى لنبوغه وتفوقه، فتنزلها منزلة المعدوم.

٣- تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب:

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: **قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.**

أ- **فأما قصر الإفراد:** فهو تخصيص أمر بصفة دون أخرى -فى قصر الموصوف على الصفة- أو تخصيص صفة بأمر دون أمر آخر -فى قصر الصفة على الموصوف.

والمراد بالأمر الأول: الموصوف المقصور، والمراد بالثانى: الموصوف المقصور عليه. والمخاطب بهذا القصر فى الحالتين: هو من يعتقد الشركة -غالبًا- وقد يخاطب به من يعتقد أن المتكلم يعتقد الشركة، وإن كان هو لا يعتقدها.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد: **(ما عبدالله بن المقفع إلا كاتب)** ردًا على من اعتقد اشتراك صفتى الكتابة والشعر فيه -وهذا هو الغالب- أو ردًا على من اعتقد أنك تعتقد اشتراك صفتى الكتابة والشعر فى ابن المقفع -وهذا هو غير الغالب.

فهو تخصيص أمر هو ابن المقفع بصفة هى: الكتابة، دون صفة أخرى هى الشاعرية.

وتقول فى قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد: **(ما شاعر إلا أبو الطيب)** ردًا على من اعتقد اشتراك غيره معه فى صفة الشعر، كابن العميد -مثلاً- وهذا هو الغالب، أو ردًا على من اعتقد أنك تعتقد اشتراك أبى الطيب وابن العميد فى صفة الشعر وهذا هو غير الغالب. فهو تخصيص صفة الشعر بأمر هو: أبو الطيب دون أمر آخر هو ابن العميد.

وإنما سمى هذا القصر: قصر إفراد، لأنك قد قطعت الشركة التى اعتقدها المخاطب.

ب- وأما قصر القلب: فهو تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى فى قصر الموصوف على الصفة أو تخصيص صفة بأمر مكان آخر فى قصر الصفة على الموصوف.

والمراد بالأمر الأول: الموصوف المقصور، وبالثانى: الموصوف المقصور عليه.

والمخاطب بهذا القصر فى الحالتين: هو من يعتقد عكس الحكم الذى أثبته المتكلم وهذا هو الغالب وقد يخاطب به من اعتقد أن المتكلم يعتقد العكس، وإن كان المخاطب لا يعتقده.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة قصر قلب: **(ما العقاد إلا كاتب)** ردًا على من اعتقد اتصاف العقاد بالشعر دون الكتابة، أو ردًا على من اعتقد أنك تعتقد اتصاف العقاد بالشعر دون الكتابة، وإن كان هو نفسه لا يعتقد ذلك.

فهو تخصيص أمر، و هو العقاد بصفة هى: الكتابة مكان صفة أخرى هى الشعر، وتقول فى قصر الصفة على الموصوف قصر قلب: **(ما شاعر إلا شوقى)** ردًا على من اعتقد أن الشاعر هو الرافعى لا شوقى، أو ردًا على من اعتقد أنك تعتقد أن الشاعر هو الرافعى لا شوقى -وإن كان هو نفسه لا يعتقد ذلك- فهو تخصيص صفة هى: الشعر بأمر هو: شوقى مكان أمر آخر هو: الرافعى وإنما سمى هذا القصر: قصر قلب، لأنك قد قلبت الحكم على المخاطب.

جـ- وأما قصر التعيين: فهو تخصيص أمر بصفة مكان صفة أخرى فى قصر الموصوف على الصفة، أو تخصيص صفة بأمر مكان آخر فى قصر الصفة على الموصوف، والمراد بالأمر الأول: الموصوف المقصور، وبالثانى: الموصوف المقصور عليه. ويخاطب بهذا القصر: من تردد بين الأمرين وتساويا عنده.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة قصر تعيين: **(ما الحجاج إلا خطيب)** خطابًا لمن تردد بين وصفه بالخطابة والكتابة من غير أن يعلم أحدهما على التعيين.

فهو تخصيص أمر هو الحجاج بصفة هى: الخطابة مكان صفة أخرى هى: الكتابة.

وتقول فى قصر الصفة علـى الموصوف قصر تعيين: **(ما شجاع إلا وائل)** خطابًا لمن تردد بين شجاعته وشجاعة بكر ولا يدرى أحدهما على التعيين.

فهو تخصيص صفة هى: الشجاعة بأمر هو: وائل مكان أمر آخر هو: بكر.

هذا وقد اتضح لك مما أسلفنا أن تقسيم القـصر إلى إفراد، وقلب، وتعيين إنما هو خاص بالقصر الإضافى، ولا دخل له بالقصر الحقيقى، وذلك لأن القصر -فى القصر الحقيقى- إنما هو بالنسبة إلى كـل ما عدا المقصور عليه، ولا يتأتى فى مثل هذا اعتقاد شركة، أو عكس تردد.

شرط قصر الموصوف على الصفـة إفرادًا: **ألا يتنافى الوصفان، لقولنا: (ما أبو الطيب إلا شاعر)** ينبغى أن تكون الصفة المنفية فيه: كونه كاتبًا، أو خطيبًا، لا كونه مفحمًا، أى: غير شاعر، **إذ الإفحام ينافى الشاعرية.**

وإنما شرط هذا الشرط ليتأتى اعتقاد المخاطب اجـتماعهما فى موصوف واحد، اللهم إلا أن يكون المخاطب يعتـقد ذلك جهلاً، فإنه يصح الرد عليه حـينئذ بقصر الإفراد، إذ المدار فيه على اعتقاد المخاطب وإن لم يطابق اعتقاده الواقع.

ويشترط فى قـصر الموصوف على الصفة قلبًـا: أن يتنافى الوصفان فى الواقع، فقولنا: **(ما وائل إلا كريم)** ينبغى أن تكون الصفة المنفية فـيه كونه بخيلاً، لا كونه شاعرًا أو كاتبًا، وذلك ليـكون إثبات المتكلم إحدى الصفتين مشعـرًا بانتفاء الصفة الأخرى مع دلالة العبارة على أن المخاطب يعتقد العكس فيكون قصر قلب بيقين.

أما إذا لم تكن إحدى الصفتين منافية للأخرى، كما فى قولك: **(ما ابن العميد إلا كاتب)** أى: لا شاعر -مثـلاً- فإنه وإن أشعر بانتفاء الشـاعرية -مثلاً- لا يدل قطعًا على أن المخاطب يعـتقد العكس بل يحتـمل فى حد ذاته أن يكون المخاطب معتقدًا الشركة نظرًا لجواز اجتمـاع وصفى الكتابة والشعر، فيكون قصر إفراد، مع أن الغرض هو قصر القلب.

طرق القصر

للقصر طرق كثيرة يؤدى بها، وقد اصطلح البلاغيون منها على ستة هى:

١- ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر. **٢- تعريف ركنى الإسناد.**

٣- العطف. **٤- النفى والاستثناء.**

٥- إنما. **٦- تقديم ما حقه التأخير.**

غير أن الدراسة هنا سوف تتناول أربعة منها وهى:

أولا: العطف وإنما قدمنا العطف لأنه أوضح دلالة على القصر من غيره وذلك للتصريح فيه بالمثبت والمنفى معًا.

ويقصد بالعطف هنا: ما يكون (بلا) أو (بل) أو (لكن) ذلك لأن حكم المعطوف بها يغاير حكم المعطوف عليه إثباتًا ونفيًا.

والمقصور عليه فى القصر **(بلا)** هو المقابل لما بعدها، فإذا قلت: **(وائل ذكى لا غبى)** كان المقصور عليه صفة الذكاء التى عطفت عليها **(بلا)** صفة الغباء، وإذا قلت: **(طارق شجاع لا خالد)** كان المقصور عليه طارق الذى عَطَفْتَ عليه **(بلا)** خالد.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة: **(الحجاج خطيب لا شاعر)** فإن كان الخطاب مع من اعتقده خطيبًا وشاعرًا كان قصر إفراد، وإن كان مع من اعتقده شاعرًا لا خطيبًا كان قصر قلب، وإن كان مع من تردد فى وصفه بالخطابة أو الشعر كان قصر تعيين.

وتقول فى قصر الصفة على الموصوف: **(أبو الطيب شاعر لا ابن العميد)** فإن كان الخطاب مع اعتقد اشتراك ابن العميد مع أبى الطيب فى صفة الشعر كان قصر إفراد وإن كان مع من اعتقد أن الشاعر هو ابن العميد لا أبو الطيب كان قصر قلب، وإن كان الخطاب مع من تردد بين أبى الطيب وابن العميد فى صفة الشعر كان قصر تعيين.

والمقصور عليه فى **(بل)** و**(لكن)** هو ما بعدهما.

فإذا قلت: (**ما ياسر غبيًا بل ذكى**) كان المقصور عليه هو: صفة الذكاء التى وقعت بعد (بل)، وإذا قلت: (**ما على شجاعًا بل طارق**) كان المقصور عليه هو: طارق الذى وقع بعد (بل).

وكذلك إذا قلت: (**ما محمد بخيلاً لكن كريم**) كان المقصور عليه هو: صفة الكرم التى وقعت بعد (لكن)، وإذا قلت: (**ما فؤاد ناجحًا لكن على**) كان المقصور عليه هو (على) الذى وقع بعد (لكن).

على أنه يجب أن ننبه إلى أن (بل) إنما تفيد القصر إذا كانت واقعة بعد النفى دون الإثبات، وذلك لأنها بعد النفى تفيد: إثبات الحكم للتابع، فيتأتى القصر، أما إذا وقعت بعد الإثبات فإنها لا تفيد رفع الحكم عن المتبوع لكنها تجعله فى حكم المسكوت عنه فلا يتأتى القصر.

فمثل قولك: (**ما ابن العميد شاعر بل كاتب**) معناه نفى الشاعرية عن ابن العميد وإثبات الكتابة له، وهذا هو القصر، فالمقصور عليه هو ابن العميد، والمقصور هو الكتابة قصر موصوف على صفة.

ولكن إذا قلت: (**ابن المقفع شاعر بل كاتب**) كان معناه: ثبوت الكتابة لابن المقفع مع السكوت عن نفى الشاعرية عنه أو إثباتها له، وليس هذا بقصر أما (لكن) فلا نزاع فيها، لأنها لا تقع إلا بعد النفى.

وكون القصر حقيقيًا أو إضافيًا -إذا جاء عن طريق العطف- متوقف على المعطوف؛ فإذا كان المعطوف عامًا كان القصر حقيقيًا، وإذا كان المعطوف خاصًا كان القصر إضافيًا.

فالقصر فى قولك: (**زهير شاعر لا غير زهير**) فى قصر الصفة على الموصوف وقولك: (**ابن العميد كاتب لا غير كاتب**) فى قصر الموصوف على الصفة- قصر حقيقى.

والقصر فى قولك: (**أبو الطيب شاعر لا ابن العميد**) فى قصر الصفة على الموصوف، وقولك: (**ابن العميد ناثر لا شاعر**) فى قصر الموصوف على الصفة- قصر إضافى.

ويكون القصر الإضافى قصر إفراد، أو قلب، أو تعيين على حسب ما تقتضيه حال المخاطب، فإن كان معتقدًا الشركة كان قصر إفراد، وإن كان معتقدًا العكس كان قصر قلب، وإن كان مترددًا بين الأمرين وتساويا عنده كان قصر تعيين.

ثانيًا: النفى والاستثناء: والمراد بالنفى: مطلق أداة نفى مثل: (**ما وليس ولا ولم ولن**) كما أن المراد بالاستثناء مطلق أداة استثناء فيشمل: (**إلا وغير وسوى**).

وإنما شرطوا أن يتقدم الاستثناء نفى، ليتأتى معنى القصر على ما ينبغى، وذلك لأن قولك: (**حضر الطلاب إلا خالدًا**) يفيد مجرد استثناء أحد الأفراد من الحكم دون أن يكون فيه المعنى المقصود من القصر وهو: إفادة التوكيد.

والمقصور عليه فى النفى والاستثناء هو ما يلى أداة الاستثناء.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة: (**ما الحجاج إلا خطيب**) فإن كان الخطاب مع من اعتقده شاعرًا وخطيبًا كان قصر إفراد، وإن كان مع من اعتقده شاعرًا لا خطيبًا كان قصر قلب، وإن كان مع من تردد بين وصفه بالخطابة والشاعرية وتساويا عنده كان قصر تعيين.

أما كيف أفاد «**النفى والاستثناء**» القصر، فهو: أنك إذا قلت -مثلا-: (**ما طارق إلا شجاع**) -فى قصر الموصوف على الصفة- فإن النفى فيه يتوجه إلى صفة طارق لا إلى ذاته، لأن الذات من حيث هى يمتنع نفيها، وإنما تنفى صفاتها، ولما كان الخلاف فى كونه شجاعًا أو جبانًا فقد تناولها النفى، فإذا قلت: (**إلا شجاع**) فقد جاء القصر.

وإذا قلت: (**ما ذكى إلا هشام**) -فى قصر الصفة على الموصوف- فإن النفى يتوجه إلى الوصف -أيضًا- وإذا كان الوصف وهو الذكاء لا نزاع فى ثبوته، وإنما النزاع فى الموصوف به هل هو هشام أو علاء، فقد شملهما النفى باعتبار اتصافهما بالوصف المذكور، فإذا قيل: (**إلا هشام**)، تحقق القصر.

ويمكن أن يقال: إن النفى فى الكلام الناقص، أو الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر عام هو المستثنى منه المناسب للمستثنى فى جنسه وصفته، فإذا أوجب من ذلك المقدر شىء «**بإلا**» جاء القصر ضرورة بقاء ما عداه على صفة الانتفاء.

أما توجه النفى إلى مقدر هو المستثنى منه، فلكون «إلا» للإخراج، واستدعاء الإخراج مخرجًا منه، وأما كون هذا المقدر عامًا، فليتناول المستثنى فيتحقق الإخراج.

ولهذا كانت قراءة الحسن: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ببناء (ترى) للمفعول ورفع (مساكنهم) نائبًا للفاعل، وقول ذى الرمة:

طوى النحز والأجراز ما فى عروضها — فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

مراعى فيهما ظاهر اللفظ، مع أن الأصل فيهما هو: التذكير، لاقتضاء المقام تقدير (شيء من الأشياء) فيقال فى الأول: **(فلا يرى شيء إلا مساكنهم)** وفى الثانى: **(فما بقى شيء إلا الضلوع الجراشع)**.

ثالثًا: (إنما) وتجيء إنما فى المرتبة الثالثة من مراتب أدوات القصر، لأن فى تضمنها معنى القصر شيء من الخفاء، لعدم التصريح معها بالنفى الذى يتأتى به مع الإثبات القصر.

على أن دلالتها على القصر بالوضع، فليست فى احتياج إلى دليل على أنها تفيد القصر، ومع ذلك فقد قالوا: إنها تفيد القصر لتضمنها معنى **(ما وإلا)** اللتين هما أدل على إفادة معنى القص للتصريح فيهما بالنفى والاستثناء، ولما كان فى تضمنها هذا المعنى شيء من الخفاء فقد استدلوا عليه بما يلى:

أ- ما قاله المفسرون القدماء: وهم أئمة اللغة والبيان الموثوق بهم فى معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [النحل: ١١٥] على قراءة نصب الميتة وبناء حرم للفاعل، فقد قالوا: إن المعنى -على هذه القراءة-: ما حرم عليكم إلا الميتة، وهذا المعنى هو الموافق -فى إفادة القصر- لمعنى الآية على قراءة رفع الميتة مع بناء للفاعل، وإن اختلف طريقا القصر فى القراءتين، فطريق القصر فى القراءة الأولى (إنما) وطريقته فى القراءة الثانية: **(تعريف الطرفين)**.

توضيح هذا القول:

أن القراءة الأولى: وهى القراءة الفصيحة **«حرَّم»** مبنيًا للفاعل مع نصب **«الميتة»** على أنه مفعول **«حرم»** وضمير الفعل عائد على الله تعالى و(ما) كافة (إن) عن العمل، والمعنى: ما حرم الله عليكم إلا الميتة.

والقراءة الثانية: (حرم) مبنيًا للفاعل أيضًا مع رفع (الميتة) على أنه خبر (إن) وضمير الفعل عائد كذلك على الله تعالى، و(ما) حينئذ موصولة اسم (إن) محذوفة العائد، والتقدير: إن الذى حرمه الله عليكم الميتةوهذه القراءة -أيضًا- مفيدة للقصر، ولكن بتعريف الطرفين.

فإذا ما علمنا ذلك علمنا أن معنى القراءة الأولى: **(ما حرم الله عليكم إلا الميتة)** مطابق لمعنى القراءة الثانية: **(إن الذى حرمه الله عليكم الميتة)** فى إفادة القصر وإن اختلف الطريقان، فطريق الأولى: **(إنما)** وطريق الثانية: تعريف الطرفين، والتطابق فى المعنى بين القراءات واجب، ولا يتم هذا التطابق إلا إذا كانت **(إنما)** متضمنة معنى **(ما وإلا)**.

ب- ما قاله النحاة الأوائل: وهم الذين شافهوا العرب من أن **(إنما)** لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه، فقولك فى قصر الموصوف على الصفة **(إنما أبو الطيب شاعر)** لإثبات شاعرية أبى الطيب ونفى ماعداها من الصفات كالكتابة والخطابة والشجاعة وغيرها، وهذا المعنى هو معنى **(ما وإلا)** لأن **(ما)** للنفى، و**(إلا)** للإثبات.

جـ- وجوب انفصال الضمير معها مع إمكان اتصاله، كما فى قولك: **(إنما يأبى الذل أنا)** والقاعدة عند النحاة أن الضمير إذا أمكن وصله وجب ولا يعدل عن وصله إلى فصله إلا لموجب، كتقديمه على عامله، وكوجود فاصل من شأنه أن يفصل بين الضمير وعامله، ولا تقديم هنا، فتعين وجود الفاصل.

وهذه القاعدة هى التى أشار إليها ابن مالك فى ألفيته بقوله:

وفى اختيار لا يجىء المنفصل ... إذا تأتى أن يجىء المتصل

ولا يصلح الفصل فى موضع **(إنما)** إلا **(بما وإلا)** فوجب أن يكون معنى **(إنما يأبى الذل أنا)**: ما يأبى الذل إلا أنا، ولو قلت: إنما آبى الذل لفات هذا المعنى.

وقد استشهدوا على وجوب هذا الفاصل بقول الفرزدق:

أنا الذائد الحامى الذمار إنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

ولا ريب أن الفرزدق -وهو فى مقام المفتخر المعتز بنفسه- يريد أن يخص نفسه بالدفاع عن أحساب قومه، وأن يجعل الدفاع عن أحسابهم مقصورًا عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره قصر صفة على موصوف، مع أن هذا لا ينافى أن يدافع عن أحساب غيرهم -أيضًا- ومن قواعدهم: أن المقصور عليه فى (إنما) يجب تأخيره، وعلى هذا ينبغى تأخير الضمير عن الأحساب -كما فعل الفرزدق- لأن الضمير هو المحصور فيه، ولو أخر لفظ الأحساب فقيل: وإنما أدافع عن أحسابهم لكان الأحساب محصورًا فيه، ولصار المعنى: أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم، وهو ليس مرادًا، لأنه بصدد التمدح بالبسالة والمروءة، وليس فى الدفاع عن أحساب بعينها كبير مدح، فقد يتأتى ذلك ممن يكره عليه، وليس بذى مروءة ولا شهامة.

رابعًا: تقديم ما حقه التأخير:

والمقصور عليه فيه هو: المقدم.

تقول فى قصر الموصوف على الصفة: **(عربى أنا)** فتقصر ضمير المتكلم على وصف العروبة لا يتعداها إلى غيرها كالهندية والإنجليزية وهكذا.

وتقول -فى قصر الصفة على الموصوف-: **(أنا ساعدتك فى مهمتك)** فتقصر المساعدة على ضمير المتكلم بحيث لا تتعداه إلى غيره.

وأما كونه قصر إفراد، أو قلب، أو تعيين فمنوط بحال المخاطب كما عرفت وتقديم ما حقه التأخير يأتى فيما يلى:

(أ) تقديم المسند إليه كما فى قول أبى الطيب:

وما أنا أسقمت جسمى به ... وما أنا أضرمت فى القلب نارا

(ب) تقديم المسند: كما فى قول عمرو بن كلثوم:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

(جـ) تقديم بعض القيود، كما فى باب متعلقات الفعل- وذلك كقول الشاعر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إننى ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

(د) تقديم بعض المعمولات على بعض، كإفادة التخصيص فى نحو:

(جاء راكبًا محمد).

(فروق فى طرق القصر)

علمت أن طرق القصر الأربع وهى **(العطف، والنفى والاستثناء، وإنما، والتقديم)** تشترك جميعها فى إفادة القصر، بيد أنها تختلف من وجوه عدة، فلكل طريقة خاصية تتميز بها من بين الطرق الأخرى ولا تشترك فيها.

فالطريق الأول -وهو العطف- يتميز من بين الطرق الأخرى بأن الأصل فيه هو: النص على المثبت والمنفى، أما الطرق الثلاثة الباقية فإن الأصل فيها هو النص على المثبت فقط، فإذا قلت فى قصر الموصوف على الصفة-: **(المتنبى شاعر لا خطيب)** فقد نصصت على المثبت للمتنبى وهو **(الشعر)**، كما نصصت على المنفى عنه وهو **(الخطابة)**، وإذا قلت -فى قصر الصفة على الموصوف -: **(نجح فؤاد لا عماد)** فقد نصصت على الذى أثبت له النجاح-، وهو **(فؤاد)** كما نصصت على الذى نفيت عنه النجاح وهو **(عماد)**، وهذا القول ينطبق على العطف **«بل»** و**«لكن»**.

على أنه لا يترك النص على المثبت والمنفى إلا كراهة الإطناب لغرض ما، كضيق المقام، وذلك مثل أن تقول: هشام يعلم النحو لا غير، أى لا غير النحو، أى: لا الصرف ولا العروض -مثلا- فيكون من قصر الموصوف على الصفة، أو لا غير هشام، أى لا فؤاد ولا عماد -مثلا- فيكون من قصر الصفة على الموصوف.

ولكنك تقول فى النفى والاستثناء -فى قصر الصفة على الموصوف-:

«ما شجاع إلا خالد» فتنص على ما أثبت له الشجاعة -وهو خالد- ولا تنص على من نفيتها عنه، وهو: **«فؤاد»** -مثلا-: كما تقول -فى قصر الموصوف على الصفة- **«ما خالد إلا شجاع»** فتنص على الصفة المثبتة وهى **«الشجاعة»** دون الصفة المنفية، وهى: **«الجبن»**.

وتقول فى **«إنما»**: -فى قصر الصفة على الموصوف- **«إنما شاعر شوقى»** كما تقول -فى قصر الموصوف على الصفة-: **«إنما شوقى شاعر»**، فقد ذكرت فى الأول من أثبت له الشاعرية وهو: **«شوقى»**، ولم تذكر من نفيتها عنه، وذكرت فى الثانى الصفة التى أثبتها لشوقى ولم تذكر الصفة التى نفيتها عنه.

وتقول فى التقديم -فى قصر الصفة على الموصوف: «**إنما سعيت فى حاجتك**»، أى لا إبراهيم -مثلا-، وتقول فى قصر الموصوف على الصفة- «**مصرى قرارُ العبور**» أى: لا سورى -مثلا- فقد اتضح لك أن الطرق الثلاث وهى: «**النفى والاستثناء**» و«**إنما**» و«**التقديم**» لا ينص فيها إلا على المثبت فقط، فإذا نص على المنفى فى أحدها كان ذلك خروجًا على الأصل.

والطريق الثانى: وهو: «**النفى والاستثناء**»: الأصل فيه أن يستعمل فى حكم من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره ويحتاج فيه إلى تأكيد، أو فى حكم من شأنه ألا يجهل ولا ينكر، ولكن نزل منزلة ما يجهل وينكر لنكتة.

ولكن الأصل فى إنما -مع أنها متضمنة معنى «**ما**» و«**إلا**» على عكس ذلك تمامًا، فهى تستعمل فى حكم من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره، أو فى حكم من شأنه أن يجهل وينكر، ولكن نزل منزلة ما شأنه ألا يكون مجهولاً ولا منكرًا لنكتة -أيضًا-، فمثال استعمال النفى والاستثناء فيما شأنه أن يجهل وينكر، قولك لصاحبك -وقد لمحتما شبحًا من بعيد: (**ما القادم إلا محمد**)، إذا اعتقده محمودًا -مثلا- مصرًا على اعتقاده، فيكون قصر قلب، وإذا اعتقده محمدًا ومحمودًا كذلك فيكون قصر إفراد.

ومثال ما نزل فيه الحكم المعلوم منزلة ما شأنه أن يكون مجهولاً لنكتة، قوله تعالى- فى قصر الموصوف على الصفة-: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] أى مقصور على الرسالة، لا يتعداها إلى الخلود، فالمخاطبون -وهم الصحابة رضوان الله عليهم- يعلمون يقينًا أنه -ﷺ- مقصور على الرسالة، وليس جامعًا للرسالة والخلود، ولكنهم لما استعظموا موته -ﷺ- صاروا كأنهم يثبتون له صفتين: الرسالة والخلود، لهذا قصر على الرسالة قصر إفراد، ونزل المعلوم- وهو أنه- لا محالة- ميت، منزلة ما شأنه أن يجهل وينكر، فاستعمل فيه النفى والاستثناء.

والنكتة التى دعت إلى هذا التنزيل هى: استعظام الصحابة موته -ﷺ- والإشعار بأنهم فى منتهى الحرص على حياته بينهم حتى نزلوا منزلة المنكرين لموته، فخوطبوا بما يدفع الإنكار المقدم.

ومثال استعمال (إنما) في ما من شأنه ألا يكون مجهولاً ولا منكرًا، قولك لصاحبك وقد رأيتما شخصًا من قريب: (**إنما المقبل محمد**)؛ فمثل هذا الحكم من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره لقرب الشخص من مرأى العين.

ومثال ما نزل فيه الحكم المجهول منزلة ما من شأنه أن يكون معلومًا قول الله تعالى -حكاية عن اليهود-: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ١١]، فقد أدى اليهود أن كونهم مصلحين أمر ظاهر من شأنه ألا يجهل ولا ينكر، ولهذا عبروا فيه «**بإنما**» تنزيلاً للمجهول -وهو كونهم مصلحين- منزلة ما شأنه أن يكون معلومًا، لا يجهله المخاطب ولا ينكره.

ونكتة هذا التنزيل: الإشعار بأن ما يدعونه من أنهم مصلحون أمر واضح جلي لا يجمل إنكاره، ولهذا جاء رد الله عليهم أبلغ رد، وذلك بقوله تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢]

فقد أكد هذا الرد بتأكيدات مختلفة وهي:

١- إفراد الجملة الاسمية الدالة على الثبوت.

٢- تأكيدها «**بإن**» المشددة.

٣- تعريف الخبر الدال على حصر المسند إليه.

٤- توسيط ضمير الفصل المؤكد لهذا الحصر.

٥- تصدير القول بحرف التنبيه؛ الدال على أن مضمون الكلام مما له خطر يستوجب العناية والاهتمام.

٦- تعقيبه بما يدل على التقريع والتوبيخ، وهو قوله تعالى: ﴿**ولكن لا يشعرون**﴾، إذ معناه: أنهم في عداد الموتى، لا شعور لهم.

والطريق الثالث: وهو: (إنما) يعقل منه حكما الإثبات والنفي دفعة واحدة، ويفهمان نصًا دون الاعتماد على شيء آخر، فإذا قلت: (**إنما طارق شجاع**) فقد أثبت له صفة الشجاعة، ونفيت عنه ما عداه من الصفات في القصر الحقيقي- أو نفيت عنه صفة الجبن في القصر الإضافي، وهذان الحكمان قد فهما من العبارة السابقة دفعة واحدة ودلت عليهما نصًا دون الاعتماد على شيء آخر.

وهذا يخالف العطف والتقديم والنفى والاستثناء، فإذا قلت -فى العطف-: (**طارق شجاع لا جبان**) و(**ما طارق جبانا بل شجاع**) أو (**لكن شجاع**) فإن الذى يعقل أولاً فى المثال الأول ثبوت الشجاعة لطارق ثم نفى الجبن عنه، والذى يعقل فى المثال الثانى أولاً: نفى الجبن عن طارق، ثم ثبوت الشجاعة له، ولا ريب أن تعقل الحكمين معًا أفضل حتى لا يذهب فيه الوهم إلى عدم القصر من أول الأمر.

وإذا قلت -فى التقديم-: (**الحق عرفت**) فإنه وإن أفادهما معًا إلا أن إفادته إياهما على سبيل الاحتمال لا القطع، إذ يحتمل أن يكون الاسم المذكور معمولاً للعامل المؤخر فيكون تقديمه مفيدًا لهما معًا، ويحتمل أن يكون معمولاً لشىء آخر مقدر فلا يكون مفيدًا لهما.

وإذا قلت -فى النفى والاستثناء-: (**ما أسعدنى إلا نجاحك**) فإنه وإن أفادهما معًا إلا أن إفادته موقوفة على المستثنى منه، لأن الاستثناء قد وضع للإخراج، فلابد من مراعاة المخرج منه.

فقد وضح من ذلك إذن أن إفادة حكمى الإثبات والنفى معًا دفعة واحدة، مزية مقصورة على (**إنما**).

والطريق الرابع: وهو التقديم: يمتاز من بين الطرق الأخرى بأنه إنما يدل على القصر بمفهوم الكلام وفحواه، بمعنى أن صاحب الذوق السليم إذا تأمل فى الكلام المشتمل على تقديم ما حقه التأخير فهم القصر وإن لم يعرف أن التقديم فى اصطلاح البلاغيين مفيد للقصر، فقولك: (**مصرى أنا**) يفيد قصر المتكلم على وصف المصرية، لا يتعداها إلى الشامية -مثلا-، وذلك بالنظر إلى مفهوم الكلام وفحواه.

أما الطرق الثلاثة الأخرى -وهى العطف، والنفى والاستثناء، وإنما- فإن دلالتها على القصر بالوضع لا بالفحوى، أى أن الواضع وضع هذه الثلاثة لمعنى هو: إثبات المذكور ونفى ما عداه، بحيث يجزم العقل -عند ملاحظته- بالقصر، فلا العاطفة -مثلا- موضوعة للنفى بعد الإثبات وهذا المعنى مفيد للقصر، وكذلك النفى والاستثناء، فحرف النفى موضوع للنفى وحرف الاستثناء موضوع للإخراج من حكم النفى، وهذا المعنى -أيضًا- مفيد للقصر.

«وإنما» مفيدة -أيضًا- للقصر، بالوضع، لأنها تتضمن معنى (ما وإلا) المفيدين للقصر.

مواقع القصر: يقع القصر بين الأمور التالية:

١- **بين المبتدأ والخبر**، كما في قولك: **(ما شوقى إلا شاعر)** -فى قصر الموصوف على الصفة -وكما فى قولك: **(ما شاعر إلا شوقى)** فى قصر الصفة على الموصوف- وقد سبق أن عرفت هذا.

٢- **بين الفعل والفاعل:** نحو: **(ما نجح إلا عصام)** -فى قصر الصفة على الموصوف- وأما عكسه وهو قصر الفاعل على الفعل فإنه غير ممكن، وذلك لأن المقصور يجب تأخيره -على ما سيأتى- والفعل لا يؤخر عن الفاعل. فإن خرج عن الفاعلية رجع الأمر إلى قصر المبتدأ على الخبر.

٣- **بين الفاعل والمفعول:** نحو **(ما عرفت إلا عصامًا)** فى قصر الفاعل على المفعول، ونحو: **(ما عرفنى إلا عصام)** -فى قصر المفعول على الفاعل.

٤- **بين المفعولين:** نحو: **(ما لقنت العدو إلا درسًا)** -فى قصر المفعول الأول على المفعول الثانى- ونحو: **(ما لقنت درسًا إلا العدو)** فى قصر المفعول الثانى على المفعول الأول.

٥- **بين متعلقات الفعل:**

فتقول -فى قصر الحال على صاحبها: **(ما جاء مبتسمًا إلا على)**، أى ما صاحب المجىء مع الابتسام إلا على، فيكون من قصر الصفة على الموصوف.

وتقول فى قصر صاحب الحال عليها: **(ما على إلا جاء مبتسمًا)** أو **(ما جاء على إلا مبتسمًا)** ومعنى المثال الأول، ما على إلا صاحب المجىء مع الابتسام، ومعنى المثال الثانى: ما مجىء على إلا مصحوب بالابتسام، وكلاهما من قصر الموصوف على إلا الصفة.

وتقول فى قصر التمييز على مميزه: **(ما طاب نفسًا إلا عصام)** أى: ما صاحب النفس الطيبة إلا عصام، فيكون من قصر الصفة على الموصوف، وتقول -فى قصر

مميزه عليه- (**ما طاب عصام إلا نفسًا**): أى ما طاب من عصام إلا نفسه، فيكون من قصر الصفة على الموصوف -أيضًا- غير أن المقصور عليه فى الأول: هو المميز، والمقصور عليه فى الثانى: هو التمييز.

وتقول: «**ما عصام إلا طابت نفسه**» أى: ما عصام إلا صاحب النفس الطيبة -من قصر الموصوف على الصفة.

وتقول -فى المجرور-: «**ما سلمت إلا على خالد**» وتقول فى الظرف: «**ما جلست إلا عندك**» وتقول فى البدل: «**ما ضربت فؤادًا إلا رأسه**» و«**ما أعجبنى علاء إلا وجهه**».

«موقع المقصور عليه»

المقصور عليه فى «**النفى والاستثناء**» يغلب عليه أن يكون مؤخرًا عن المقصور، بحيث يقع بعد أداة الاستثناء، فإذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت: (**ما اخترق العلماء إلا الفضاء**) وإذا أردت قصر المفعول على الفاعل قلت: (**ما اخترق الفضاء إلا العلماء**).

والسبب فى ذلك: أن القصر أثر ناشئ عن أداته، ويمتنع ظهور أثر الأداة قبل وجودها. ويقل تقديم المقصور عليه على المقصور فى الاستثناء بشرط وقوع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء: تقول فى قصر الفاعل على المفعول: (**ما اخترق إلا الفضاء العلماء**) وتقول فى قصر المفعول على الفاعل: (**ما اخترق إلا العلماء الفضاء**).

أما إذا فقد الشرط المذكور -وهو وقوع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء- فإنه يمتنع تقديم المقصور عليه.

أما فى (إنما): فإن المقصور عليه يؤخر عن المقصور -كما فى النفى والاستثناء- إلا أنه لا يجوز تقديم المقصور عليه على المقصور أبدًا.

فإذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت: (**إنما حلل العلماء تربة القمر**) وإذا أردت قصر المفعول على الفاعل قلت: (**إنما حلل تربة القمر العلماء**) ويكون الأخير بمثابة الواقع بعد إلا فى النفى والاستثناء.

وإنما لم يصح تقديم المقصور عليه على المقصور فى (إنما)، لأن فى تقديمه إلباسًا للمعنى، فكل من الفاعل والمفعول الواقعين بعد الفعل يحتمل أن يكون هو المقصور عليه دون الآخر، ولم توجد قرينة تدل على أن أحدهما هو المقصور عليه دون الثانى، ولهذا جعلوا تأخير المقصور عليه دليلاً على القصر على المؤخر منهما.

فإذا قلت: (**إنما حلل العلماء تربة القمر**) كانت تربة القمر هى المقصور عليه، فإذا قدمتها، فقلت: (**إنما حلل تربة القمر العلماء**) كان العلماء هو المقصور عليه والعكس المعنى.

وعلى أية حال: فإن المقصور عليه فى (إنما) هو المؤخر، بخلاف النفى والاستثناء، فإن المقصور عليه فيها يجوز تقديمه على قلة، لانتفاء اللبس حينئذ فالمقصور عليه هو الواقع بعد (إلا) سواء تقدم أو تأخر.

وإنما يؤخر المقصور عليه فى (إنما) بشرطين:

الأول: إفادة معنى القصر من (إنما) فقط.

الثانى: ألا يعرض لتقديم المقصور عارض.

فإذا ما استفيد معنى القصر من «إنما» ومن غيرها، وجب تقديم المقصور عليه، وذلك كما فى قولك: (**إنما الكريم أكرمت**) ففيه تقديم المقصور عليه على المقصور، لأن القصر ليس مستفادًا من (إنما) وحدها، بل منها ومن التقديم.

وإذا ما عرض لتقديم المقصور عارض، كامتناع تقديم الفاعل على الفعل، وجب تقديم المقصور عليه، كما فى قولك: (**إنما أعددت للأمر عدته**)، وذلك لأن الفاعل -وهو تاء الفاعل- مقصور على الفعل الذى هو الإعداد، وهو يمتنع تقديمه على الفعل، لهذا وجب تقديم المقصور عليه، فإذا أردت -فى هذا المثال- قصر الفعل على الفاعل، قلت: (**ما أعد للأمر عدته إلا أنا**).

وأما فى (بل) و(لكن): فإن المقصور عليه هو ما بعدهما:

فإذا قلت -فى قصر الموصوف على الصفة-: (**ما العقاد خطيبًا بل كاتب**) أو (**لكن كاتب**) كان المقصور عليه هو: كاتب، وإذا قلت -فى قصر الصفة على

الموصوف- (ما المتنبى كاتبًا بل ابن العميد) أو (لكن ابن العميد) كان المقصور عليه هو: ابن العميد.

وأما العطف (بلا) فإن المقصور عليه هو المعطوف عليه قبلها: فإذا قلت -فى قصر الموصوف على الصفة-: (شوقى شاعر لا كاتب) كان المقصور عليه هو: (شاعر)، وإذا قلت -فى قصر الصفة على الموصوف- (المتنبى شاعر لا ابن العميد) كان المقصور عليه هو: (المتنبى).

وأما فى تقديم ما حقه التأخير فإن المقصور عليه فيه هو: المقدم، فإذا قلت -فى قصر الموصوف على الصفة-: (مصرى أنا) كان المقصور عليه فيه هو: (مصرى).

وإذا قلت -فى قصر الصفة على الموصوف-: (أنا سعيت فى حاجتك) كان المقصور عليه هو ضمير المتكلم.

هذا: ويجوز أن تجمع بين طريقين من طرق القصر، فتقول: (إنما المتنبى شاعر لا خطيب) فى الجمع بين (إنما) و(العطف) وتقول: (إنما الله سألت) فى الجمع بين (إنما) و(التقديم).

ومن الجمع بين العطف والتقديم قول الشاعر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إننى ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

****

تمرينات
على القصر

١- بين المقصور والمقصور عليه ونوع القصر وطريقه فيما يلى:

أ- ومـا نال المنى فى الناس إلا غَبىُّ القوم أو فطنٌ تغابى

ب- إنما الدنيا هباتٌ وَعَوار مستردة

شدة بعد رَخاء ورخاة بعد شدة

جـ- ما بعتكم مهجتى إلا بوصلكُمُ ولا أُسَلِّمُهَا إلا يَدًا بِيَد

د- إنَّ الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

هـ- كأن لم يمت أحد سِوَاكَ وَلَمْ يقُمْ على أحَد إلا عليك النوائحُ

و- وإنما المرء بأصْغَريْه كُلُّ امرىء رَهْنٌ بِمَا لديْه

٢- حول كلاً من العبارتين الآتيتين إلى صيغة قصر، مستخدمًا طرق القصر المعروفة:

أ- يعاف حياة الضيم الحر الكريم.

ب- يستمرئ الجاهل مرعى الخمول.

٣- بين نوع القصر، وطريقته، والمقصور والمقصور عليه فيما يأتى:

أ- «**إن هذا إلا ملك كريم**».

ب- وللناس فيما يعشقون مذاهب.

جـ- الدنيا دار ضيافة لا دار إقامة.

د- «**إياك نعبد وإياك نستعين**».

هـ- لا شاعر إلا شوقى.

و- ما أنت صديق بل شقيق.

ز- أنا سعيت فى حاجتك.

٤- عين المقصور عليه، وبين نوع القصر فيما يلى:

أ- إنما أعز الإسلام عمر.

ب- لا يرعى إلا الكريم حق الجوار.

جـ- عليك أيها الكريم يعتمد.

د- لا يصاحب الكرام إلا الكريم.

ز- إنما ساء زيد منقلبًا.

و- إنما حسبت للأمر ألف حساب.

****

البديـــع

تدور مادة «**البديع**» فى اللغة حول معنى «**الجديد والمحدث والمخترع**» والله تعالى ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة: ١١٧]، لأنه أوجدهما لا على مثال سابق.

وفى اصطلاح البلاغيين: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

وقد قسم البلاغيون وجوه تحسين الكلام إلى قسمين: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ، وليس معنى هذا أن القسم الأول إنما هو تحسين للمعنى فحسب وأن الثانى إنما هو تحسين للفظ فحسب، ولكن المقصود بهذا التقسيم هو: أن القسم الأول منه -وهو المعنوى- يرجع تحسينه إلى المعنى أولاً وبالذات وإن تبع ذلك تحسين للفظ، وأن القسم الثانى منه -وهو اللفظى- يرجع تحسينه إلى اللفظ أولاً وبالذات وإن تبع ذلك تحسين للمعنى.

من المحسنات اللفظية

الجناس

وهو: ما اتفق فيه اللفظان فى وجه من الوجوه الآتية، وهى: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها وترتيبها، مع اختلافهما فى المعنى.

وهو نوعان: تام، وغير تام.

فأما الجناس التام: فهو: ما اتفق فيه اللفظان فى الوجوه الأربعة السابقة، ومثاله قول الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ [الروم: ٥٥] فقد اتفقت لفظتا «**ساعة**» فى الآية الكريمة فى الوجوه الأربعة المذكورة، مع اختلافهما فى المعنى، لأنه قد أريد بالأول «**القيامة**» وبالثانية «**الساعة الزمنية**».

وهو ثلاثة أنواع: مماثل، ومستوفى، ومركب:

(أ) فالمماثل: ما اتفق فيه اللفظان فى نوع الكلمة، كأن يكونا: اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

فالاسمان: كالآية السابقة، وكقول أبى تمام:

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا ... صدور العوالى فى صدور الكتائب

فصدور العوالى هى: أعاليها، وصدور الكتائب هى: نحورها.

وهما: اسمان.

والفعلان كقولك: **(فلان يضرب فى البيداء فلا يضل، ويضرب الهيجاء فلا يكل)** فلفظ **(يضرب)** الأولى بمعنى: قطع المسافة، ولفظ **(يضرب)** الثانى بمعنى: الحمل على الأعداء، وهما فعلان.

والحرفان: كقولك **(تذرع بالصبر تظفر به)**، فالباء الأولى للتعدية والثانية للتسمية.

(ب) **والمستوفى**: ما اختلف فيه اللفظان فى نوع الكلمة، كأن يكون أحدهما اسما، والآخر فعلاً، أو أن يكون أحدهما حرفًا، والآخر اسما أو فعلاً.

فمثال الاسم مع الفعل قول أبى تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لَدَى يحيى بن عبد الله

(فيحيا) الأولى: فعل مضارع و**(يحيى)** الثانى: اسم علم.

وقول الآخر:

وسميته (يحيى) (ليحيا) فلم يكن ... إلى رَدِّ أَمْرِ الله فيه سَبِيل

«فيحيى» الأولى: اسم علم و**«يحيا»** الثانية: فعل مضارع بمعنى: يعيش.

ومثال الاسم مع الحرف: قولهم: **رُب رَجُلٍ شرب رُبَّ رجل آخر، فَرُبَّ** الأولى: حرف جر؛ وَرُبَّ الثانية: اسم للعصير المستخرج من العنب.

ومثال الفعل مع الحرف: قولك: **«علا محمد- ﷺ- على جميع الأنام» «فعلا»** الأولى: فعل ماض، و**«على»** الثانية: حرف جر.

(جـ) **والمركب**: هو أن يكون اللفظان مركبين، أو يكون أحدهما مركبًا، والآخر مفردًا.

مثال ما كان اللفظان فيه مركبين قول الشاعر:

فلم تضع الأعادى قدر شأنى ولا قالوا فُلانٌ قد رشانى

فاللفظ الأول مركب من «**القدر**» و«**الشأن**» واللفظ الثانى مركب من «**قد**» ومن الفعل المشتق من الرشوة.

والثانى: وهو ما كان فيه أحد اللفظين مركبًا **يتنوع إلى ثلاثة أنواع:**

مرفوع، ومتشابه، ومفروق.

فالمرفوع: ما كان اللفظ المركب فيه مكونًا من كلمة وجزء كلمة، كقولهم: «**أهذا مصاب، أم طعم صاب**» فاللفظ الأول، وهو: «**مصاب**» اسم مفعول من: أصاب، والثانى مركب من كلمة هى: «**صاب**» بمعنى العلقم، وجزء كلمة هى: الميم من «**طعم**».

والمتشابه: ما كان اللفظ المركب فيه مكونًا من كلمتين، وكان اللفظان متفقين فى الخط، كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبة فَدَعْهُ فدولته ذاهِبة

فاللفظ الأول: مركب من كلمتين هما: «**ذا**» بمعنى صاحب و«**هبة**» بمعنى: عطية، يعنى كريم.

واللفظ الثانى: مفرد، وهو اسم فاعل من الذهاب، وقد اتفق اللفظان فى الخط.

والمفروق: وهو ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، وكان اللفظان مختلفين فى الخط كقول أبى الفتح البستى:

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا

ما الذى ضر مدير الجام لو جاملنا؟

فاللفظ الأول مركب من «**جام**» بمعنى: كأس و«**لنا**» الجار والمجرور، واللفظ الثانى: مفرد وهو: «**جاملنا**» والضمير كالجزء من الكلمة، لاتصال الضمير فيها بالفعل.

ووجه حسن هذا القسم يعنى: «التام» هو حسن الإفادة مع أن الصورة هى صورة الإعادة.

وأما الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الوجوه الأربعة التى اشترط وجودها فى الجناس التام، وله بحسب حالات الاختلاف أربع حالات:

١- الحالة الأولى: الاختلاف فى نوع الحروف:

فإذا كان اللفظان مختلفين فى نوع الحروف، فالجناس بينهما، إما أن يكون مضارعًا، وإما أن يكون لاحقًا.

(أ) فالمضارع: هو ما كان الحرفان اللذان وقع بينهما متقاربين فى المخرج، سواء أكان فى أول اللفظ، أو فى وسطه، أو فى نهايته، وسمى مضارعًا، لمضارعة المخالف من اللفظين لصاحبه فى المخرج.

والحرفان المختلفان إما أن يكونا فى الأول، كقول الحريرى: بينى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس، والدامس: شديد الظلمة، والطامس: الذى ليس فيه أثر يهتدى به.

وإما أن يكونا فى الوسط، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] فالهمزة والحاء من الحلق.

وإما أن يكونا فى الآخر، كقول النبى ﷺ: «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**».

(ب) واللاحق: ما كان الحرفان اللذان وقع بينهما الخلاف غير متقاربيْن فى المخرج، سواء أكانا فى الأول، أو فى الوسط، أو فى الآخر.

وسمى لاحقًا: لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر فى الجناس.

فمثال الأول: قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فالهاء واللام غير متقاربين فى المخرج، لأن الهاء حلقية، واللام لسانية.

ومثال الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧، ٨] فالحاء والدال غير متقاربين فى المخرج، لأن الهاء حلقية، والدال لسانية.

ومثال الثالث قول البحترى:

هَلْ لِمـا فـات من تَـلاقٍ تلافى؟ أمْ لِشـاكٍ من الصـبـابة شـافى؟

والتلافى: مصدر من: تلافى الأمر: تداركه، والصبابة: الشوق، فالجناس بين **(تلاق)** و**(تلافى)** والقاف والفاء فى آخرهما متباعدتان فى المخرج.

غير أنه يشترط فى اللفظتين المختلفتين فى نوع الحرف ألا يقع الاختلاف فى أكثر من حرف واحد. وإلا لم يبق بينهما تجانس لفظى **(كفتح وفقد)** و**(علم وعرف)** و**(خبز وخرج)** إذ ليس بين تلك الألفاظ تجانس لفظى لأن الاختلاف فى نوع الحرف قد وقع فى أكثر من حرف.

٢- والحالة الثانية: وهى حالة الاختلاف فى عدد الحروف:

فإذا ما اختلف اللفظان فى عدد الحروف، بأن كان عدد أحد اللفظين زائدًا، سمى **(الجناس الناقص)**، وذلك لنقصان أحد اللفظين عن الآخر فى عدد الحروف.

وهو ثلاثة أنواع: (مُطَرَّفٌ) و(مُكْتَنَف) و(مُذَيَّل).

فالمطرف: ما كانت الزيادة فيه فى أول اللفظ، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠]، وبين الساق والمساق: جناس، لأن باللفظ الثانى زيادة هى الميم فى أوله.

والمكتنف: ما كانت الزيادة فيه فى وسط اللفظ نحو قولهم: **(جدى جهدى)** بفتح الجيم فيهما، والهاء زائدة فى وسط اللفظ الثانى.

والمذيل: ما كانت الزيادة فيه فى آخر اللفظ، كقول أبى تمام:

يمدون من أيد عَـواصٍ عـواصم تصول بأسياف قواض قواضب

أى: عاصيات على أعدائهم، عاصمات لأوليائهم، وقواض يعنى: مهلكات وقواضب يعنى: قاطعات، فبين **(عواص)** و**(عواصم)** جناس ناقص لزيادة حرف

الميم فى آخر اللفظ الثانى، وكذلك بين **(قواض)** و**(قواضب)** جناس ناقص لزيادة حرف الباء فى اللفظ الثانى.

وكقول الخنساء:

إنَّ البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

والجوى: حرقة القلب، والجوانح: الضلوع، فبين **(الجوى)** و**(الجوانح)** جناس ناقص لزيادة حرفى النون والحاء فى آخر اللفظ الثانى.

وقد يسمى ما كان الاختلاف فيه بزيادة أكثر من حرف فى الآخر: **(مذيلاً)**.

٣- والحالة الثالثة: هى حالة الاختلاف فى هيئة الحروف، فإذا اختلف اللفظان فى هيئة الحروف كان الجناس نوعين: (محرفًا) و(مصحفًا).

(أ) فالمحرف: ما اختلف اللفظان فى الحركات والسكنات، نحو قولهم:

(جبة البُرْد جنة البَرْد) فبين **(البرد)** و**(البرد)** جناس محرف، لاختلافهما فى الهيئة، فالأولى بضم الباء، وهو نوع من الثياب، والثانى: ضد الحر.

(ب) والمصحف: ما اختلف فيه اللفظان نقطًا، بحيث لو زال إعجام أحدهما، أو كليهما، لم يتميز أحدهما عن الآخر، كقول أبى نواس:

مِنْ بحْرِ شِعْرِكَ أغترف وبَفَيْضِ عِلْمِكَ أعْتَرِفْ

فبين **(أغترف)** و**(أعترف)** جناس مصحف، إذ ليس بينهما خلاف إلا بالنقط، بحيث لو تجرد اللفظان لما تميز أحدهما عن الآخر.

٤- والحالة الرابعة: حالة الاختلاف فى ترتيب الحروف: فإذا اختلف اللفظان فى ترتيب حروفهما سمى: (جناس القلب) وهو أربعة أنواع: (قلب كل) و(قلب بعض) و(مجنح) و(مستو).

(أ) فالقلب الكلى: ما انعكس فيه ترتيب الحروف، كقولهم: **(حسامه فتح لأوليائه، وحتف لأعدائه)** فبين **(فتح)** و**(حتف)** جناس قلب كلى لأن الترتيب فيهما قد انعكس كليًا، لأن **(حتف)** مقلوب **(فتح)**.

(ب) **والقلب الجزئي**: ما انعكس فيه ترتيب بعض الحروف، كما في دعاء النبي ﷺ: «**اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا**» لأن انعكاس الترتيب فيه ليس في كل الحروف.

(جـ) **والمجنح**: ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب في أول البيت، والآخر في آخره كأن له جناحين، كما في قول الشاعر:

لاحَ أنوار الهدى من ... كَفِّه في كل حَالِ

فلفظ لاح مقلوب (**حال**) ولفظ: حال مقلوب (**لاح**) وقع أولهما في أول المصراع الأول وثانيهما في آخر المصراع الثاني.

(هـ) **والمستوى**: ما كان اللفظ فيه بحيث لو عكس وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير نحو: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ**﴾ [الأنبياء: ٣٣] لأنك لو عكست هذا الترتيب، فبدأ من الكاف في (**فلك**) كان هو بعينه.

ومنه قول الشاعر:

مَوَدَّتُهُ تدوم لكل هَوْل ... وَهَلْ كُلٌّ مودته تدومُ؟

فإنك لو بدأت بآخر حرف من البيت إلى أوله لما تغير اللفظ ولا المعنى.

سر الجمال اللفظي في الجناس:

هو هذا الخداع اللفظي الذي يخدعك به الشاعر أو الأديب، فيبدي لك الكلام في صورة التكرير والإعادة، مع أنه قد تضمن حسن الإفادة والزيادة.

****

تمرينات
على الجناس

بين الجناس ونوعه فى كل مثال من الأمثلة التالية:

١- قال حسان بن ثابت:

وكنا متى يغز النبى قبيلةً ... نَصِلْ جانبيه بالقنا والقنابل

٢- وقال الشريف الرضى:

لا يُذكر الرمل إلا حَنَّ مغترب ... لهُ إلى الرمل أوطانٌ وأوطارُ

٣- وقال أبو العلاء المعرى:

لَمْ نَلْقَ غيرك إنسانًا نَلُوذُ به ... فلا بَرِحْتَ لعين الدهر إنسانا

٤- وقال البهاء زهير:

أشكو وأشكر فعْلهُ ... فاعْجَبْ لشاكٍ منه شاكرْ

طرفى وطرف النجم فيه ... كلاهما ساهٍ وساهرْ

٥- وقال آخر:

إذا أَعْطَشَتْكَ أكُفُّ اللئام ... كفتك القناعة شِبْعًا وريًّا

فكن رَجُلاً رِجْلُه فى الثرى ... وهامة همته فى الثُّريَّا

٦- وقال غيره:

إذا رَمَاكَ الدهر فى مَعْشَرٍ ... قد أجْمَعَ النَّاس على بُغْضِهِمْ

فدارِهِمْ مادُمْتَ فى دَارِهِمْ ... وأرضِهِمْ مادمت فى أرضهم

٧- وقال غيره:

نَاظِرَاهُ فيما جَنَى ناظراهُ ... أوْدَعَانى أمُتْ بما ودعانى

٨- وقال شاعر:

أَرَى قدمى أَرَاقَ دَمِى

٩- وقال كعب بن زهير:

ولقد عَلِمْتِ- وَأَنْتِ خير عليمةٍ   أَلاّ يُقَرِّبَنِى الهَوَى لَهَوَان

١٠- وقال شاعر:

يا سَيِّدًا حَازَ رقى   بِمَا حَبَانِى وَأَوْلَى

أَحْسَنْتَ براً فَقُلْ لِى   أحسنْتُ فى الشكر أو لا؟

****

السجع

السجع فى اللغة: هدير الحمام، وسجعت الحمامة: هدرت، وسجعت الناقة: مدت حنينها على جهة واحدة.

وفى الاصطلاح: توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخر:

وتسمى كل واحدة من العبارتين اللتين وردت بهما الفاصلتان المتفقتان قرينة، لمقارنتها لصاحبتها كما أنها تسمى -أيضًا- فقرة.

والسجع أنواع ثلاثة هى:

(أ) المطرف. (ب) المرصع. (جـ) المتوازى.

فأما المطرف: فهو: ما اختلفت فيه الفاصلتان فى الوزن العروضى، كما فى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

فقوله: ﴿وَقَارًا﴾ هو الفاصلة الأولى، وقوله: ﴿أَطْوَارًا﴾ هو الفاصلة الثانية، وقد اختلفت الفاصلتان فى الوزن العروضى، لأن الأولى على وزن **(فعولن)** والثانية على وزن **(مستفعل)**.

وإنما سمى هذا النوع باسم المطرف، لأن الذى وقع به التوافق إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير.

وأما المرصع: فهو ما كانت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين، أو أغلبها مثل ما يقابلها من ألفاظ الفقرة الأخرى فى الوزن والتقفية، كما فى قول الحريرى: **(فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه)** وكقول أبى الفضل الهمذانى: **(إن بعد الكدر صفوا. وبعد المطر صحوا)**.

وقول أبى الفتح: **(ليكن إقدامك توكلاً، وإحجامك تأملاً)**.

وإنما سمى هذا النوع باسم **(المرصع)** تشبيها له بالعقد الذى ترصع فيه اللآلئ.

وأما المتوازى: فهو ما لم تكن فيه إحدى الفقرتين ولا أغلبها مثل ما يقابلها من ألفاظ الفقرة الأخرى، فطابع الفقرتين يسوده الاختلاف وليس الاتفاق، وهذا

الاختلاف إما أن يكون فى الوزن والتقفية معًا، وإما أن يكون فى التقفية دون الوزن، وإما أن يكون فى الوزن دون التقفية.

فمثال ما كان الاختلاف فيه فى الوزن والتقفية: قول الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤] فالقرينتان هما: (سرر مرفوعة) و(أكواب موضوعة)، لأن لفظ: (فيها) لا يوجد ما يقابله، فلا اعتبار به، (فسرر) -وهو نصف القرينة الأولى- يقابله: (أكواب) من القرينة الأخرى، وقد اختلفا فى الوزن والتقفية، فوزن (سرر): (متفا) ووزن: (أكواب)، (مستفعل)، وتقفية الأولى بالراء، أما الثانية فبالباء.

ومثال ما كان الاختلاف فيه فى التقفية دون الوزن قولهم: **(حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت)** أى: أنعم الله على فحصل عندى وملكت الناطق وهو الرقيق، والصامت: كالخيل ونحوها؛ كالعقار، **(فحصل)** على وزن **(هلك)** وقافيتها مختلفة، لأن قافية الأولى هى اللام، ولكن قافية الثانية هى الكاف، وكذلك يقال فى: ناطق، وحاسد، وأما **(صامت)** و**(شامت)** فلابد فيهما من التوافق وزنًا وقافية، لأنهما فاصلتان.

وأما ما كان الاختلاف فيه فى الوزن دون التقفية فقد مثل له بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢] لأن وزن: المرسلات- فى نظره- مخالف لوزن «**العاصفات**» والحق أنهما متوافقان، لأن المعتبر هنا هو الوزن الشعرى لا النحوى.

ويشترط لحسن السجع: اختلاف قرينتيه فى المعنى، ولهذا فإن قول الصاحب بن عباد فى قوم مهزومين «**طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلابهم نحورهم**» لا يعد سجعًا حسنًا، لعدم اختلاف قرينتيه فى المعنى، لأن أصلابهم بمعنى ظهورهم، ونحورهم بمعنى صدورهم.

وأحسنُ السجع: ما تساوت قرائنه، كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٣٠]، فهذه قرائن ثلاث، تساوت فى أنَّ كلاً منها مركب من كلمتين.

ويليه في الحسن: ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١، ٢]، فهاتان قرينتان ثانيهما أكثر عددًا من الأولى، وكقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ③⓪ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] فقوله: (ثم الجحيم صلوه) قرينة ثالثة، وهي أطول من سابقتها، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] قرينة رابعة جاءت أطول من سابقتها.

على أنه لا يحسن أن يؤتى بالقرينة الثانية أو الثالثة أقصر من سابقتها، لأن السجع قد استوفى أمده في الأولى، فإذا جاءت الثانية أو الثالثة أقصر، بقي الإنسان عند سماعه بمثابة من يريد الانتهاء إلى غاية؛ فيعثر دونها.

سر جمال السجع: يكمن السر في جمال السجع: أن له موسيقى تطرب لها الأذن، وتهش لها النفس فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور، فيتمكن المعنى في الأذهان، ويقر في الأفكار، ويعز لدى العقول.

***

وبعد: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

****

أولاً الأمر

صيغ الأمر:

للأمر صيغ أربع هى:

(أ) فعل الأمر؛ كما فى قول الله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]؛ وقول أمير الشعراء[١]:

باطن الأمة من ظاهرها	إنما السائل مِنْ لَوْنِ الإناء
فخذوا العلم على أعلامه	واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرءوا تاريخكم واحتفظوا	بفصيح جاءكم من فصحاء

وقوله[٢]:

أيها المنتحى بأسوان داراً	كالثريا تريد أن تنقضا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع	لا تحاول من آية الدهر غَضًّا

(ب) المضارع المقرون بلام الأمر: كقول الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]

(جـ) اسم فعل الأمر؛ كقول المؤذن: «**حى على الصلاة**» «**حى على الفلاح**»؛ أى: أقبل؛ ونحو: صه عن كذا؛ أى: كف عنه؛ ونحو: آمين: بمعنى استجب ومنه قول مجنون ليلى:

يا رب لا تسلبنى حبها أبداً	ويرحم الله عبداً قال: آمينا!

الإنشاء

قسم البلاغيون الكلام إلى قسمين:

القسم الأول: الخبر؛ وهو: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ كقولك: نجح محمد، وسافر خالد؛ وهكذا.

---

(١) الشوقيات ٢/ ٤.

(٢) الشوقيات ٢/ ٦٨.

والقسم الثانى: الإنشاء: وهو: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ كقولك: «أعطنى القلم»، و«اقرأ الموضوع».

أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء إلى قسمين:

(أ) **طلبى:** وهو ما يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب؛ وهو المقصود بالدراسة ههنا.

(ب) **غير طلبى:** هو: ما لا يستدعى مطلوبًا؛ وهو غير مقصود بالدراسة هنا وذلك لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ولأن أكثر أنواعه- فى الأصل- أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ومنه: التعجب، والمدح، والذم، والقسم، وأفعال الرجاء، وكذلك صيغ العقود.

أنواع الإنشاء الطلبى:

وأهم أنواع الإنشاء الطلبى هو: الأمر، والنهى، والتمنى، والاستفهام، والنداء. وسنخص بالدراسة هنا: الأمر، والتمنى، والاستفهام.

(د) **المصدر النائب عن فعل الأمر:** نحو: **«رفقًا بالضعفاء»، «وصبرًا على البأساء»، «وسعيًا فى الخير».**

المعنى الحقيقى للأمر:

الأمر موضوع لطلب الفعل على جهة الاستعلاء؛ وذلك لتبادر هذا المعنى إلى الذهن عند سماع صيغة الأمر.

المعانى المجازية لصيغة الأمر:

قد يقتضى المقام استعمال صيغة الأمر فى معناها الحقيقى -وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء- فإن قامت قرينة على منع إرادة هذا المعنى الحقيقى كان مجازًا، وإن لم تقم قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى كان كناية.

ومن المعانى المجازية لصيغة الأمر ما يأتى:

(أ) **الإباحة**: واستعمال صيغة الأمر فى الإباحة إنما يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شىء عليه؛ وذلك لاشتراكها هى والأمر فى مطلق الإذن، فهو مجاز مرسل من إطلاق الأخص على الأعم، ومن ذلك قولك: «**جَالِسْ مُحَمَّدًا أَوْ عَلِيًّا**»، و«**ذَاكِر الأدب أو البلاغة**»؛ ومن أَحْسَنِ ما جاء فيه: قول كثير عزة:

أَسِيئِى بِنَا أَوْ أَحْسِنِى لَا مَلُومَةً ... لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ

ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع أحد الأمرين حتى كأنه مطلوب، يقول: مهما اخترت فى حقى من الإساءة والإحسان فأنا راضٍ به غاية الرضا، فعاملينى بهما وانظرى؛ هل تتفاوت حالى معك فى الحالين؟

ومنه قول شوقى عن النفس:

ضُمّى قِنَاعك يَا سُعَادُ أَوِ ارْفَعِى ... هذى المحاسن ما خلقن لبرقع

الضَاحِيَاتُ الضاحكات ودونها ... سِتْرُ الجلال وبُعْدُ شأو المطلع

(ب) **التهديد**: وذلك فى مقام عدم الرضا بالمأمور به، فاستعمال صيغة الأمر فى التهديد مجاز؛ علاقته ما بينهما من شبه التضاد، وذلك لأن المأمور به إما أن يكون واجبًا، أو مندوبًا، والمهدد عليه إما أن يكون حرامًا، أو مكروهًا، ومنه قوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: ٤٠].

(جـ) **التعجيز**: وذلك فى مقام إظهار عجز من يدعى القدرة على ما يعجز عنه؛ فاستعمال صيغة الأمر فى التعجيز مجاز؛ علاقته ما بينهما من شبه التضاد وذلك لأن الأمر فى الممكنات، والتعجيز فى المستحيلات؛ ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣]؛ وإنما كان تعجيزًا لأن الإتيان بسورة من مثله فوق مقدورهم وطاقتهم.

ومنه قول مهلهل بن ربيعة:

يَا لَبَكْرٍ انْشُرُوا لى كُلَيْبًا ... يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفَرَارُ؟!

فالأمر هنا يقصد به التعجيز؛ لأن المقصود هو: إعادة الحياة إلى كليب؛ وذلك فوق مقدورهم.

(د) التسخير: وذلك فى مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه؛ فاستعمال صيغة الأمر فى التسخير مجاز، علاقته المشابهة بينه وبين الأمر فى مطلق الإلزام، ومنه قول الله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]؛ وقيل: العلاقة بين الأمر والتسخير هى السببية؛ وذلك لأن إيجاب شىء لا قدرة للمخاطب عليه يتسبب عنه تسخيره لذلك.

(هـ) الإهانة: وذلك فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور؛ واستعمال صيغة الأمر فى الإهانة مجاز علاقته اللزوم؛ لأن طلب الشىء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع كونه من الأمور الخسيسة يستلزم إهانته، ومنه قوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].

والفرق بين الإهانة والتسخير: هُوَ: أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير، فليس الغرض إذَنْ من الأمر فى الآيتين الطلب، لأن الكفار ليس فى استطاعتهم أن يكونوا قردةً؛ كما أنه ليس فى استطاعتهم أن يكونوا حجارة أو حديدًا، ولهذا كان الغرض من الأمر فى الآية الأولى: التسخير؛ لأن المأمور به حاصل وقت إيجاد الصيغة؛ وهو: صيرورتهم قردة؛ وكان الغرض من الأمر فى الآية الثانية: الإهانة؛ لأن المأمور به غير حاصل؛ وهو: صيرورتهم حجارة أو حديدًا.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؛ إذْ ليس المراد من الأمر هنا ذَوْقَ العذاب؛ لأن الكافر حال الخطاب يذوق العذاب فعْلاً.

(و) التسوية بين الشيئين: وذلك فى مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر، فاستعمال صيغة الأمر فى التسوية بين الشيئين مجاز علاقته التضاد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦]؛ فقد يتوهم المخاطب أن الصبر نافع، فيدفع ذلك بالتسوية بين الصبر والجزع، ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣]؛ فقد توهموا أن الإنفاق طوعًا مقبول دون الإنفاق كرهًا، فَسَوَّى بينهما فى عدم القبول، فليس المراد إذَنْ من الأمر فى الآيتين الأمر بالصبر أو الإنفاق؛ ولكن المراد به كما تدل عليه القرائن هو: التسوية بين الأمرين.

(ى) التمنى: وذلك فى مقام طلب شىء محبوب لا قدرة للطالب عليه واستعمال صيغة الأمر فى التمنى مجاز علاقته التضاد؛ وقيل: العلاقة بين الأمر والتمنى: السببية؛ لأن طلب الشىء الذى لا إمكان فى حصوله سبب فى تمنيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤]؛ فليس الغرض هو طلب بلع الماء من الأرض، ولا طلب الإقلاع من السماء؛ لأنهما لا يخاطبان؛ فالغرض هو: التمنى.

ومنه قول امرىء القيس:

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي ... بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فليس المقصود هو: طلب الانجلاء من الليل؛ لأنه ليس مما يخاطب ويؤمر فحصول الانجلاء -كما طلب- متعذر؛ وإنما المقصود هو تمنى ذلك تَخَلُّصًا مما يعانيه من تباريح الشوق.

(ز) الدعاء: وذلك فى مقام طلب الفعل على سبيل التضرع؛ نحو قول الله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [النمل: ١٩] والعلاقة بين الأمر والدعاء: هى الإطلاق والتقييد لأن الأمر: طلب على وجه الاستعلاء فأطلق عن قيده؛ ثم أريد منه: الطلب على وجه التضرع، وهو معنى الدعاء.

(س) الالتماس: وذلك فى مقام طلب الفعل على سبيل التلطف؛ وذلك كقولك لمن يساويك رتبة -ولو فى زعمك-: (افعل كذا)؛ دون تضرع أو استعلاء؛ والعلاقة بين الأمر والالتماس هى: الإطلاق والتقييد كذلك.

هذا، وهناك كثير من المعانى المجازية لصيغة الأمر؛ كالامتنان فى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [النحل: ١١٤]؛ وكالإكرام فى قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]؛ والتعجب فى قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨]؛ وكالدوام فى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] وكالاعتبار فى قوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]؛ وكالإذن فى قولك: لمن طرق الباب- (ادْخُلْ).

تمرينات
على الأمر
(١)

بين المعنى المجازى للأمر فى كل مما يأتى:

(١) قال أبو الطيب المتنبى فى مدح سيف الدولة:

كَـذَا فَلْيَسْـرِ مَنْ طَلَبَ الأعَـادِى ... وَمِـثْلَ سُـرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ

(٢) وقال يخاطبه:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِىَ حُسَّادا

(٣) وقال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

(٤) وقال -أيضًا-:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِى ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

(٥) وقال أبو الطيب:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ... بين طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

(٦) وقال آخر:

أَرُونِى بَخِيلاً طَالَ عُمْرًا بِبُخْلِهِ ... وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ من كثرة البَذْلِ

(٧) وقال غيره:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِى ... وَلَمْ تَسْتَحْىِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

(٨) وقال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

(٢)

(١) لم كانت صيغ الأمر فى الأمثلة الآتية مفيدة للإرشاد، والالتماس والتعجيز، والتمنى، والدعاء على الترتيب؟

(أ) وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلاَ يَغُرُّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

(ب) يا خَلِيلَيَّ: خلِيانِي وَمَابِي ... أَوْ عِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ

(جـ) يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحًا دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

(٣)

بين المقصود بكل صيغة من صيغ الأمر فيما يأتى:

(أ) قال أبو الطيب المتنبى فى مدح سيف الدولة:

أَجِزْنِى إِذَا أَنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا ... بِشِعْرِى أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدا

وَدَعْ كل صَوْتٍ غير صوتِى فَإِنَّنِى ... أَنَا الطَّائِرُ المحكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

(ب) وقال أبو العلاء المعرى:

أَبَنَاتِ الْهَدِيل أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ ... نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ

إِيهِ لله دَرُّكُنَّ فَأَنْتُنَّ ... اللَّوَاتِي تُحْسِنَّ حفظ الْوِدَادِ

(جـ) قال الله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾.

(و) قال حكيم لابنه: «يا بُنَى استعذ بالله منْ شرَار الناس، وكُنْ مِنْ خِيَارِهِمْ على حذر. يا بنى زاحم العلماء بركبتيك وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيكَ؛ فإن القلب يحيا بنور العلم؛ كما تحيا الأرْضُ الْمَيِّتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاء».

****

ثانيًا التَّمَنِّى

معناه الحقيقى: هو: طلب الشىء المحبوب الذى لا يرجى حصوله؛ بأن يكون غير ممكن، أو يكون بعيد المنال.

فالأول كما فى قول الشاعر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا ... فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

وقول الآخر:

لَيْتَ الكَوَاكِبَ تَدْنُو لِى فَأَنْظِمَهَا ... عُقُودَ مَدْحٍ؛ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِى

فَإِنَّ كُلًّا من عودة الشباب ودنو الكواكب أمر غير ممكن.

والثانى كما فى قول الشاعر:

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ أَحِبَّتِى ... مِنَ البُعْدِ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ المَصَائِبِ

ومنه قول الشاعر[1]:

فَلَيْتَ لِى بِهِمُ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا ... شَنُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانَا

فإذا كان الشىء مترقب الحصول قريب الوجود كان ترجيا، ويعبر فيه -حينئذ- بصيغة الترجى مثل: (لعل) و(عسى) كما فى قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]؛ وقول الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقد رأيت أَنَّهُ لا يشترط لصحة التمنى أن يكون المتمنى مُمْكنًا؛ ولكنه يصح مع عدم إمكانه؛ غير أنه إذا كان ممكنًا وجب ألا يكون لك طماعية فيه وإلا صار ترجيًا.

أما صيغ الطلب الأخرى -وهى: الأمر، والنهى، والاستفهام، والنداء- فإنها لا تستعمل إلا فيما هو ممكن.

صيغ التمنى: وللتمنى صيغ أربع هى: (لَيْتَ) و(هَلْ) و(لَوْ) و(لَعَلَّ):

---

(١) هو قريط بن أنيف من بنى العنبر؛ راجع ديوان الحماسة ١/ ١٥.

(أ) أمّا (لَيْتَ): فهى الصيغة الأصلية الموضوعة للتمنى؛ وقد تقدمت أمثلتها.

(ب) وأما (هَلْ): فإنها تستعمل حيث يعلم أن المستفهم عنه غير حاصل؛ وأنه غير مطموع فى حصوله؛ وذلك لإبراز المتمنى فى صورة الممكن؛ إظهارًا لشدة الرغبة فيه، وعلى هذا فاستعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية، وذلك بأن يشبه مطلق تَمَنٍّ بمطلق استفهام؛ بجامع مطلق الطلب فى كُلٍّ؛ فَسَرَى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات؛ ثم استعيرت (هل) الموضوعة للاستفهام الجزئى للتمنى ومنه قول الله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أى ليت لنا شفعاء.

(جـ) وأَمَّا (لَوْ): فإنها تستعمل فى التمنى؛ لإبراز الْمُـتَمَنَّى فى صورة ما لم يوجد إشعارًا بعزته؛ وذلك لأن (لو) -فى الأصل- حرف امتناع لامتناع، وعلى هذا فاستعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية -كما تقدم فى (هل)-، ومنه قولك: (لو تأتينى فتحدثنى) بنصب الفعل فى جواب التمنى؛ وقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] بنصب الفعل -أيضًا- ومنه قول المهلهل بن ربيعة:

فَلَوْ نُشِـرَ الْمَقَـابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ ... فَيُخْبَرَ بِالذَّنَائِبِ أَىُّ زِيرِ؟!

ويُتَمَنَّى بأحرف التنديم والتحضيض الأربعة؛ وهى: (هَلاَّ، وَأَلاَّ، -بقلب الهاء همزة- ولَوْ، ولوما)؛ وإنما سميت أحرف التنديم والتحضيض، لأنها إذا دخلت على الماضى أفادت جَعْلَ المخاطب نَادِمًا على ترك الفعل؛ وإذا دخلت على المضارع أفادت حضه على الفعل وحثه عليه.

فمثال التنديم قولك: (هَلاَّ سَافَرت؟) أو (لَوْمَا سَافَرْتَ؟) بمعنى: ليتك سافرت؛ قاصدًا بذلك جعله نادمًا على ترك السفر.

ومثال التحضيض قولك: (هَلاَّ تَقُولُ الحقَّ؟) أو (لَوْمَا تَقُولُ الحَقَّ؟) بمعنى: ليتك تقول الحق؛ قاصدًا بذلك حضه على الحق وحثه عليه.

(د) وأما (لَعَلَّ): فإنها تستعمل فى التمنى لإبراز المتمنى فى صورة الممكن المتوقع حصوله؛ لشدة الرغبة فيه؛ وعلى ذلك فاستعماله فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية -كما سبق-.

وتُعْطَى حكم (**ليت**) فينصب المضارع بالفاء بعدها؛ كما ينصب في جواب (**هل**) و(**لو**) إذا استعملتا في التمني؛ وذلك ليكون نصب المضارع بالفاء بعدها دليلاً على أنها خرجت عن أصلها.

ومثال (**لعل**) التي استعملت في التمني: قول الله تعالى -حكايةً عن فرعون-: **﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾** [غافر: ٣٦، ٣٧].

ففرعون يعلم أن ما يأمله بعيدُ الحصول، ولكنَّ إمعانه في عُتُوِّهِ وضَلَالِهِ ورغبته الشديدة في الوصول إلى ما يريد خَيَّلاَ له أنه قريبُ الحصول، ولهذا أمر هامان ببناء الصرح.

****

تمرينات
على التمنى

(١)

وضح ما فى الأمثلة التالية من تَمَنّ أَوْ تَرَجٍ مبينًا الغرض البلاغى الذى من أجله جاءت بعض الأدوات على غير وضعها الأصلى:

(١) قال الله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾.

(٢) قال الله تعالى: ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾.

(٣) قال أبو الطيب فى رثاء أخت سيف الدولة:

فَلَيْت طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَة ... وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ

(٤) قال الشاعر:

أيا مَنْزِلَيْ سَلمى سَلامٌ عَلَيْكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللاتِى مَضَيْنَ رَوَاجِعُ؟

(٥) وقال مروان بن أبى حفصة فى رثاء معن بن زائدة:

فَلَيْتَ الشَّامِتِينَ بِهِ فَدَوْهُ ... وَلَيْتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالَا

(٦) وقال آخر:

عَلَّ اللَيالِى التِى أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا ... جِسْمِى سَتَجْمَعُنِى يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ

(٧) وقال آخر فى المديح:

ليت المدائح تستوفى مناقبه ... فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُولِ؟

(٨) وقال:

ليت الملوك على الأقدار معطيةٌ ... فَلَمْ يَكُنْ لِدَنِيءٍ عِنْدَهَا طَمَعُ

(أ) اذكر مثالاً لكل أداة مفيدة للتمني.

(ب) اذكر مثالين للترجي مستعملاً في الأول (لعل) وفي الثاني (عسى).

(جـ) اذكر مثالين للترجي مستعملاً في كل منهما (ليت) مبينًا الغرض البلاغي من اختيار هذه الأداة.

(٣)

لماذا كان المثال الأول للتمني، والثاني للترجي، في المثالين التاليين؟:

(١) قال صريع الغواني:

وَاهًا لأَيَّامِ الصِّبَا وَزَمَانِهِ ... لوْ كَانَ أَسْعَفَ بِالْمَقَامِ قَلِيلا

(٢) وقال أبو الطيب:

فَلَيْتَ هَوَى الأحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً ... فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا

***

ثالثًا الاستفهام

معناه الحقيقى: ومعناه الحقيقى هو: (طَلَبُ حُصُولِ صُورَةِ الشىء فى الذهن بأدَوَاتٍ مَخْصُوصَةٍ).

وهو قسمان: تصديق، وتصور:

أ- فإن كانت الصورة المطلوب حصولها فى الذهن هى: وقوع نسبة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها، كان إدراكها تصديقًا.

ب- وإن كانت الصورة المطلوبة مسندًا، أو مسندًا إليه، أو نسبة مجردة أو شيئًا من المتعلقات؛ كان إدراكها تصورًا.

أدوات الاستفهام: للاستفهام أدوات تؤدى بها؛ وهى إحدى عشرة أداة هى: **(الهمزة) و(هل) و(مَنْ) و(أيٌّ) و(كيف) و(أنى) و(متى) و(أيان)؛** وتنقسم إلى **ثلاثة أقسام:**

١- ما يطلب به التصور تارةً، والتصديق أخرى؛ وهو **(الهمزة).**

٢- ما يطلب به التصديق فقط؛ وهو **(هل).**

٣- ما يطلب به التصور فحسب؛ وهو بقية الأدوات.

الهمزة:

إذا جاءت الهمزة للتصديق لم يذكر معها معادل؛ فإذا قلت: **(أَنَجَحَ مُحَمَّدٌ؟)** فى الجملة الفعلية؛ أو **(أَمُحَمَّدٌ نجح)** فى الجملة الاسمية؛ كنت متصورًا لمحمد والنجاح ومتصورًا للنسبة بينهما؛ أى نسبة النجاح إلى محمد؛ ولكنك تسأل عن وقوع هذه النسبة؛ أى: هل النجاح المنسوبُ إلى محمد متحقق خارجًا، أو غير متحقق؟ ويكون الجواب -حينئذ- (بنعم) أو (بلا) وإذا جاءت للتصور ذكر معها المعادل؛ فإن كنت تطلب تصور المسند إليه قلت: **(أهشَامٌ ناجحٌ أو عَلاَء؟)**؛ وأنت تعلم أن أحدهما ناجح؛ ولكنك لا تعرفه على التعيين فأنت تطلب تعيينه. وإن

كنت تطلب تصور المسند قلت: (أصديقك شاعر أم كاتبٌ؟) وأنت تعلم أنه متصف بإحدى الصفتين؛ ولكنك لا تعرفها على التعيين؛ فأنت تطلب تعيينها.

ولأن الهمزة تأتى لطلب التصديق ولطلب التصور لم يقبح أن تقول: (أمحمد سافر؟) كما لم يقبحَ أن تقول: (أخالدًا سألتَ؟)؛ وذلك لأن التقديم إذا كان للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل؛ ويكون المسئول عنه محمدًا بخصوصه؛ وخالدًا بخصوصه؛ وهذا تصور. وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه هو التصديق به؛ وكل من التصديق والتصور تصلح له الهمزة؛ وهذا بخلاف (هل) فإنها تأتى لطلب التصديق فقط.

المسئول عنه بالهمزة:

إذا ولى الهمزة جملة اسمية خَبَرُهَا ليس فعلاً كقولك: (أَمُحَمَّدٌ نَاجِحٌ؟) كان المطلوب بها التصديق بالنسبة وإذا وليها شيء غير ذلك كان المسئول عنه بها هو ما وليها سواء كان مسندًا إليه أو مسندًا أو شيئًا من المتعلقات كالمفعول والظرف والمجرور والحال وغير ذلك.

فمثال المسند إليه إذَا وليَ الهمزة قولك: (أأنتَ رَسَمْتَ هذه الصُّورة؟).

ومنه قول الله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]؛ لأنهم لم يشكوا فى الفعل؛ وإنما الشك فى الفاعل.

ومثال المسند إذا ولى الهمزة: قولك: (أَقَابَلْتَ عَلِيًا؟) فتبدأ بالفعل؛ لأنك لم تشك فى الفاعل؛ وإنما الشك فى الفعل نفسه.

وتكون الهمزة -إذا وليها فعل- لطلب التصديق بالنسبة ما لم تقم قرينة تدل على خلافه؛ كذكر المعادل؛ فإن كان المعادل هو النقيض كان المطلوب بها هو التصديق كقولك: (أأكْرَمْتَ خالدًا أو لا؟)؛ وإن كان غير النقيض كان المطلوب بها هو التصور؛ كقولك: (أمَدَحْتَ خالدًا أم هَجَوْتَهُ؟).

ومثال المفعول إذا ولى الهمزة قولك: (أكتَابًا اشْتَريت؟)؛ إذا كان الشك فى المفعول بأن كنت تعلم أنه اشترى شيئًا، ولكن لا تدرى ما هو؟

وتقول في المجـرور -إذا ولي الهمـزة-: أفي المسجـد صَلَّيتَ؟) وفي الظرف: (أَتَحْتَ الشجـرة جلستَ؟)؛ وفي المفعول لأجله: (أَخَوْفًـا هَرَبْتَ؟)، وفي الحال: (أراضيًا تَصَدَّقْتَ؟)، على أن جواب إيلاء المسئـول عنه الهمزة إنما يجيء هكذا إذا لم تقم قريـنة تدل عليه، فإذا قـامت قرينة تدل عليـه كذكر المعـادل جاز تأخـيره كقولك: (أَقَرَأْتَ كتابًا أم صحيفة؟)؛ فقد أخر المسئول عنه وهو: (كتابًا)؛ لأن في ذكر المعادل وهو: (صحيفة) قرينةٌ على أن المسئول عنه هو المفعول لا الفعل.

(هل): هي لطلب التصديق فـقط -كما عرفت- وتدخل على الجملتـين الفعلية والاسمية فتقول: (هل سافر محمد؟) و(هل محمد سافر؟).

ولأنها لطلب التصديـق فقط امتنع أن يقال: (هل فؤاد نجح أم هشام؟) وقبح أن يقال: (هَلْ فؤادًا قـابلت؟) و(هَلْ عَلَيْكَ سَلَّم؟) و(هَلْ راضـيًا سـعى إليك؟) و(هل أَمَامَكَ جَلَسَ؟).

أما امتناع المثال الأول: فلأن وقوع المفرد بعد (أم) دليل على أنها متصلة؛ يطلب بها تعيين أحد الشيئين مـع العلم بثبوت الحكم، والعلم بثبوته تصديق؛ فلا يصح اجتمـاعها و(هل)؛ لأن (هل) لطلب التصديق بـالحكم؛ فالحكم فيها غـير معلوم وإلا لم يستفهم عنه، فالجمع بينهـما يؤدي إلى التناقض؛ لأن هل تفيد أن السائل جاهل بالحكم، و(أم) المتصلة تفيد أن السائل عالم به.

ولو كانت (أم) منقطعة لوجب وقوع الجملة بعدها؛ كما في قول الشاعر:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تغيـرت الرحا؟ رَحَا الحَرْبِ أمْ أضْحَتْ بفَـلْجٍ كَمَا هِيَا؟

وأما قبح الأمثلة الأربعة التالية: فلأن تقديم المعمول على العامل يقتضي -غالبًا- حصـول العلم بأصل الحكم، و(هَلْ) لطلب التصـديق بأصل الحكم، وهذا يؤدي إلى طلب حصول الحاصل وهو عبث.

وإنما لم يمتنع مـثل هذه الأمثلة لجواز أن يكون المعمـول المقدم معمـولاً لعامل محـذوف مقدر قبله ويكون مـعمول العامـل المذكور محذوفـًا؛ على تقدير: هل قابلت فؤادًا قابلت؟ أو أن يكون التقديم للاهتمام لا للتخصيص.

و(هَلْ) كالسين وسوف، تمحض المضارع للاستقبال وَضْعًا، فلا يجوز لك أن تقول: (**هل تؤذى فُؤَادًا وهو أخوك؟**) لأن الأخوة حالية، وإذا كان الفعل واقعًا كما يفهم عرفًا من تقييده بالأخوة فإنه لا يصح دخول (هَلْ) عليه؛ لأنها تمحض الفعل للاستقبال والفعل -هنا- واقع فى الحال، وهما معنيان متدافعان.

وجه اختصاص (هَلْ) بالفعل:

لما كانت (هَلْ) مختصة بطلب التصديق، وكانت محضة المضارع للاستقبال، كان تعلقها بالفعل ودخولها عليه أكثر؛ حيث إن زمانية الفعل أظهر من زمانية الاسم إذا كان وصفًا، فالزمن فى الفعل جزء مدلوله، ولكنه فى الاسم ليس كذلك.

وأما أن اختصاصها بطلب التصديق يقتضى مزيد تعلقها بالفعل فلأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء؛ وهما يتوجهان إلى المعانى والأحداث التى هى مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التى هى مدلولات الأسماء.

وأما أن تمحيضها المضارع للاستقبال يقتضى مزيد تعلقها فأمره واضح؛ لأن تمحيضها المضارع للاستقبال دليل على تأثيرها فيه، وتأثيرها فى المضارع دليل على أن لها مزيد تعلق بجنس الفعل وإلا لما أثرت فيه، على أنه لا يخفى أن كون (هل) لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب؛ ولم تكن فى حاجة إلى مثل هذا التعليل.

ولهذا فإنها لا يعدل بها عن الفعلية إلى الاسمية إلاَّ لنكتة بلاغية: وتلك النكتة البلاغية هى: (**إبْرَازُ ما سيوجد فى صورة الحاصل الموجود اهتمامًا بشأنه؛ وذلك أَدَلُّ علَى كمال العناية به من إبقائه على أصله**).

ومن هنا: كان قول الله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٨٠] **أَدَلَّ** على طلب حصول الشكر من قولنا: (**فهل تَشْكُرُونَ؟**) ومن قولنا: (**فهَلْ أنتم تشكرون؟**)؛ مع ما فيه من التأكيد بالتكرير لأنه على تقدير: فهل تشكرون تشكرون؟ ثم حذف الفعل الأول؛ فانفصل ضميره؛ لأن الآية الكريمة قد أبرزت

ما سيحصل -وهو مفاد الجملة الفعلية- فى صورة الحاصل الثابت -وهو مفاد الجملة الاسمية- وذلك أدل على كمال العناية به من إبقائه على أصله.

وأيضًا: فإن القول الكريم -فى الآية السابقة-أدل على طلب الشكر من قولنا: **(أفأنتم شاكرون؟)** ومن: **(أفأنتم تشكرون؟)** ومن: **(أَفَتَشْكُرُونَ؟)**؛ وذلك لأن **(هَلْ)** للفعل أدعى من الهمزة وألزم له منها، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله من تركه مع الهمزة؛ لأن الهمزة ليس لها مزيد تعلق بالفعل؛ ولهذا لم يَحْسُنْ أنْ يُقَالَ: **(هل هشام معتزم زيارتك؟)** إلا من البليغ؛ لأنه هو الذى يراعى النكت البلاغية ويأتى بالكلام على مقتضى المقام.

و(هل) قسمان: بسيطة ومركبة:

فالبسيطة: هى التى يستفهم بها عن وجود الشىء أو عدم وجوده؛ كقولك: **(هل علاء موجود؟)** على معنى: هل هو متحقق فى الخارج؟ أو **(هل هو غير موجود؟)** على معنى: هل هو غير متحقق فى الخارج؟ بأن كان أمرًا اعتبارياً وهمياً، ومثله قولهم: **(هَلِ العَنْقَاءُ مَوْجُودَةٌ؟)**، أو **(هَلْ هِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٌ؟)**.

والمركبة: هى التى يستفهم بها عن وجود شىء لشىء أو عدم وجوده له؛ ومثله قوله: **(هَلْ خَالِدٌ كَرِيمٌ أو غير كريم؟)**؛ فالمطلوب هنا هو: وجود الكرم لخالد أو عدم وجوده.

وأما بقية أدوات الاستفهام: فإن المطلوب بها هو: التصوير فقط، بيد أنها تختلف من جهة أن المطلوب بكل أداة هو تصور شىء غير المطلوب تصوره بأداة أخرى.

أ- (ما): ويطلب بها أمران:

الأول: شرح الاسم: أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقته؛ كأن يقال: **(ما العسجد؟)** فيجاب: **(ذَهَب)**؛ وكأن يقال: **(ما الإنسان؟)** فيجاب: **(بَشَر)**.

الثانى: حقيقة المسمى وماهيته؛ كأن يقال: **(ما الإنسان؟)** فيجاب: **(حيوان ناطق)** على أن السؤال **(بهل)** البسيطة يقع فى الترتيب بين السؤال **(بما)** التى لشرح الاسم؛ والتى لطلب الماهية.

ومعنى هذا: أنك إذا سمعت اسمًا ولم تعرف له مدلولاً على وجه الإجمال فإذا وقفت على مفهومه الإجمالى طَلَبْتَ وجوده، ثم إذا علمت وجوده طَلَبْتَ تفصيل ذلك المفهوم ببيان حده، فإذا علمت تفصيله سألت عن أحواله العارضة له.

فإذا لم تعرف معنى **(الحصان)** -مثلاً- سألت عن مفهومه الإجمالى **(بما)**: فتقول: **(ما هو؟)** فيجاب: **(فرس)**؛ ثم تسأل عن وجوده **(بهل)** البسيطة؛ فتقول: **(هل هو موجود؟)** فيجاب: **(نعم)**؛ ثم تسأل عن ماهيته **(بما)** التى للحقيقة فتقول: **(ما حقيقته؟)** فيجاب: **(حيوان صاهل)**؛ ثم تسأل بعد ذلك عن أحواله العارضة له فتقول: **(هل يمشى على أربع أو على رجلين؟)** وهكذا.

ب- (مَنْ): ويطلب بها تعيين ذى العقل؛ إما باسمه الخاص به، وإما بوصفه المُعَيِّن له؛ فمثال الأول: قولك: **(مَنْ أولُ الخلفاء الراشدين؟)** فيجاب: **(أبوبكر)**.

ومثال الثانى: قولك: **(مَنْ فَتَحَ البَابَ؟)** فيجاب: **(الرجل الأسمر الذى أعطيته المفتاح)**.

جـ- (أىّ): وهى للسؤال عما يميز أحد الشيئين أو الأشياء المشتركة فى أمر من الأمور؛ وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿**أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا؟**﴾ [مريم: ٧٣] وكما فى قوله تعالى: ﴿**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا**﴾ [النمل: ٣٨]. ومنه قولك: **(أىُّ الطريقين؛ أو أى الطرق تختار؟)**.

د- (كم): وهى للسؤال عن العدد المبهم؛ كأن تقول: **(كم فدانًا ملكت؟)** تريد: أعشرين أم ثلاثين؟ -مثلاً- وتقول: **(كم مالك؟)** تريد: كم دينارًا هو؟ وتقول: **(كم ثَوْبُكَ؟)** تريد: كم مترًا؟ أو كم ذراعًا؟ وتقول: **(كم أنتَ ماكث؟)** تريد: كم يومًا، أو: كم شهرًا؟ وتقول: **(كم رأيتك؟)** تريد: كم مرة؛ وتقول: **(كم سِرْتَ؟)** تريد: كم فرسخًا، أو كم يومًا؟؛ قال الله تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**﴾ [المؤمنون: ١١٢] وقال تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾ [البقرة: ٢١١] يريد: كم آية آتيناهم؟ أعشرين أم ثلاثين؟ أم غير ذلك؟ وغرضه من السؤال التقريع؛ ومنه قول الفرزدق:

كم عَـمَّـةٍ لكَ يا جَـريرُ وخَـالَةٍ ... فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِى؟

على رواية من نصب (عَـمَّـةً)؛ وعلى رواية الرفع (عـمـةٌ) تحتمل الخبـرية الاستفهامية؛ وعلى رواية الجر (عَمَّةٍ) تتعين للخبرية.

هـ- (كيف): وهى للسؤال عـن الحال؛ فتـقول: (كيف محـمد؟) أى على أى حال هو؟ فيقـال: صحيح، أو سقيم، أو مغتبط، أو حـزين؛ وتقول: كيف جاء إليك علاء؟ فيكون الجواب: راكبًا، أو ماشيًا، أو نحو ذلك.

و- (أين): وهى للسؤال عن المكان؛ فتقول: (أَيْنَ كُنْتَ؟) وتكون الإجابة: (فى المنزل) أو (فى المسجد) أَوْ (فى الحديقة) -مثلاً-.

ز- (أَنَّى): وتستـعمل بمعنى (كيف)؛ كما فى قـول الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ؟﴾ [آل عمران: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾ [البقرة: ٢٥٩]؛ وتارة أخرى بمعنى: (من أين)؛ كمـا فى قوله تعـالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا؟﴾ [آل عمران: ٣٧] بِدَليل قولها بعد ذلك: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

ح- (مَتَى وأَيَّانَ): وهما للسـؤال عن الزمان؛ فـإذا قيل لك: (مَتَى جِـئْتَ؟) أو (أَيَّانَ جِئْتَ؟) قلت: (يوم الجمـعة) أو يوم الخميس أو (شهـر كذا) أو (سنة كذا) وعن على بن عيسى الربعى: أن (أَيَّان) تستعمل فى مواضع التفخيم؛ كما فى قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦] وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢].

المعانى المجازية للاستفهام

المعانى السـابقة لأدوات الاستفـهام؛ مَعَانٍ نحـوية لا دخل للبلاغة فيـها؛ وإنما ذكرت تمهـيدًا لما سـيأتى بعـدها من معانٍ مـجازية؛ وهى مـقصد البلـيغ وموضع اهتمامه؛ فما هى تلك المعانى؟

١- **الاستبطاء**: ودلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب -على سبيل المجاز المرسل-؛ وذلك كـقولك: (كَمْ دَعَوْتُكَ؟) ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] فالاستـفهام

عن عدد الدعـوة مسبب عن جـهل بعددها؛ والجهل به مـسبب عن كثـرته عادة؛ وكثرته مسببه عن الإبطاء؛ فأطلق اسم المسبب وأريد السبب.

كما أن الاستفهام عن زمان النصـر مسبب عن الجهل به، والجهل به مسبب عن استبعاده عادة، واستبعاده مسبب عن استبطائه.

ومنه قوله البهاء زهير:

أَمَـوْلاَىَ إِنِّـى فِى هَوَاكَ مُـعَـذَّبُ ... وَحَتَّـامَ أَبْقَى فِى العَـذَابِ وأَمْكُثُ؟

٢- التعـجب: ودلالتهـا عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سـبيل المجاز المرسل؛ وذلك كما فى قول الله تعـالى -حكاية عن سليمان عليه السلام-: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] فـالسؤال عن حـال النفس يستلزم الجـهل بالسبب فى عـدم رؤيته للهدهد؛ والجهل بالـسبب فى عَدَمِ رؤيته للهـدهد يستلزم التعجب؛ فهو مـجاز مرسل من استعمال اسم الملزوم؛ وهو صيغـة الاستفهام فى اللازم وهو: التعجب.

٣- التنبـيه على ضـلال المخاطب: ولالتها عليـه من إطلاق اسم الملزوم -أيضًا- وإرادة اللازم -على سـبيل المجـاز المرسل؛ وذلك كمـا فى قوله تعـالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] فالاستـفهام عن الطريق فى الآية يستلزم تنبـيه المخاطب إليه؛ وتنبـيه المخـاطب يستلزم تنبـيهه على ضـلاله فى غفلتـه عن ذلك الطريق، وسلوكه طريقًا واضحة الضلال.

٤- الوعـيد: ودلالتهـا عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم -أيـضًا- على سبيل المجاز المرسل، وذلك كما فى قولك لمن يسىء الأدب: (أَلَمْ أُؤَدِّبْ فلانًا؟) - إذا كان عـالمًا بذلك- فالاستـفهام فى المثـال ينبه المخاطب إلى جـزاء إساءة الأدب وهذا يستلزم وعـيده؛ لاتصافـه بها؛ ومنه قـول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦].

٥- الأمر: ودلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل لأن الاستفهام هو: طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم؛ فاستعمل فى مطلق

الطلب، ثم استعمل في الطلب على سبيل الاستعلاء، وهو الأمر. . ومنه قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

٦- **التقرير**: ودلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد -أيضًا-؛ وذلك باستعمال الاستفهام فى مطلق طلب الإقرار ثم فى طلب الإقرار من غير سبق جهل.

وقيل: إنَّ العلاقة بين الاستفهام والتـقرير هى: اللزوم؛ لأن الاستفهام عن أمرٍ معلومٍ للمتكلم يستلزم حمل المخاطب على الإقرار به، ومنه قول البحترى:

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزْكَا … هُمُ عُودًا وأَمْضَاهُمْ حُسَامَا؟

ويشترط فى الهمزة: أن يليها المقرر به؛ وذلك كقولك: (أَسَاعَدْتَ مُحَمَّدًا؟) إذا أردت أن تقرره بأن الفعل قـد كان منه. وكقولك: (أَأَنْتَ ساعَدْتَ مُحَمَّدًا؟)؛ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل.

ومن هذا الضرب قول الله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]؛ إذْ ليس مراد الكفـار حمله على الإقرار بأن الكسر قـد كان؛ ولكن مرادهم هو: حمـله على الإقرار بأن الكسـر قد كان منـه لا من أحد غيـره؛ وذلك بدليل إشارتهم إلى الفعـل فى قولهم: ﴿أأنت فعلت هذا؟﴾ فإنها تـقتضى أن المطلوب هو الإقرار بالفاعل لا بالفعل، وبدليـل قول إبراهيم -عليه السلام- لهم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]؛ فإنه لو كان التقرير بالفعل لكانت إجابته: فعلت أو لم أفعل.

٧- **الإنكار**: ودلالتـهـا عليه مـن إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم؛ وذلك لأن إنكار الشىء يستلزم الجهل به؛ والجهل به يستلزم الاستفهام عنه.

والاستفهام الإنكارى قسمان: توبيخى، وتكذيبى.

فالتوبيخى: نوعان:

النوع الأول: ما كان الموبخ عليه فيه قد وقع فى الماضى، ويكون معناه: **(ما كان ينبغى أن يكون)** وذلك فى قولك: **(أَعَصَيْتَ رَبَّكَ؟)** لمن صدر عنه عـصيان على معنى: ما كان ينبغى لك أن تعصيه.

والنوع الثاني: ما كان الموبخ عليه فيه واقعًا في الحال، أو بصدد الوقوع في المستقبل؛ كقولك: (أتعصى ربك؟) لمن يرتكب منكرًا، أو لمن همَّ به ولم يقع منه، على معنى: لا ينبغي أن يحدث منك، أو أن يصدر عنك في المستقبل وكقولك - لمن يخاطر بنفسه -: (أتخرجُ في هذا الوقت؟).

والغرض من ذلك كله: تنبيه المخاطب حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعلٍ همَّ به.

ومنه قول أمير الشعراء:

إلامَ الخُلفُ بَيْنَكُمُ إلامَا؟ وَهَذِى الضَّجَّةُ الكُبْرى عَلامَا؟

والتكذيبي نوعان:

النوع الأول: ما كان الفعل المكذب فيه في الماضي؛ ويكون معناه: (لم يكن)، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ [الإسراء: ٤٠]؛ فهو خطاب لمن اعتقد أنَّ الملائكة بناتُ الله، وأن الله تعالى قد خصهم بالذكور، وخص نفسه بالبنات؛ أي: لم يكن ذلك بل أنتم كاذبون فيما ادعيتم.

ومثله قول الله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣] فالمعنى على التكذيب لا على التوبيخ.

والنوع الثاني: ما كان الفعل المكذب فيه في المستقبل، ويكون معناه: (لا يكون) وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]؛ أي: أنكرهكم على قبول الحجة ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم كارهون؟ يعني: لا يكون هذا الإلزام؛ بل الذي أنا منوط به: هو الإبلاغ لا الإكراه، وعليه قول امرىء القيس:

أَيَقْتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أغْوَالِ؟!

وقول الآخر:

أأَتْرُكُ -إنْ قَلَّتْ- دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيارتَه؟! إنِّي إذًا لَلَئِيمُ!

عَلَى أنَّ الإنكار كالتقرير: يشترط فيه أن يلى المنكر الهمزة، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] وقوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ [القمر: ٢٤] وكقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] وَعَدَّ الزمخشرى قول الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: ٤٠] من هذا الضرب.

ومن مجيء الهمزة للإنكار قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ؟

فالمعنى: الله كافٍ عبده، وأنتم خير من ركب المطايا؛ وذلك لأن نفى النفى إثبات. وهكذا كل تركيب دخلت فيه الهمزة على فعل منفىّ؛ كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] و﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] و﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] ويجوز -فى رأى بعضهم- أن تكون الهمزة للتقرير بما دخله النفى؛ لا للتقرير بالانتفاء.

وإنكار الفعل مختص بصورة لا يلى الفعل فيها الهمزة؛ بل يليها معمول الفعل المنكر؛ وهى نحو قولك: (أَمُحَمَّدًا قَابَلْتَ أَمْ مَحْمُودًا؟) لِمَنْ يدعى أنه قابل إما محمدًا وإما محمودًا، دون غيرهما؛ وذلك لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما؛ والتقرير أنه لم يتعلق بغيرهما؛ فقد انتفى من أصله لا مَحَالَةَ، وعليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الأشياء؛ ثم أريد معرفة عين المحرم مع أن المراد هو إنكار التحريم من أصله.

٨- **التهكم**: ودلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به وبفائدته، والجهل بذلك يستلزم التهكم به، ومنه قول

الله تعالى -حكاية عن الكفار-: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧].

٩- التحقير: ودلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم؛ لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به، والجهل به يستلزم تحقيره.

والفرق بين التحقير والتهكم هو أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير.

ومن التحقير قول المتنبي في هجاء كافور:

مِن أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الكَرَمُ؟ أَيْنَ المَحَاجِمُ -يَاكَافُورُ- والجَلَمُ؟!

ومنه قول الشاعر:

فَدَعِ الوَعِيدَ فما وَعِيدُكَ ضَائِري أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟!

١٠- التهويل: ودلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب؛ لأن الاستفهام عن الشيء ينشأ عن الجهل به؛ والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يدرك كنهه فهو إذًا مجاز مرسل علاقته المسببية؛ ومنه قول الله تعالى -في قراءة ابن عباس- رضي الله عنهما-: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١] بلفظ الاستفهام؛ وذلك لأن الله تعالى لما وصف العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعته شأنه زادهم تهويلاً بقوله: ﴿مَن فِرْعَوْنَ؟﴾ على معنى: هل تعرفون مَنْ هو فرعون في فرط عتوه وطغيانه؟ ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به؟ ثم عرف حاله بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

ومنه قول المتنبي:

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا؟ وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا؟

١١- الاستبعاد: ودلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء؛ للقرب بين معنييهما، والفرق بينهما: أن الاستبطاء يتوقع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد.

ومن الاستبعاد: قول الله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤].

١٢- **التوبيخ والتعجب معًا**: ودلالتها عليهما من إطلاق اللازم و إرادة الملزوم لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه؛ وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما، وهذا يستلزم الجهل بهما، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨] أي: كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة؟

ومثله قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ [البقرة: ٤٤].

على أن المعانى المجازية للاستفهام ليست منحصرة فيما ذكرنا فحسب؛ فمنها الأمر كقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١] أى: انتهوا؛ والنهى كقوله تعالى: ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ**﴾ [التوبة: ١٣] أى: لا تخشوهم؛ والنفى كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠] أى: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

ومنه قول الشاعر:

هَل الدَّهْرُ إلاَّ سَاعَـةٌ ثـم تَنْقَـضِى ... بِمَا كَانَ فيـها مِنْ بَلاَءٍ ومِنْ خَفَضِ؟!

والتشويق كما فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الصف: ١٠].

والتمنى كما فى قوله تعالى: ﴿**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**﴾ [الأعراف: ٥٣].

والتكثير كما فى قوله تعالى: ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا**﴾ [الأعراف: ٤].

****

تمرينات
على الاستفهام

وضح الغرض البلاغى للاستفهام فى كل مما يأتى:

١- قال البحترى:

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ وانجِلاَؤُهَا ... وَشِيكًا وإلاَّ ضِيقَةٌ وانفراجها؟

٢- وقال أبو الطيب فى هجاء كافور:

من أيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتى مِثْلَكَ الكَرَمُ؟ ... أيْنَ المَحَاجِمُ -ياكافُورُ- والجَلَمُ؟

٣- وقال فى الرثاء:

مَنْ للمَحَافِلِ والجَحَافِلِ والسُّرى؟ ... فَقَدَتْ بِفَقْدِك نَيِّرا لاَ يَطْلُعُ

وَمَنِ اتَّخَذتَ عَلَى الضيُوفِ خليفةً ... ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لاَ يَكَادُ يُضَيِّعُ

٤- وقال فى المديح:

أتَلْتَمِسُ الأعْدَاء بَعْدَ الَّذى رَأَتْ ... قِيَامَ دليلٍ أوْ وُضُوحَ بَيَانِ؟

٥- وقال وقد أصابته الحُمَّى:

أبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أنْتِ مِنَ الزِّحَامِ

٦- وقال أيضًا:

حتَّامَ نَحْنُ نُسَارِى النجْمَ فِى الظُّلَمِ؟ ... وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍ ولاَ قَدَمِ؟

٧- وقال البحترى:

ألَسْتَ أعَمَّهُمْ جُوداً وأزكا ... هُمُ عُوداً وأمْضَاهُمْ حُسَاماً؟

٨- وقال شوقى:

إلا الخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلاَمَ؟ ... وَهَذِى الضَّجَّةُ الكُبْرى عَلاَمَا؟

٩- قال الله تعالى: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾.

١٠- قال الله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا؟﴾.

١١- قال الله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟﴾.

(٢)

أ- استعمل همزة الاستفهام فى جملتين بحيث تكون فى الأولى لطلب التصور، وفى الثانية لطلب التصديق، جاعلاً غرضك من الاستفهام هو المعنى الحقيقى.

ب- استعمل كل أداة من أدوات الاستفهام فى جملة مفيدة، وأجب عن كل سؤال جَاعلاً غرضك من الاستفام هو المعنى الحقيقى.

جـ- كَوّنْ ثَلاثَ جُمَلٍ استفهامية تامة، بحيث تكون أداة الاستفهام فى كل منها (هل) ويكون الغرض من الاستفهام هو المعنى الحقيقى.

(٣)

أ- كَونْ ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام فى الأولى على التسوية، وفى الثانية على النفى، وفى الثالثة على الإنكار.

ب- مثل للاستفهام الخارج عن معناه الأصلى للتعجب، ثم للتمنى، ثم للاستبطاء.

جـ- كَونْ ثلاث جمل استفهامية؛ يدل الاستفهام فى الأولى منها على التعظيم وفى الثانية على التحقير، وفى الثالثة على التوبيخ.

(٤)

ماذا يراد بالاستفهام فى الأمثلة الآتية:

١- حَتَّى مَتَى أَنْتَ فى لَهْوٍ وَفِى لَعِبٍ والمَوْتُ نَحْوَكَ يَهْوِى فاتحًا فَاه؟

٢- وقال أبو الطيب:

وَمَا لَكَ تُعْنى بالأسنَّة والقَنَا؟ وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بغير سنان

٣- وقال:

يَفْنَى الكَلَامُ ولا يُحِيطُ بِفَضْلِكُمْ أيُحِيطُ مَا يَفْنى بِمَا لاَ يَنفَدُ؟

٤- وقال الله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

***

الفصل والوصل

الوصل عند البلاغيين هو عطف جملة على أخرى بإحدى أدوات العطف **والفصل**: هو ترك هذا العطف، غير أن الذى يبحثون فيه إنما هو: العطف بالواو لأنها لمطلق الجمع، ولمجرد إشراك ما بعدها لما قبلها فى إعرابه، بخلاف العطف بغيرها؛ لأنه وإن أفاد التشريك -أيضا- إلا أن لكل حرف يفيد مع التشريك معنى آخركالترتيب مع التعقيب فى الفاء، والترتيب مع التراخى فى ثم.. وهكذا.

فإذا توالت جملتان فإما أن يكون للأولى محل من الإعراب؛ بأن كانت واقعة فى موقع الخبر، أو المفعول أو المضاف، وإما أن لا يكون لها محل من الإعراب، كالجملة الاستئنافية، وجملة الصلة.

فإذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب فإما أن يقصد تشريك الثانية للأولى، فى حكم الإعراب الذى لها، وإما أن لا يقصد تشريك الثانية للأولى فى هذا الحكم.

فالحالة الأولى: وهى التى يقصد معها تشريك الجملة الثانية مع الأولى فى الحكم الإعرابى -يجب فيها العطف، ليدل العطف على هذا التشريك.

وذلك كأن تكون الأولى خبرًا للمبتدأ، مثل: (**مُحمد يعطى ويمنع**) أو حالا مثل: (**قام يَخْطُب ويشعر**) أو صفة، مثل: (**سلمتُ على رجل يأمر وينهى**).

ويشترط لحسن العطف فى هذه الحالة: أن يكون بين الجملتين جهة جامعة، كالجهة الجامعة التى بين الكتابة والخطابة من التناسب، والتى بين الإعطاء والمنع من التضاد -كما سبق فى المثالين- ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فالجهة الجامعة بين القبض والبسط هى: التقابل.

ولهذا لا يحسن أن تقول: محمد يقرأ ويمنع، أو محمد يعطى ويشعر؛ لأنه لا تناسب بين القراءة والمنع، ولا بين الإعطاء والشعر.

وقد عيب على أبى تمام قوله -من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم-:

لا والـذى هو عـالـم أن النـوى صَـبْـر، وأن أبا الحُـسين كـريم

فقد نفـى الشاعر ما ادعتـه حبيبتـه من انصراف قلبه عنهـا، وأقسم على هذا، والدليل عليه قوله قبل هذا البيت:

زَعَمَـتْ هواك عفـا الغداة كـما عـفا عنـهـا طُـلُول بـاللوى وَرُسُـومُ

والشاهد فى قوله: **(أن النوى صبر، وأن أبا الحسين كريم)** فقـد عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى، مع أنه لا مناسبة بين مرارة النوى، وكرم أبى الحسين، ولهذا كان العطف غير مقبول، فعابه النقاد على أبى تمام.

والحالة الثـانية: وهى التى لا يقصد مـعها تشريك الجملـة الثانية مع الأولى فى الحكم الإعرابى، يجب فـيها فصل الجـملة الثانية عن الجملة الأولـى، سواء وجد بينهما جامع أم لم يوجد بينهما جامع، وذلك لئلا يلزم من العطف التشريك الذى لم يكن مقصودا، كما فى قول الله تعالى: **﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ⑭ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾** [البقرة: ١٤، ١٥] فلم تعطف جملة: **﴿الله يستهزئ بهم﴾** على جملة: **﴿إنا معكم﴾** التى هى مـقول القـول؛ لأنه لو عطفت عليها للزم تشـريكها لها فى كونها مـفعول **﴿قالوا﴾**، فيلزم -حينئذ- أن تكون جملة: **﴿الله يستهزئ بهم﴾** من مقول المنافقين، مع أنها ليست من مقولهم، بل هى من مقول الله -سبحانه وتعالى.

ومن هذا الضرب -أيضًا- قول الله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾** [البقـرة: ١١، ١٢] وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾** [البقـرة: ١٣] ، فلو عطف قوله: **﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾** -فى الآية الأولى- وقوله: **﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾** فى الآية الثانيـة على الجملة التى قـبلها لكان من مقولهم، مع أنه ليس من مقولهم.

وإذا لم يكن للجـملة الأولى محل من الإعـراب: فإمَا أن يقـصد ربط الثـانية بالأولى على معنى عاطف سوى الواو، وإما ألا يقصد ذلك.

فإن قـصد ربط الثانية بالأولى على مـعنى عاطف سوى الواو، عطفت عليـها بذلك العاطف -وإن لم توجد جهة جـامعة- وذلك كقولك: (**دخل محمـد فخرج على**) إذا كان خروج على عقيب دخول محمد بدون مهلة.

وكقولك: (**جاء مـحمـد ثم جاء على**) إذا كان مـجىء على بعد مجىء محـمد بمهلة، وكقولك: (**يعطيك محمد كـتبا، أو يقرضك مالا**)، إذا أردت أنه يفعل واحدًا منهما، ومنه قول الله تعالى: ﴿**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [النمل: ٢٧].

وذلك لأن لكل حـرف من حروف العطف سـوى (**الواو**) مـعنى خاصـا به، ووجوده كافٍ لصحة العطف -وإن لم تكن هناك جهة جامعة.

وإن لم يقصـد ربط الثانية بالأولى علـى معنى عاطف سـوى الواو، فلا يخلو الحال من أحد أمرين:

أولهما: أن يكون للجملة الأولى قيد زائد على مفهومها، مثل الحال أو الشرط أو الظرف ولم يقصـد إعطاؤه للجملة الثـانية، وهنا يجب الفـصل، لئلا يلزم من الوصل التشريك فى ذلك القيد مع أنه غير مقصود، وذلك كما فى الآية السابقة: حيث لم تعطف جملة: ﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ على جملة ﴿**قالوا**﴾ لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم -وهو قوله: ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم**﴾ وهذه المشاركة غير مقصودة؛ لأن جملة: ﴿**قالوا**﴾ مقيدة بظرف هو: ﴿**إذا**﴾ وتقديم الظرف يفيد الاختصـاص، والمعنى أنهم إنما يقولون: ﴿**إنا معكم**﴾ فى حال خلوهم بشياطينهم فقط، فلو عطفت جملة: ﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ على ﴿**قالوا**﴾ للزم أن يكون استهزاء الله بهم مختـصًا بذلك الظرف لإفادة العطف تشريك الجملتين فـى الاختصاص به وهو باطل؛ لأن المراد باستهزاء الله بهم هو مجازاته لهم بالخذلان واستدراجهم من حيث لا يشعرون، وهذا متصل لا يتقـيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، ولهذا ترك العطف لتنتفى المشاركة فى الاختصاص بذلك الظرف.

والآخر: ألا يكون للجملة الأولى قيد زائد على مفـهومها أصلا، أو يكون لها قيد زائد قصد إعطاؤه للثانية.

وعلى هذا الأساس بين البلاغيون مواضع الفصل والوصل:

أولا مواضع الفصل

يجب الفصل فى خمسة مواضع:

(١) **أن يكون بين الجملتين: (كمال الاتصال)**، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى وذلك كقول المتنبى:

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

فالجملة الثانية -وهى: **(إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا)** توكيد للجملة الأولى، وهى: **(وما الدهر إلا من رواة قصائدى)**، فمعنى الجملتين واحد.

ومنه قول الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، فجملة: **﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾** توكيد لجملة: **﴿ما هذا بشرا﴾**، لأن إثبات كونه ملكًا توكيد لنفى كونه بشرا.

أو بأن تكون الجملة الثانية بيانًا للأولى، نحو قول أبى العلاء:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضٌ لبعض -وإن لم يشعروا- خدم

فالجملة الثانية، وهى: **(بعض لبعض وإن لم يشعروا خدمُ)** جاءت لتوضح الجملة الأولى، وهى: **(الناس للناس من بدو وحاضرة)** فهى بيان لها.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] فالجملة الثانية، وهى: **﴿قال يا آدم﴾** بيان للجملة الأولى، وهى: **﴿فوسوس إليه الشيطان﴾**.

أو بأن تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، نحو قوله تعالى: **﴿أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾** [الأنعام: ١٣٢- ١٣٤] فجملة: **﴿أمدكم بأنعام﴾** بدل بعض من جملة: **﴿أمدكم بما تعلمون﴾** إذ الأنعام والبنون بعض ما يعلمون، ومنه قول الشاعر:

أقُولُ له: ارْحَل، لا تُقيمن عندنا وإلا فكن فى السِّر والجهر مُسلما

فقوله: **(لا تقيمن عندنا)** بدل اشتمال من قوله: **(ارحل)**.

(٢) أن يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) بشرط ألا يوهم الفصل خلاف المقصود، فيجب الوصل -كما سيأتى-:

وكمال الانقطاع بين الجملتين يكون فى حالتين:

الأولى: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنىً، نحو قول أبى العتاهية:

يا صَاحبَ الدنيا المُحب لها ... أنت الذى لا ينقضى تعبُهُ

فجملة النداء: إنشائية لفظًا ومعنى، وجملة: **(أنت الذى لا ينقضى تعبه)** خبرية لفظا ومعنى.

ونحو قول الشاعر:

لا تَحْسَبِ المَجْدَ تمرًا أنت آكلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المجد حتى تَلعَقَ الصَّبْرَا

فجملة النهى: **(لا تحسب)** إنشائية لفظًا ومعنى، وجملة: **(لن تبلغ المجد)** خبرية لفظًا ومعنى.

ومثله قول الآخر:

لا تسأل المرء عن خلائقه ... فى وجهه شاهد من الخَبَرِ

أو معنى فقط: كقولك: **(مات فلان رحمه الله)**، فالجملة الأولى، وهى: **(مات فلان)** خبرية لفظا ومعنى، والجملة الثانية وهى: **(رحمه الله)** خبرية لفظًا ولكنها إنشائية معنى، فالمراد منها الدعاء على معنى: اللهم ارحمه.

والثانية: ألا تكون بينهما مناسبة ما، بل يكون كل منهما مستقلا بنفسه، كقولك: **(على كاتب) (الغراب طائر)**، وكما جاء فى الحِكَم: **(كفى بالمشيب داء، صلاح الإنسان فى حفظ اللسان)**، وإنما وجب ترك العطف فى كمال الانقطاع لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما، ولا يكون ذلك فى المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

(٣) أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى، كما يفصل الجواب عن السؤال، لما بينهما من الاتصال، ويقال -

حينئذ: إن بيـن الجملتين (**شبه كـمال الاتصال**)، ويسمى فصل الجـملة الثانية عن الأولى فى هذا الموضع: استئنافا، والجملة الثانية، تسمى: مستأنفة.

والسؤال المفهوم من الجملة الأولى: إمـا أن يكون عن السبب العام للحكم نحو قول الشاعر:

قـال لى: كـيـف أنت قلت: عـليل ... ســـهـــر دائـم وحــــزن طـويل

أى: ما سبب علتك؟

وإنما كان السؤال هنا عن السبب العـام دون الخاص؛ لأن العرف يقتضى أنه إذا قيل: فـلان مريض، أن يكون السؤال عن الـسبب العام لمرضـه، لا أن يقال: هل سبب علته كذا؟ حتى يكون السؤال عن السبب الخاص.

وإما أن يكون عن السبب الخـاص: نحو قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف: ٥٣]، كأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: إن النفس لأمارة بالسوء. فالسائل هنا قد نزل منزلة المتردد فى هذا السبب الخاص؛ لأن الكلام قد تقـدم فيه مـا يشير إلى الخـبر؛ لأن قوله -على لسـان يوسف عليه السلام-: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**﴾ يشيـر إلى أن النفس أمارة بالسـوء، والدليل على تنزيل السـائل منزلة المتـردد هو: تأكـيد الخـبـر له، والخبـر هنا طلبى فى مـعنى الإنكارى، ولهذا أكـد بأكثـر من مؤكد واحـد، فقد أكـد بإن، واللام، واسمـية الجملة.

وإما أن يكون السؤال عن غير السبب الـعام والسبب الخاص، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ**﴾ [هود: ٦٩]، كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل: قال: سلام.

والجملة المستأنفة قد تأتى بإعادة اسم ما استؤنف الحديث عنه، كأن يقال لرجل أحسن إلى محمد: (**أحسنت إلى محـمد، محمـد خليق بالإحسان**) فتفصل الجملة الثانية عن الأولى لكون الثـانية جوابًا عن سؤال نشأ عن الأولى، استـشعر سؤالاً تقديره: لماذا أحسـنت إليه؟ إذا كان السؤال عن السبب الـعام، أو: هل هو جدير

بالإحسان؟ إذا كان السؤال عن السبب الخاص، وقد أعيد المستأنف له الحديث باسمه -كما رأيت- وقد تأتى بوصفه الصالح لترتيب الحكم عليه، كأن يقال فى المثال السابق: (**أحسنت إلى محمد، صديقك القديم أهل للإحسان**) والسؤال المقدر فيه كسابقه، وقد أعيد هنا ما استؤنف عنه الحديث بوصف صداقته القديمة، وهو سبب صالح لأحقية الإحسان، وهذا القسم من الاستئناف -وهو ما أعيد فيه المستأنف عنه الحديث بوصفه- أبلغ من القسم الأول، وذلك لانطوائه على بيان السبب الموجب للحكم، كالصداقة القديمة فى المثال السابق فهو من قبيل إثبات الحكم بدليل.

الحذف فى الاستئناف:

وللحذف فى الاستئناف حالتان:

الأولى: أن يحذف صدر الجملة المستأنفة، سواء أكان المحذوف فعلاً، نحو قوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ**﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] -فى قراءة: ﴿**يسبح**﴾ مبنية للمجهول، كأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: ﴿**رجال**﴾، أى: يسبحه رجال. أم كان المحذوف اسما نحو قولك: (**نِعْمَ الرجل زيد**) على اعتبار جعل زيد خبرًا لمبتدأ محذوف، أى: هو زيد، كأنه قيل: من الرجل المخصوص بالمدح؟ فقيل: هو زيد.

الثانية: أن تحذف الجملة المستأنفة كلها، والاستئناف فى هذه الحال على نوعين:

أحدهما: أن يقوم مقامه شىء يدل عليه، كقول الحماسى:

زَعَمْتُم أن إخوتَكُمْ قُرَيْش ... لَهُم إلف وليس لكم إلاف

أى: لهم إيلاف فى رحلتيهما للتجارة، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وليس لكم شىء من ذلك، كأنه قيل: أصدقنا فى هذا الزعم، أم كذبنا؟ فقيل: (**كذبتم**) فحذفت الجملة المستأنفة كلها وأقيم مقامها: (**لهم إلف وليس لكم إلاف**) لدلالة هذا الكلام عليها.

والآخر: ألا يقوم شيء مقام الاستئناف، اكتفاء بالقرينة الدالة، كما في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] -على قول من يجعل المخصوص خبرًا لمبتدأ محذوف أي: هم نحن، أو مبتدأ لخبر محذوف، أي: نحن هم.

(٤) أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على إحداهما لوجود المناسبة بينهما ولا يصح عطفها على الأخرى؛ لأن في العطف إفسادا للمعنى؛ فيترك العطف كلية دفعًا لتوهم أن تكون الجملة المعطوفة معطوفة على التي لا يصح العطف عليها، ويسمى الفصل -حينئذ- قطعًا، ويكون بين الجملتين اللتين قصد فصلهما: **(شبه كمال الانقطاع)**.

وذلك نحو قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها — بدلا أراها في الضلال تَهِيم

فجملة: **(أراها في الضلال تهيم)** يصح عطفها على جملة: **(وتظن سلمى)** لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة: **(أبغي بها بدلا)** فتكون جملة: **(أراها)** من مظنونات سلمى، وذلك غير مقصود، ولهذا امتنع العطف كلية ووجب الفصل.

(٥) أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصل، وذلك بأن تكون الجملتان متفقتين خبرًا أو إنشاءً وبينهما رابطة قوية ولكن يمنع من العطف مانع، وذلك بأن يكون للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] فجملة: ﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ لا يصح عطفها على جملة ﴿**قالوا**﴾ لئلا يلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم بوقت خلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بهم غير مقيد بوقت من الأوقات، ولا يصح -أيضا- أن تعطف جملة: ﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ على جملة ﴿**إنا معكم**﴾ لئلا يلزم من ذلك أن تكون الجملة المعطوفة من مقول المنافقين مع أنها من مقول الله تعالى.

ثانيا مواضع الوصل

يجب الوصل فى ثلاثة مواضع:

(١) **أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإبهام**، وذلك بأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية، لكن لو فصل بينهما لأوهم الفصل خلاف المقصود، نحو: (**لا، وبارك الله فيك**) تجيب بذلك على من قال: هل لك حاجة أساعدك فى قضائها؟ (**فلا**) فى هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية، إذ التقدير: (لا حاجة لى) وجملة: (**بارك الله فيك**) جملة إنشائية معنىً خبرية لفظًا، والعبرة بالمعنى، ولو فصلت بين الجملتين فقلت: (**لا بارك الله فيك**) لتوهم السامع أنك تدعو عليه على حين أنك تقصد الدعاء له، ولهذا وجب الوصل وعدل عن الفصل.

وفيه ما روى أن أبا بكر -رضى الله عنه- مر برجل فى يده ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فقال الرجل: (**لا، يرحمك الله**) فقال له أبو بكر: لا تقل هذا، وقل: (**لا، ويرحمك الله**).

(٢) **أن تكون الجملتان متفقتين خبرًا أو إنشاء، لفظًا ومعنى فقط، وكان بينهما تناسب تام فى المعنى، وليس هناك سبب يقتضى الفصل بينهما.**

فمثال الخبريتين لفظا ومعنىً، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

ومثال الإنشائيتين لفظا ومعنى قوله تعالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [الشورى: ١٥] وقوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٣٦].

ومثال المتفقتين خبرًا معنىً فقط قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [هود: ٥٤] أى: إنى أشهد الله، وأشهدكم، فتكون الجملة الأولى وهى: ﴿**أشهد الله**﴾ خبرية لفظا ومعنى، والجملة الثانية: ﴿**اشهدوا**﴾ خبرية معنى، إنشائية لفظا.

ومثال المتفقتين إنشاء معنىً فقط قولك: **(اذهب إلى فلان وتقول له كذا)** أى: اذهب إلى فلان وقل له كذا، فالجملة الأولى وهى: (اذهب) إنشائية لفظًا ومعنى، والجملة الثانية، -وهى: **(تقول)**- خبرية لفظًا، إنشائية معنىً.

والمراد بالتناسب بين الجملتين: أن يكون بينهما رابطة تجمع بينهما كالموافقة فى نحو: **(يقرأ، ويكتب)** وكالتضاد فى نحو **(يضحك، ويبكى)**.

وإنما كان التضاد فى حكم الموافقة؛ لأن الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر، كالعلم فإنه يخطر على البال عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والتناسب بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا، فلا يقال: **(عصام قادم، والبعير ذاهب)** لعدم التناسب بين المسند إليهما: **(عصام)** و**(البعير)** كما لا يقال: **(وائل عالم وعصام قصير)** لعدم التناسب بين المسندين **(عالم)** و**(قصير)**.

(٣) أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها فى الحكم الإعرابى، ولا مانع من هذا الإشراك نحو قول أبى العلاء المعرى:

وحُبُّ العيش أعبَدَ كُلَّ حُر ... وَعَلَّم سَاغِبًا أكل المَرار

فجملة: **(أعبد كل حر)** لها محل من الإعراب؛ لأنها خبر للمبتدأ قبلها وقصد القائل إشراك جملة **(علم ساغبًا أكل المرار)** لها فى هذا الحكم الإعرابى ولا مانع من ذلك.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

وللسرّ منى موضعٌ لا ينَالُهُ ... نديم ولا يُفضى إليه شرابُ

فجملة: **(لا يناله نديم)** لها موضع من الإعراب؛ لأنها صفة للنكرة قبلها وقصد القائل إشراك جملة **(ولا يفضى إليه شراب)** لها فى هذا الحكم الإعرابى ولا مانع من ذلك.

ويشترط في قبول العطف بالواو هنا ما شرط في الموضع السابق من وجود التناسب بين الجملتين، ولهذا عيب على أبي تمام قوله يمدح الحسن بن الهيثم:

لا، والذي هو عالمٌ أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريمُ

إذ لا رابطة بين كرم أبي الحسين، ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر.

مُحَسِّنات الوَصْل

مما يزيد من حُسن الوصل: توافق الجملتين في الاسمية والفعلية وفي المعنى والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد، ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لغرض:

كأن يقصد التجدد في إحداهما والثبوت في الأخرى، وذلك مثل قولك: **(يقوم خالد وعمرو قاعد)**، إذا أردت أن قيام خالد يتجدد، وقعود عمرو ثابت مستمر.

وكأن يراد: حكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، كما في قوله تعالى: ﴿**فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [البقرة: ٨٧]، فقد عبر بالمضارع في الجملة الثانية -وإن كان القتل في الماضي كالتكذيب- لأن أمر القتل فظيع، فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

وكأن يراد الإطلاق في إحداهما والتقييد في الأخرى، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ**﴾ [الأنعام: ٨]، فالجملة الأولى: وهي: ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه ملك**﴾ مطلقة، والجملة الثانية مقيدة؛ لأن الشرط مقيد للجواب فقضاء الأمر: أي قضاؤه بهلاكهم، وعدم إيمانهم مقيد بإنزال الملك.

****

تمرينات
على الفصل والوصل

(١)

حدد مواضع الوصل والفصل فى كل مما يأتى مبينًا السبب:

١- قال الشريف الرضى فى الرثاء:

أعَلمتَ مـن حَـمَلوا علـى الأعـواد؟ أعلمت كـيف خَبَـا ضيـاء النادى؟!

٢- وقال آخر:

لا تَحـسب المجـد تمرًا أنت آكـله لن تبلغ المجـد حـتـى تلعق الصبـرا

٣- قال الطغرائى:

يا واردًا سُـؤْرَ عَـيْشٍ كله كـدر أنفَـقْتَ عُـمْرَكَ فـى أيَّامكَ الأُوَلِ

٤- وقال أبو الطيب:

الرَّأْيُ قَبْلَ شـجاعَةِ الشُّـجْعَان هـو أول وَهِيَ المَحَلُّ الثـانـى

٥- وقال ابن الرومى:

قَـد يَسْبِقُ الخَيْـرَ طَالبٌ عَـجِلٌ ويرهـق الشَّـرُّ مُـمْـعِنًا هَـرَبَهْ

٦- وقال حسان بن ثابت:

أَصُـونُ عِرْضِى بِمَـالِى لا أُدَنِّسُـهُ لا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ العِـرضِ فى المَـالِ

أَحْـتَـالُ لِلمَـال إنْ أَوْدى فَـأَكْـسِبُهُ وَلَسْتُ لِلعِـرضِ إنْ أَوْدى بِمُـحْتَـالِ

٧- وقال عمارة اليمنى:

وَغَـدْرُ الفَـتَـى فى عَـهْـدِه وَوَفَـائه وَغَـدْرُ المَوَاضِى فى نُبُـوِّ المَضَـارِبِ

٨- وقال تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرًا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرًا﴾.

(٢)

بين مواضع الوصل والفصل فى كل مما يأتى مع ذكر السبب فى كل مثال:

١- قال الله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾.

٢- و قال تعالى: ﴿**وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف**﴾.

٣- ومما ينسب للإمام على -كرم الله وجهه-: «**دع الإسراف مقتصدا، واذكر فى اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك**».

٤- قال أبو العتاهية:

قَـدْ يُدْرِكُ الراقـد الـهَـادِى برَقْـدَتهِ ... وَقَـدْ يَخِيبُ أَخُـو الرَّوْحَـاتِ والدُّلَجِ

٥- وقال أبو العلاء المعرى:

لاَ يُعْـجِـبَنَّكَ إقْـبَـالٌ يُرِيـكَ سَنًا ... إنَّ الْخُـمُودَ -لَعَمْـرِى- غَايَةُ الـضَّرَمِ

٦- وقال شاعر يشكو الناس:

يَصُـدُّونَ في الْبَـأْسَاء مِنْ غَـيْـرِ عِلَّةٍ ... وَيَمْتَـثِلُونَ الأَمْرَ والنَّهْىَ فِـى الْخَفْضِ

٧- وقال الله تعالى: ﴿**أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون**﴾.

٨- وقال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾.

(٣)

١- لمَاذَا عِيبَ عَلَى أَبِى تَمَّامٍ قَوله:

لاَ وَالَّـذِى هُوَ عَـالِـمٌ أَنَّ النَّـوى ... صَـبِـرٌ وَأَنَّ أبا الْحُـسَـيْنِ كَـرِيمُ

٢- ولماذا يَحْسُنُ أن نقول: مُحمَّـدٌ خَطِيبٌ وَعَلِىٌّ شَاعِرٌ؛ ولا يَحْسُنُ أَنْ نقول: مُحَمَّدٌ مَرِيضٌ وَعَلِىٌّ عَالِمٌ؟

(٤)

مثل لما يأتى:

أ- كمال الاتصال.

ب- شبه كمال الاتصال.

جـ كمال الانقطاع.

الإيجاز، والإطناب، والمساواة

عرف البلاغيون الإيجاز بأنه: «تأدية المعنى بعبارة أقل منه» وعرفوا الإطناب بأنه «تأدية المعنى بعبارة زائدة عليه» وعرفوا المساواة بأنها: «تأدية المعنى بعبارة مساوية له».

فالمساواة: هي الحد الوسط بين الإيجاز والإطناب، ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]؛ يعني: لا ينزل المكر السيئ إلا بمن يستحقه بعصيانه وكفره؛ والمكر السيئ من جانب الله تعالى: أن يفعل بالعبد ما يُوبِقُهُ.

وإنما كانت الآية من قبيل المساواة؛ لأن المعنى قد أدى بما يستحقه من التركيب وَضْعًا يقتضي ذلك، ومثله قوله النابغة الذبياني:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

يَقُولُ: أَيْنَ المهربُ منْكَ؟ فإنك منى كَالليْل الذى هو -لا محالة- مدركى فلستُ بمستطيع أن أفلت منك مهما أمعنتُ فى الفرار، وظَنَنْت أننى بمنجىً يعصمنى ويقينى؛ لِمَا لَكَ من قوة النفوذ وسعة السلطان.

والشاهد فى البيت أنَّ معانيه مفرغةٌ فى قوالب مطابقة لها.

ومن المساواة: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] وقوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات» وذلك لأن ألفاظ الآية والحديث على قدر معانيها، فلو حاولت أن تزيد فيها لفظًا أو تسقط كلمة لكان ذلك من قبيل الحشو فى الأول، ومن قبيل الإخلال فى الثانى.

والإيجاز -كما عَرَفْتَ- هو (أن يؤدى المعنى بعبارة أقل منه) على أن يكون اللفظ وافيًا بالمعنى المقصود، بمعنى: أن تكون الدلالة واضحة لا خفاء فيها، فإن لم يكن وافيًا بالمعنى المراد كان ذلك إخلالاً بالمعنى ولم يكن إيجازًا، كما فى قول الحارث بن حلزة:

والعَيْشُ خَيْرٌ فى ظِلاَلِ   النَّوك مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

فقد أراد الحارث أن يقول: والعيش الناعم الهنىء فى ظل الجهل خير من العيش الشاق العسير فى ظل العقل؛ ولكن اللفظ لم يف بالمعنى بَلْ أخَلَّ به.

أقسام الإيجاز

ينقسم الإيجاز إلى قسمين:

القسم الأول: إيجاز القِصَر؛ وهو: أن يقصد فيه إلى الإكثار فى المعنى من غير أن يكون فى التركيب حذف، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ فإن معناه كثير ولفظه قليل، ولا حذف فيه، فلو أن كاتبًا بليغًا كتب مقالاً يصور لنا فيه آثار القصاص وما يجنيه المجتمع من ورائه من منافع ما استطاع أن يصور ما صوره القرآن الكريم فى هاتين الكلمتين: ﴿**الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ وإن هاتين الكلمتين لتوحيان إلينا بصور متعددة متتابعة: من باعث القتل والتعدى، ثم القتل، ثم رفع الأمر إلى السلطان، ثم القصاص، ثم خوف المعتدين بعد ذلك من أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم، ثم الإحجام عن القتل بغير الحق، ثم حقن الدماء وحفظ حياة الإنسان.

وقد كان للعرب كلمات يعجبون بها ويعدونها من أوابد كلامهم؛ وهى: «**القَتْلُ أنفى للقَتْلِ**» فلما نزلت آية القرآن الكريم، تضاءلت أمامها حكمة العرب، وظهر فيها ضعف المخلوق أمام جبروت الخالق؛ فقد تميزت الآية الكريمة على القول المأثور بما يلى:

١- أن النص الكريم أقل حروفًا من القول المأثور.

٢- أن فى الآية الكريمة نصًا وتصريحًا بالمطلوب؛ وهو: (**الحياة**) والتصريح به أدْعى إلى القبول وأَعْوَنُ على ترغيب الناس فيه والحرص عليه.

٣- ما يفيده تنكير (**حياة**) من معنى التعظيم.

٤- أن النص الكريم عام مطرد؛ إذ القصاص مطلقًا فى كل وقت ومع كافة الأفراد المكلفين سبب للحياة، أما النص العربى فليس فى ظاهره مطردًا ؛ إذ

ليس كل قــتل أنفى للقـتـل، بل إنه لا يكون كـذلك إلا إذا كــان على وجـه القصاص.

٥- أنه خال من التكرار اللفظى، بخلاف النص العربى المأثور؛ ففيه التكرار.

٦- أنه غنى عن تقدير مـحذوف بينما النص العربى فى احـتياج إليه؛ فـيقال: **(القَتْلُ أنْفى لِلقَتْلِ مِنْ تَرْكِه)**.

٧- أنه مشتمل على حلية الطباق؛ أمَّـا النَّصُّ العربى فإنه عاطل الجيد من هذه الحلية البلاغية.

٨- أنَّ إدخال حرف (فى) على لفظ: **(القصاص)** جَعَلَ له اعتبارًا لطيفًا؛ وهو: أنه كالمنبع والمعدن للحياة.

ومنه قول الله تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾** [الأعراف: ١٩٩]؛ فتلك آية من جوامـع الكلم وروائع الحكم، تطوى تحتها كـثيرًا من مكارم الأخـلاق؛ وذلك لأن فى العفـو الصـفح عـمن أساء، والأخـذ بمبـدأ التسـامح والإغضاء، وفى الأمر بالمعـروف صلة الرحم، والحدب على ذوى القربى، وصون الجوارح عن المحـارم، وفى الإعراض عن الجاهلين الصبـر والأناة، وكظم الغيظ، وغير ذلك من أحَاسِنِ الشيم.

ومثل ما تقـدم من الكلمات الجامعـة ذات اللفظ القصير والمعنى الكثـير: قوله ﷺ: **«الضَّعيف أميرُ الركْبِ»**.

ومنه: ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون إلى بعض العمال فى شأن رَجُلٍ - وقد أمره أنْ يخـتصر كتـابه ما استطاع-: **«كتَـابى إلَيْكَ كتَاب وَاثِق بِمنْ كُـتِبَ إلَيه، مَعْنًى مَعْنِىٍّ كُتِبَ لَهُ؛ وَلَنْ يَضيع بين الثقَة والعِنَايَة حَامِلُهُ»**.

والقسم الثانى: إيجاز الحذف: وهو: **«ما قصد فيـه إلى إكثار المعنى مع حذف شىء من التركيب»** والمحذوف أنواع شتى فمنه :

١- **ما يكون حرفًا**؛ كقوله تعالى: **﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾** [مريم: ٢٠]؛ والأصل: ولم أكن؛ حذفت النون تخفيفًا.

٢- مفردًا مضافًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أى: أهلها - على أن المراد بالقرية المكان -ومنه قول الله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٢١] أى: رحمة الله، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ [النحل: ٥٠] أى: عذاب ربهم.

٣- ما يكون مضافًا إليه، كقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أى: بعشر ليال. ومنه قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن﴾ [الروم: ٤] أى: من قبل ذلك وَمِنَ بَعْدِه.

٤- ما يكون موصوفًا -وهو كثير- كما فى قول الشاعر:

أَنَـا ابْـنُ جَـلَا وطَـلَّاعُ الـثـنـايـا ... مَـتى أَضَعُ العِـمَـامَـةَ تَعْرِفُـونى

أى: أنا ابن رجل جَلاَ؛ أى انكشف أمره ووضح؛ أوْ: كَشَفَ الكروب وجلا الأمور، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢]؛ أى: حُورٌ قاصرات الطرف.

٥- ما يكون صفة -وهو قليل-؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أى: سفينة سليمة؛ أو صالحة؛ بدليل ما قبله، وهو قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ فهو دليل على أن الملك كان يأخذ السليمة؛ وقد جاء ذلك فى بعض القراءات؛ قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس -رضى الله عنه- يقرأ: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا﴾.

ومنه قول الشاعر:

كُلُّ امْـرِىءٍ سَـتَـئِـيـمُ مـنه ... الـعُـرْسُ أوْ مِنْهَـا يَـئِـيـمْ

٦- ما يكون شَرْطًا فى جواب الأمر، أو النهى، أو التمنى، أو الاستفهام؛ فقد قالوا بجَوَاز تقدير الشرط بعدها؛ كقولهم فى الأمر: (أَكْرِمْنى أُكْرِمْكَ)؛ أى: إنْ تكرمنى أكرمْكَ.

وفى النهى: (لا تُسِئْ إلىَ أحَدٍ يَكُنْ خَيْرًا)؛ أى: إن لا تُسىءْ يكن خيرًا.

وفى التمنى: (لَيْتَ لىَ مَالاً أنفِقُهُ فى وجُوه الخير)؛ أى: إنْ أُرْزَقْهُ؛ وفى الاستفهام: (أَيْنَ بَيْتُكَ أَزُرْكَ) أى: إنْ تُرْشِدْنى إلَيْه أَزُرْكَ.

٧- ما يكون جواب شرط وهو نوعان:

أ- ما حذف لمجرد الاختصار اعتماداً على القرينة؛ وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥] فهذا شرط حذف جوابه؛ وهو: (أَعْرَضُوا)؛ بدليل ما بعده؛ وهو قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦].

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١] وجواب الشرط هنا تقديره: لكان هذا القرآن.

ب- ما يُحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف؛ قصدًا إلى المبالغة حتى تذهب نفس السامع فيه كل مذهب؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] والتقدير في ذلك كله: لرأيت أمرًا لا يُدركُ فظاعَتَهُ وَهْمٌ.

٨- ما يكون قَسَمًا أو جوابه:

فالأول: كقولك: (لأَحُجَّنَّ البَيْتَ الحَرَامَ) أي: والله لأَحُجَّنَّ.

والثاني -وهو كثير شائع- كقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١: ٤] وتقدير الجواب هنا: لَتُعَذَّبُنَّ يا كفار مكة.

٩- ما يكون معطوفًا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠]؛ والتقدير: ومَنْ أنفق من بعده وقاتل؛ يدل عليه قوله بعد ذلك: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

١٠- ما يكونُ جملةً؛ والمراد بالجملة هنا: الكلام المستقل الذي لا يكون جزءًا من كلام آخر؛ وحذف الجملة على أنواع:

أ- أن تكون الجملة مسببة عن سَبَب مذكور؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] والمعنى: ليُثَبِّتَ الإسلام ويظهره؛ ويمحو الكفر ويدحضه؛ فجملة: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ سبب حذف مسببه، بدليل أن

اللام فيها للتعليل؛ والتقدير: فَعَلَ الله سبحانه ما فعل من كسر قوة أهل الكفر مع وفرتهم وإظهار المسلمين عليهم مع قلتهم ليحق الحق ويبطل الباطل.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فى شبيبته ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ على الْهَرَمِ

ومعناه أَنَّ مَنْ قبلنا أدركوا الزمان فى نضارته وغضارته؛ فأدركوا ما أملوا ونحن أدركناه فى شيخوخته وهرمه؛ فما رأينا منه خيرًا.

والشاهد فيه قوله: وأتيناه على الهرم؛ حيث حذفت الجملة المسببة عن المذكورة وهى قوله: فسَاءَنَا.

ب- أن تكون سَبَبًا لمسبب مذكور: كما فى قوله تعالى: ﴿**فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: ٥٤].

أى: فامتثلْتُم؛ فَتَابَ عَلَيْكُمْ.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ**﴾ [البقرة: ٦٠]؛ أى: فَضَرَبَ بِهَا؛ فانفجرت.

جـ- ألا تكون مسببة عن شىء ولا سَبَبًا لشَىء؛ كما فى قوله تعالى: ﴿**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ [الذاريات: ٤٨]؛ فقد حذفت فيه جملة تقديرها: **هم نحن** أو: **نحن هم** على قول من يجعل المخصوص مبتدأ حذف خبره؛ أو على قول من يجعله خبرًا حذف مبتدؤه.

١١- **ما يكون أكثر من جملة:** كقوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [البقرة: ٧٣] ومنه قوله تعالى: ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٢٨، ٢٩] وتقدير المحذوفات هكذا: فأخذ الكتاب وذهب به، فلما ألقاه إلى بلقيس وقرأته قالت: يا أيها الملأ.. إلخ.

الإطْناب

هو «**تأدية المعنى بعبارة زائدة عليه**»؛ بأن يعبر عنه بأكثر مما وضع لأجزائه مطابقةً؛ على أن يكون الزائد لفائدة، فإن لم يكن لفائدة؛ فلا يخلو الحال من أحد أمرين:

الأول: أن يكون الزائد غير متعين؛ وحينئذ يكون الكلام تطويلاً لا إطنابًا كما في قول عدى بن زيد من قصيدة يخاطب فيها النعمان بن المنذر؛ يذكره فيها بأحداث الدهر، ومَا وقع لجذيمة الأبرش والزباء من خطوب جسام:

وَقَــــدَّدَتِ الأَدِيمَ لِراهِشَــــيْـــــهِ وَأَلْفى قَــوْلَهَـــا كَــذِبًا وَمَـــيْنا

يريد: أنَّهَا قَطَعَت الجلد حتى وصل القطع إلى الراهشين، وأنَّهُ وجد ما وعدت به من زواجها منه كَذبًا ومينًا؛ ففيه تطويل؛ لأن الكذب والمين واحد ولا فائدة من الجمع بينهما ولم يتعين الزائد منهما.

وَمِثْلُ بَيْتِ عَدِىّ قَوْلُ الشاعر:

ألا حَـبَّــذَا هِنْدٌ وأرْضٌ بِهَـــا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِـنْ دُونِهَـا النَّأْىُ وَالْبُـعْـدُ

ففي قوله: (**النَّأْىُ والبُعْدُ**) تطويل؛ لأن اللفظين بمعنى واحد، ولا فائدة فى الجمع بينهما ولم يتعين أحدهما للزيادة.

الثانى: أن يكون الزائد متعينًا، وحينئذ يكون الكلام حَشْوًا، وهو نوعان:

أ- مفسد للمعنى: وذلك كلفظ «**الندى**» فى قول أبى الطيب:

وَلاَ فَضْلَ فِيهَـا لِلشَّجَاعَـةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

والمعنى: لولا تيقن لقاء الموت ماكان هناك فضل للصفات المذكورة على أضدادها، والشاهد قوله: «**وَالنَّدَى**» فهو حَشْوٌ مفسد للمعنى؛ أما أنه حَشْوٌ؛ فلأنه زيادة متعينة لا فائدة منها؛ وأمَّا أنه مُفْسِدٌ للمعنى: فَلأنَّ مَعْنَى البيت: إنه لا فضيلة فى الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد؛ على تقدير عدم الموت وهذا إنما يصلح فى الشجاعة والصبر دون العطاء؛ لأن الإنسان إذا تيقن الخلود فإنه لا يبالى بالمغامرات، ويهون عليه اقتحام المعارك حرصًا على فضيلة الشجاعة وهذا المعنى يستوى فيه الناس جميعًا؛ فلا فضل فيه لأحد على أحد.

أما من علم أنه سيموت وهو -مع ذلك- يخوض غمار الحروب، فهذا هو البطل، والأبطال قليل؛ لاختصاصه بما لا طاقة لكل أحد عليه.

وكذلك الشأن فى الصبر على شدائد الدنيا؛ فإن من تيقن زوال الأحداث والشدائد وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه؛ لوثوقه بالخلاص منه.

أما العطاء: فإن الباذل ماله إذا أيقن بالخلود وهو مع ذلك يسخو بماله ثبت له فضل الكرم؛ لاختصاصه بما لا يستطيعه كل أحد؛ لأن الخلود يوجب الحاجة إلى المال؛ فيندر فى الناس من يوجد على هذه الحال؛ أما من أيقن أنه سيموت ويترك المال لغيره، استخف به وهان عليه بذله؛ فلا فضل فيه.

ولهذا: لم يستقم نظم (الندى) فى سياق الحديث عن الشجاعة والصبر؛ إذْ هو حشو مفسد للمعنى.

ب- غير مفسد للمعنى: ومنه قول زهير بن أبى سلمى:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ... ولكنَّنى عَنْ عِلْمِ مَا فِى غَدٍ عَمِ

والشاهد فيه قوله: (قَبْلَهُ) فهو حشو؛ ولكنه غير مفسد للمعنى؛ أما أنه حشو فلأنه زيادة متعينة لغير فائدة؛ لأن الأمس مفيد للقبلية؛ إذْ هو اليوم الذى قبل يومك؛ وهو متعين للزيادة؛ لعدم صحة عطفه على اليوم؛ وأما أنه غير مفسد؛ فلأن المعنى لا يبطل بذكره.

ومنه قول الشاعر:

ذَكَرْتُ أخى فَعَاوَدَنى ... صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

فذكر (الرأس) مع الصداع حشو؛ لأن الصداع لا يكون إلا للرأس؛ ولكنه غير مفسد.

هذا وقد يَحْسُنُ الحشو إذا تَضَمَّنَ نُكْتَةً لطيفةً؛ كَقَوْلِ أبى الطَّيِّب:

وَخُفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ ... -يا جَنَّتى- لَرَأَيْتِ فيهِ جَهَنَّمَا!

إذ قَوْلُهُ: (يا جنتى) حَشْوٌ غير أنه حَسَنٌ بديعٌ لمقابلته بقوله: (جَهَنَّمَا).

أنواع الإطناب: للإطناب عند البلاغيين أنواع مختلفة، منها:

(١) الإيضاح بعد الإبهام: وذلك ليبدو المعنى فى صورتين مختلفتين:

إحداهما: مبهمة، والأخرى موضحة؛ فيزداد بذلك تقريرًا وتمكنًا في النفس، وتكمل لذة العلم به، ويفخم الأمر في ذهن السامع ويعظم إذا كان المقام يقتضي هذا التفخيم والتعظيم، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾ [طه: ٣٦: ٣٩] فقوله: ﴿ما يوحى﴾ مبهم فُسِّر بقوله: ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] فقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ الأمر في قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾.

ويدخل في الإيضاح بعد الإبهام أمران:

الأول: باب «**نعم وبئس**» - على رأى من يجعل المخصوص خبرًا لمبتدأ محذوف أو العكس لأن الكلام في هذه الحال يكون مركبًا من جملتين:

إحداهما مبهمة؛ وهي جملة الفعل الدال على المدح أو الذم؛ والأخرى موضحة وهي: جملة المخصوص بالمدح أو الذم. ووجه حُسن باب «**نعم وبئس**» سوى ما ذكر من الإيضاح بعد الإبهام- هو: إبراز الكلام في معرض التوسط بين الإيجاز الخالص، والإطناب الخالص، إذ هو ليس إيجازًا خالصًا، لما فيه من الإيضاح بعد الإبهام، وليس إطنابا خالصًا، لما فيه من حذف المبتدأ.

الثاني: التوشيع، وهو في اللغة: لف القطن المندوف، أي: جمع القطن المتفرق في لحاف ونحوه، ومعناه في اصطلاح البلاغيين: (**أن يؤتى في عجز الكلام -غالبا- بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الآخر، أو بجمع مفسر بأسماء معطوف بعضها على بعض**).

مثاله في المثنى قولك: (**عليك بالشفاءين: العسل والقرآن**).

وقول أمير الشعراء:

ودخلتُ في ليلين: فرعِك والدجى ... ولثمت -كالصبح المنور- فاك

وقول ابن المعتز:

سقيتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فمازلت في ليلين: شعر وظلمة وشمسين: من خَمْر، ووَجْه حبيب

ومثاله في الجمع -قول محمد بن وهيب:

ثلاثةٌ تُشرقُ الدُّنيا ببهجتها شَمْسُ الضُّحى، وأبو إسْحقَ والقمرُ

(٢) **عطف الخاص على العام:** وذلك للتنبيه على فضل الخاص، نحو قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فقد خصت الصلاة الوسطى -وهي صلاة العصر- بالذكر، لزيادة فضلها، ونحو قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤] فقد خص الروح -وهو جبريل عليه السلام- بالذكر تكريمًا له، وتعظيمًا لشأنه.

(٣) **عطف العام على الخاص:** وذلك لإفادة العموم، مع العناية بشأن الخاص كما في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، فقد ذكر الله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وهما لفظان عامان، يدخل فيهما من ذكر قبلهما، لإفادة العموم، مع العناية بالخاص لذكره مرتين: مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام.

(٤) **التكرير:** وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لداع:

(أ) **كالتأكيد وتقرير المعنى في النفس**، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، فقوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الانهماك في الدنيا، وتنبيه إلى الخطأ في ذلك، وقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار وتخويف، يعني: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما ينتظركم من أهوال الحشر يوم القيامة.

وفي تكرير قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيد للردع والإنذار معا، وفي كلمة ﴿ثُمَّ﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني يعلو الأول، تنزيلا لبعد المرتبة بعد الزمان، واستعمالاً للفظ ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على التدرج في سلم الإنذار.

(ب) وكاستمالة المخاطب لقبول الخطاب: كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩] فقد كرر قوله: ﴿يا قوم﴾ لاستمالتهم وحملهم على قبول الرشاد.

(جـ) وكطول الكلام: كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

كررت ﴿إنَّ﴾ واسمها لطول الكلام خشية أن يكون الذهن قد ذهل عما ذكر أولا.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

ومنه قول الشاعر:

وإن امـرأ دامت مَـواثيقُ عَـهـده   علـى مـثـل هـذا إنه لـكـريم

(د) وكتعدد المتعلق تعظيمًا لشأنه، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٦] فقد ذكر الله تعالى نعمًا عديدة، وأتبع كل نعمة بهذه العبارة، إجلالا لها وإكبارًا.

(هـ) وكقصد الاستيعاب: نحو قولك: (قرأت الكتاب بابًا بابًا، وفهمته كلمة كلمة) فالغرض من هذا التكرار هو الدلالة على أن الكتاب قد استوعب قراءة وفهمًا بحيث لم يترك فيه باب واحد، أو كلمة واحدة بدون قراءة أو فهم.

(و) وكالتلذذ بذكر المكرر: كما في قول مروان بن أبي حفصة:

سَقى الله نجْدا والسَّلام على نَجْد   ويَا حبَّذا نَجْد على القرب والبعد!

(ز) وكإظهار التحسر: كما في قول الشاعر يرثى معن بن زائدة:

فيـا قَبـر مَعْن أنت أوّلُ حـفـرة   من الأرْض خطّت للسمَاحَة مَوْضعا

ويا قبـر مَعْنٍ، كَيفَ وَارَيْتَ جـوده   وَقَـد كَـانَ منْهُ البَـرُّ والبَـحر مُـتـرعـا

(٥) الإيغال: وهو في اللغة: السير السريع والإمعان فيه، وتوغل في الأرض، إذا سار فيها وأبعد وهو -في اصطلاح البلاغيين-: (ختم الكلام بما يفيد نكتة، يتم المعنى بدونها) وذلك:

(أ) لزيادة المبالغة فى التشبيه: كما فى قول الخنساء ترثى أخاها صخرًا:

وإن صَخـرا لتـأتم الهـداةُ به   كـأنه علـم فى رأسـه نـار

فقولها: (فى رأسه نار): إيغال؛ لأن فيه زيادة مبالغة فى التشبيه، ذلك لأن قولها: «كأنه علم» واف بالمقصود، وهو التشبيه بما يهتدى به، ولكنها لم تكتف بكون المشبه به جبلا عاليا ظاهرا بل زادت على ذلك أن جعلت فى رأسه نارًا لما فى ذلك من زيادة الظهور والانكشاف.

(ب) وكتحقيق التشبيه: أى: بيان التساوى بين الطرفين فى وجه الشبه، كما فى قول امرئ القيس:

كـأن عُيُـون الوحش حَـوْل خِبَـائنَا   وأرحلـنا الجـزْع الذى لم يثـقب

والجزع: الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض، شبه به الشاعر عيون الوحش ولما كانت عيون الوحش لا ثقوب بها كانت أكثر شبها بالخرز الذى لم يثقب ولهذا زاد الشاعر قوله: (لم يثقب) ليتحقق التشابه الكامل بين الطرفين.

ومثله قوله -أيضا:

حَـمَلَتْ رُدَيـنيـا كـأن سِنَانه   سَنَـا لهَـبٍ لم يتَّـصـل بدُخـان

(جـ) ولزيادة الحث والترغيب: كما فى قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠، ٢١]، فقوله: ﴿وهم مهتدون﴾ إيغال، لأن المعنى يتم بدونه، إذ أن الرسل مهتدون قطعًا، فذكره تصريح بما هو معلوم، إلا أن فى التصريح بوصف الاهتداء ما يحفزهم أشد الحفز إلى اتباعهم والترغيب فيهم.

(٦) التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى لا محل لها من الإعراب دالة على معنى الأولى بالفحوى لقصد التأكيد والتقوية، وهو نوعان:

(أ) نوع يجرى مجرى المثل: بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلى منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال فى الاستقلال بنفسه؛ كما فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]؛ إذا أريد مطلق الجزاء، لا جزاء خاص.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فقوله تعالى: ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾ تذييل أريد به التأكيد لما استفيد مما قبله، وهو جار مجرى المثل لاستقلاله عما قبله، ودلك لتضمنه معنى كليا، وهو أن الباطل لا تقوم له قائمة.

ومنه قول الحطيئة:

تَزُور فَتى يُعْطِى على الحمْد مَالَه ... ومَن يُعْطِ أثْمَان المحامد يُحمد

(ب) نوع لا يجرى مجرى المثل: لأنه لا يستقل بمعناه، وإنما يتوقف على ما قبله، كما فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] فقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ تذييل غير جار مجرى المثل، إذا أريد بالجزاء ذلك الجزاء الخاص المدلول عليه فى الآيات السابقة، من إرسال سيل العرم عليهم وتبديل جنتهم بجنتين ذواتى أكل خمط... إلخ.

ومن هذا النوع قول ابن نباتة السعدى:

لم يبق جُودك لى شيئا أؤمله ... تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فجملة (تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل) لا يفهم معناها مستقلا عما قبلها.

(جـ) وقد اجتمع النوعان فى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]، فقوله: ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ تذييل لا يجرى مجرى المثل، وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ تذييل جرى مجرى المثل.

والتأكيد بالتذييل يكون:

(١) إما لتأكيد منطوق الجملة السابقة، كما فى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

(٢) وإما لتأكيد مفهومها، كما فى قول النابغة:

ولست بِمُستبقٍ أخًا لا تلمه ... على شعثٍ أى الرجال المهذب؟!

فمعنى الجملة الأولى: لن تدوم لك صداقة الصديق ما لم توطن نفسك على أنه بشر يخطئ ويصيب؛ لأن الإنسان الكامل الخالى من العيوب غير موجود، ومعنى الجملة الثانية: ليس هناك رجل كملت فيه الفضائل، ولهذا كانت مؤكدة لما فهم من الجملة الأولى.

(٧) التكميل ويسمى (الاحتراس): وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المراد بما يدفع ذلك الإيهام، وهذا الدفع قد يكون فى أول الكلام، وقد يكون فى وسطه وقد يكون فى آخره.

فمثال الأول قول المتنبى:

غَيـر اختيـار قَبِلتُ بِركَ بى   والجُوعُ يُرْضى الأسود بِالجِيَفِ

فقوله: **(غير اختيار)** تكميل أتى به دفعا لأن يكون قبول البر به كان عن رضًا واشتهاء له، وقد جيء به فى أول الكلام.

ومثال الثانى قول طرفة بن العبد:

فَسَقى ديَارَك -غير مفسدها   صَوبُ الرّبيع وديمَة تهمى

لما كان المطر قد يئول إلى خراب الديار وفسادها أتى بقوله: **(غير مفسدها)** دفعًا لما يتوهم من ذلك الخراب والفساد.

ومنه قول عبد الله بن المعتز، يصف فرسًا:

صببنا عَلَيْهَا -ظَالمين- سيَاطَنَا   فَطَارَتْ بهَا أيد سِرَاعٌ وأرجلُ

فقوله: **(ظالمين)** تكميل أو احتراس، دفع توهم أن الفرس متبلدة متثاقلة تستحق الضرب، ومنه قول كثير عزة:

لو أن عَزَّةَ خَاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى   فى الحُسْن -عند مُوَفق- لقضى لها

يريد: عند حاكم موفق، ليكون الحكم صحيحا، فقوله: **(عند موفق)** تكميل أتى به دفعًا لتوهم أن الحكم غير صحيح.

ومثال الثالث: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أى: أشداء أقوياء عليهم، تكميل دفع به توهم أن وصفهم بالذلة لضعفهم وهوانهم؛ لأن المتذلل من شأنه أن يكون ضعيفًا مهينًا، ومنه قول عنترة:

أثنى على بما علمت فإننى سمحٌ مُخالفتى إذا لم أظلم

فقوله: (إذا لم أظلم) احتراس دل به على أنه قد يخالف، فيرجع إلى الحق راضيًا، ولكنه لا يقبل الظلم.

(٨) التتميم: وهو: أن يؤتى -فى كلام لا يوهم خلاف المقصود- بفضله، كمفعول أو حال، أو تمييز، أو جار ومجرور، أو نحو ذلك لفائدة.

وذلك كالمبالغة فى المدح فى قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] -على أن يكون الضمير فى (حبه) عائدًا على الطعام- أى: يطعمونه مع حبهم له واشتهائهم إياه، لاحتياجهم إليه، وذلك أبلغ فى المدح بالكرم مما لو كان عن غنى.

ومنه قول زهير:

من يلقَ يومًا -على علاَّته- هَرِمًا يَلْقَ السَّمَاحَة منه والنَّدى خلقا

فقوله: (على علاته) أى: على أى حال من غنى أو فقر، تتميم جميل.

(٩) الاعتراض: وهو: (أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لفائدة سوى دفع الإيهام).

(أ) كالتنزيه فى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ فجملة: ﴿سبحانه﴾ [النحل: ٥٧] معترضة، للمبادرة إلى تنزيه الله تعالى عما يجعلون له من البنات.

(ب) وكالدعاء: كما فى قول الشاعر:

إن الثمانين -وبُلِّغْتَهَا- قد أحْوَجَتْ سَمْعِى إلى ترجُمَانِ

فقوله: (وبلغتها) جملة معترضة للدعاء، أريد بها تعطيف قلب الممدوح.

(جـ) وكالتنبيه: كما فى قول الشاعر:

واعلَمْ -فَعِلمُ المرء يَنْفَعُهُ- أن سَوْف يَأتى كل ما قُدِرَا

فقوله: (فعلم المرء ينفعه) جملة معترضة جاءت لتنبيه المخاطب إلى أن الشىء الذى أمر به نافع له، وذلك مما يدفعه إلى الإقبال عليه.

(د) وكالتعظيم: كما فى قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦] ففيه اعتراضان: أحدهما: ﴿وإنه لقسم عظيم﴾ والآخر: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ وقد أريد بهما تعظيم القسم وتفخيم أمره، وفى ذلك -أيضا- تعظيم للمقسم عليه وتنويه برفعة شأنه.

(هـ) وكالمبادرة إلى اللوم: كما فى قول كثير:

لو ان الباخلين -وأنت منهم- رَأَوْكِ تعَلَّمُوا منك المطالا

فقد عجل بالتصريح بقوله: (وأنت منهم) للإسراع إلى التصريح بلومها.

هذا وقد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو لذلك الكلام فى أصل المعنى، فيقال للأكثر حروفًا: إنه مطنب، وللأقل حروفًا: إنه موجز، وهكذا.

****

تمرينات
على الإيجاز والإطناب والمساواة

(١)

بين ما فى الأمثلة من إيجاز أو إطناب أو مساواة، مبينا نوع كل من الإيجاز والإطناب:

(أ) قال الله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾.

(ب) وقال الله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.

(جـ) وقال الله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾.

(د) وقال الله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾.

(هـ) وقال طرفة:

سَتُبْدِى لك الأيَّامُ ما كُنتَ جاهلا ويَأتيكَ بالأخبَارِ من لم تُزود

(و) قيل لأعرابى يسوق مالا كثيرًا: «لمن هذا المال؟» فقال: «لله فى يدى».

(ز) قال الله تعالى -فى حكاية موسى عليه السلام مع ابنتى شعيب-: ﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال: رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير،فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾.

(ح) وقال النابغة الذبيانى:

فإنّكَ كَالليلِ الذى هو مُدْرِكى وإن خِلتُ أن المُنتأى عنكَ واسعُ

(٢)

بين مواطن التذييل والاعتراض، مبينا الغرض البلاغى فى كل مما يأتى:

(أ) قال الله تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾.

(ب) قال العباس بن الأحنف:

إذا تَمّ ذا الهَجْر يا ظَلُومُ ولا ... ثم فَمَا لِي في العَيشِ من أرَبِ

(جـ) قال أبو تمام يعزى الخليفة فى ابنه:

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه ... لِمَا قد تَرَى يُغْذى الصَّبِيُّ ويُولَدُ

هَل ابنكَ إلا من سُلالَة آدَمٍ ... لِكُلٍ على حَوض المَنِية مَوردُ

(د) واعْلم فعلم المَرءِ يَنْفَعُه ... أن سَوف يأتى كُل ما قُدِرَا

(هـ) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه:

تبدل دارًا غير دارى وجيرة ... سوَاى وأحداثُ الزمان تنوبُ

(٣)

حدد مواقع الإطناب والأغراض البلاغية منه فى الأمثلة التالية:

١- قال الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾.

٢- قال الله تعالى: ﴿**يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾.

٣- قال الله تعالى: ﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون**﴾.

٤- وقال الحماسى:

أسجنًا وقَيْدا واشْتيَاقًا وَغُربةً ... ونأى حَبيب؟ إن ذا لعَظِيمُ

وإن امرأ دَامَتْ مَواثيق عَهْده ... عَلَى مِثل هَذَا إنه لكَريم

٦- وقال شاعر:

ولستُ بخابئ أبدًا طعامًا ... حذار غَد لكُل غد طعَامُ

٧- وقال الله تعالى: ﴿**إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**﴾.

٨- وقال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾.

٩- وقال تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾.

١٠- وقال تعالى: ﴿وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار﴾.

١١- وقال تعالى: ﴿اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

****

من علم البديع
الطِّبَاقُ

وَيُسَمَّى المطابقة -أيضًا-؛ وهى فى اللغة: الموافقة، والطباق فى اصطلاح البلاغيين: **(الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة)**.

وهذا التقابل: إما أن يكون بلفظين من نوعٍ واحدٍ؛ كَأَنْ يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، وإما أن يكون بلفظين من نوعين مختلفين.

فمثال الطباق بلفظين من نوع واحد وهما اسمان قول الله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف: ١٨]؛ فقد طابق بين ﴿**أيقاظ**﴾ و ﴿**رقود**﴾ وهما اسمان.

ومثال الطباق بلفظين من نوع واحد وهما فعلان قول الله تعالى: ﴿**الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ فقد طابق بين ﴿**تؤتى**﴾ و﴿**تنزع**﴾؛ كما أنه قد طابق بين ﴿**تعز**﴾ و﴿**تذل**﴾.

وقول النبى -ﷺ-: «**إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ**» فقد طابق بين (تكثرون) و(تقلُّونَ).

وقول أبى صخر الهذلى:

أَمَا وَالَّذِى أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِى ... أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِى أَمْرُهُ الأَمْرُ

فقد طابق بين (أبكى) و(أضحك) كما أنه قدْ طابق بين (أَمَاتَ) و(أَحْيَا).

وقول بشار بن برد:

إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ العِدَا ... فَنَبِّهْ لَهَا عُمَرًا ثُمَّ نَمْ

فقد طابق بين (نَبِّهْ) و(نَمْ) كما أنه قد طابق بين (أيقظتك) و(نَمْ) وإن كان الفعلان الآخران مختلفين؛ فأولهما مَاضٍ، وثانيهما: أمر.

ومثال **الطباق بلفظين من نوع واحد؛ وهما حرفان** قول الله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦] فقد طابق هنا بين لام الملك المؤذن بالانتفاع، وبين ﴿**على**﴾ التى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والضرر.

وقول الشاعر:

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بَأَنْ أَحْمِلَ الْهَوى ... وَأَخْلُصَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

فقد طابق هنا بين قوله (**عَلَيَّ**) وقوله (**لِيَا**)؛ والمعنى أنه تحمل الهوى وقاسى منه العذاب وقد كان هذا موجبًا لمدحه لا لذمه، ولكنه مع كل هذا راض بأنه يخلص منه وليس عليه ذَمٌّ ولا له مدح.

وأما الطباق بلفظين من نوعين مختلفين؛ فمثاله قول الله تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٢] أى: ضالا فهديناه، فقد طابق هنا بين (**مَيْتًا**) و(**أَحْيَيْنَاهُ**) وهما من نوعين مختلفين؛ لأن ﴿**ميتًا**﴾ اسم؛ أما ﴿**أحيينا**﴾ ففعل ماض.

وقول طفيل بن عوف الغنوى:

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ ... يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ

فقد طابق هنا بين (**يصان**) و(**مبذول**) وهما من نوعين مختلفين؛ فالأول فعل مبنى للمجهول والثانى اسم مفعول.

على أن الطباق قد يكون ظاهرًا؛ كالذى أسلفناه لك، وقد يكون خفيا؛ كما فى قول الله تعالى: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح: ٥]؛ فقد طابق هنا بين ﴿**أغرقوا**﴾ وبين ﴿**أدخلوا نارًا**﴾.

وقول الشاعر:

مَهَا الْوَحْشِ إلا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ ... قَنَا الْخَطِّ إلا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

فالشاعر يمدح نسوةً فيقول: هُنَّ كمها الوحش فى سعة العين وسوادها وأهدابها، إلا أنهن أوانس ومها الوحش نوافر، وهُنَّ كقنا الخط فى طول القد واستقامته إلا أن تلك القنا ذوابل وهذه النسوة نواضر.

فقد طابق بين (هَاتَا) و(تلكَ)؛ لأن هاتا: اسم إشارة للقريب، وتلك اسم إشارة للبعيد.

تقسيم آخر للطباق:

للطباق تقسيم آخر -بحسب الإثبات والنفى، والأمر والنهى -وهو بهذا الاعتبار قسمان:

(أ) **طباق الإيجاب**: وأمثلته: ما تقدم لك من أمثلة.

(ب) طباق السلب: وهو: **(أن تجمع بين فعْلَىْ مصدر واحد؛ أحدهما: مثبت والآخر منفى، أو أحدهما: أمر، والآخر: نهى)**.

فمثال الجمع بين المثبت والمنفى: قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦، ٧].

فقد طابق هنا بين ﴿**لا يعلمون**﴾ وهو فعل منفى؛ وبين ﴿**يعلمون**﴾ وهو فعل مثبت.

وقول الشاعر:

وَنُنْكِرُ -إنْ شِئْنَا- عَلَى الناس قولهم ... وَلَا يُنْكِرُونَ القَولَ حِينَ نَقُولُ

فقد طابق هنا بين (ننكر) وهو فعل مثبت، وبَيْنَ (لَا يُنْكِرُونَ) وهو فعل منفى.

وقول البحترى:

يُقَيَّضُ لِى من حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوى ... وَيَسْرِى إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

والمعنى أنه يهيأ له الفراق من حيث لا يعلم أسبابه؛ لأن محبوبته تهجره بلا أسباب ولكن الشوق يسرى إليه من حيث يعلم أسبابه؛ لأن هذه الأسباب إنما هى حبه لمحبوبته.

وقد طابق هنا بين (**لَا أَعْلَمُ**) وهو فعل منفى؛ وبين (**أَعْلَمُ**) وهو فعل مثبت.

ومثال الجمع بين الأمر والنهى قول الله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] فقد طابق هنا بين ﴿**لا تخشوا**﴾ وهو نهى عن خشية الناس؛ وبين ﴿**اخشون**﴾ وهو أمر بخشية الله تعالى.

التدبيج: من الطباق نوع يُسَمَّى تدبيجًا؛ وهو: أن يذكر في معنى -كالمدح أو غيره- أَلْوَانٌ بقصد الكناية، أو التورية.

أما تدبيج الكناية: فكقول أبي تمام من قصيدة في رثاء محمد بن حميد:

تَرَدَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى ... لَهَا اللَّيلُ إلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرِ

ومعنى **(تردى ثياب الموت)**: اتخذها رداءً؛ والمراد بثياب الموت: ما كان يلبسه وهو يحارب، وإنما كانت حُمْرًا لأنها احمرت بدم القتلى، والسندس رقيق الحرير؛ والأول كناية عن القتل، والثاني كناية عن دخول الجنة.

وقد طابق هنا بين (حُمْرًا) و(خُضْرٍ).

وقول ابن حيوس:

إنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ ... فَالْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالِ

تَلْقَ بِيضَ الْوُجُوهِ سُودَ مَثَارِ النَّقْعِ ... خُضْرَ الأكْنَافِ حُمْرَ النِّصَالِ

النائل هو: العطاء، والنزال هو: القتال، ومثار النقع: غبار الحرب، والأكناف: جمع كنف وهو الجانب، وخضرتها: كناية عن سَوَادِ دروعها لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر، وحمر النصال: كناية عن قتل الأعداء بها؛ وقوله: بيض الوجوه: كناية عن كرمهم؛ وما بعده: كناية عن شجاعتهم.

وأما تدبيج التورية: فكقول الحريري: **(قد ازْوَرَّ المَحْبُوبُ الأَصْفَرُ، واغْبَرَّ الْعَيْشُ الأَخْضَرُ، وَاسْوَدَّ يَوْمِيَ الأَبْيَضُ، وَابْيَضَّ فَوْدِيَ الأَسْوَدُ، حَتَّى رَثَى لِي الْعَدُوُّ الأَزْرَقُ؛ فَيَا حَبَّذَا الموتُ الأَحْمَرُ)**.

ففي قوله: **(ازْوَرَّ المحبوب الأصفر)** تورية بالذهب.

ما يلحق بالطباق: يلحق بالطباق أمران:

أولهما: أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان في ذاتهما، ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما؛ نحو قول الله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وذلك لأن الشدة لا تقابل الرحمة؛ وإنما تقابل اللين الذي هو سبب في الرحمة.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] وذلك لأن السكون لا يقابل ابتغاء الفضل، وإنما يقابل الحركة اللازمة لابتغاء الفضل، وقد عدل عن لفظ الحركة لأن الحركة نوعان: حركة لمصلحة، وحركة لمفسدة، وقد قصدت الحركة الأولى ولم تقصد الثانية.

ومن فاسد هذا النوع قول أبي الطيب:

لِمَنْ تُطْلَبُ الدنيا إذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ؟

وذلك لأن ضد المحب: هو المبغض؛ ولكن المجرم قد لا يكون مُبْغضًا.

وثانيهما: ما يسمى: **إيهام التضاد**، وهو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين ولكن عبر عنهما بلفظين متقابلين في معنييهما الحقيقيين، وذلك كقول دعبل الخزاعي:

لا تَعْجَبِي -يَا سَلْمُ- مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى!

استعار الضحك للمشيب برأسه استعارةً تبعيةً؛ لظهوره التام برأسه؛ لأن كلا منهما يشبه الآخر في اللون، وقد طابق بين (ضَحِكَ) و(بكى) والضحك -في البيت- لا يضاد البكاء؛ لأن الضحك في البيت معناه: ظهور الشيب، ولكن المعنيين الحقيقيين متضادان.

وقول أبي تمام في الشيب:

لَهُ منظر في العين أبيض نَاصِعٌ ... وَلَكِنَّهُ في القَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

الأبيض الناصع هو: الشديد البياض؛ والأسود الأسفع هو: الأسود إلى حمرة. وقد استعار (الأسود الأسفع) لما يحدثه منظره في نفسه من الهم والحزن فمعناه الحقيقي هو الذي يقابل ما قبله لا المجازي. وقوله -أيضًا-:

وَتَنَظَّرِي خَبَبَ الركَابِ يَنُصُّهَا ... مُحيِي القَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ المَالِ

فمحيي القريض: كناية عن نفسه، ومميت المال كناية عن الممدوح.

والشاهد في البيت هو أن المراد من (المحيي) والمراد من (المميت) في البيت غير متضادين ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان.

الفرق بين إيهام التضاد والتدبيج: هو أن إيهام التضاد يكون بطريق المجاز، أما التدبيج فإنه يكون بطريق الكناية أو التورية.

***

المقابلة

وهى نوع من الطباق؛ وهى: أن يجمع بين معنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب.

فمثال مقابلة اثنين باثنين قول الله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾ [التوبة: ٨٢] وقول النبى -ﷺ-: «**إنَّ الرفق لا يَكُونُ فى شىءٍ إلا زَانَهُ، ولاَ يُنْزَعُ مِنْ شىءٍ إلا شانَهُ**» وقول النابغة الذبيانى:

فَتىً فيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... عَلَى أنَّ فيهِ مَا يَسُوءُ الأعَادِيَا

والمقابلة هنا بين: (**يسر صديقه**) و(**يَسُوءُ الأعاديا**).

وقول الشاعر:

فَوَاعَجَبَا كَيفَ اتَّفَقْنَا؟ فَنَاصِحٌ ... وَفِىٌّ وَمَطْوِىٌّ عَلَى الغِلِّ غَادِرُ!

والمقابلة هنا بين (**نَاصِح وَفِىٌّ**) وبين (**مَطوِىٌّ عَلَى الغِل غادِر**).

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة: قول أبى دلامة:

مَا أحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إذَا اجْتَمَعَا ... وَأقْبَحَ الكُفْرَ وَالإفلاَسَ بالرَّجُلِ!

والمقابلة هنا بين (**أَحْسَنَ**) و(**أَقْبَحَ**) وبين (**الدين**) و(**الكفر**) وبين (**الدنيا**) و(**الإفلاس**).

وقول أبى الطيب المتنبى:

فَلاَ الجُودُ يُفْنِى المال والجَدُّ مُقْبلٌ ... ولا البُخْلُ يُبْقِى المَالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

والجَدُّ هو الحظ؛ وقد قابل هنا بين (**الجُود**) و(**البخل**) وبين (**يُفْنِى**) و(**يُبْقِى**) وبين (**مُقْبِل**) و(**مُدْبِر**).

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠] فقد قابل هنا بين كل من ﴿أعطى﴾ و﴿بخل﴾، و﴿اتقى﴾ و ﴿استغنى﴾ لأن معنى استغنى: زهد فيما عند الله فلم يتق به، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق، وبين ﴿صدق﴾ و﴿كذب﴾ وبين ﴿اليسرى﴾ و﴿العسرى﴾.

ومثال مقابلة خمسة بخمسة: قول أبى الطيب المتنبى:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيلِ يَشْفَعُ لِى ... وَأَنثنى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِى

فقد قابل بين (أزورهم) و(أنثنى) وبين (سواد) و (بياض) وبين (الليل) و(الصبح) وبين (يشفع) و(ويغرى) وبين (لى) و(بى).

وقد رجحوا بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة بكثرة المقابلة فيه مع سهولة النظم، وأن قافية أبى الطيب متمكنة بينما قافية أبى دلامة مجلوبة لأجل الوزن والقافية؛ غير أنهم قالوا: إنَّ المقابلة فى بيت أبى دلامة أجود منها فى بيت أبى الطيب؛ لأن ضد الليل هو النهار وليس الصبح.

ومن مقابلة ستة بستة قول عنترة:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يزِينهُ ... وَفِى رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذل يَشِينُهُ

فقد قابل بين (عَلَى) و(فى) وبين (رَأْس) و(رِجْل) وبين (عبْد) و (حر) وبين (تاج) و(قيد) وبين (عز) و(ذل) وبين (يزينه) و(يشينُهُ).

***

التَّوْرِيَةُ

التورية هى: (أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويُراد به البعيد منهما). وهى نوعان: مجردة، ومرشحة.

أما المجردة: فهى التى لا تجامع شيئًا مما يلائم المورى به، كما فى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فالتورية هنا فى قوله: ﴿استوى﴾ وله معنيان: قريب وهو: استقر، وليس مرادًا، وبعيد؛ وهو: استولى؛ وهو المراد؛ بدلالة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى؛ وهذه الاستحالة هى القرينة التى صرفت اللفظ عن المعنى القريب إلى المعنى البعيد.

والتورية هنا: مجردة؛ لأنها لم تقترن بما يلائم المعنى القريب؛ وقيل: إن التورية هنا مرشحة؛ لأن قوله تعالى: ﴿على العرش﴾ يلائم المعنى القريب.

وأما المرشحة: فهى التى قرن بها ما يلائم المعنى المورى به؛ أى المعنى القريب والترشيح إما أن يكون قبل التورية؛ وإما أن يكون بعدها.

فمثال ما كان الترشيح فيها قبلها قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] فالتورية هنا فى قوله تعالى: ﴿بأيد﴾؛ لأن اللفظ هنا له معنيان: قريب وهو جمع يد، وهى الجارحة ولكنه ليس مرادًا؛ لاستحالة ذلك على الله تعالى، وبعيد وهو القوة وهو المراد، والاستحالة قرينة صارفة للفظ عن المعنى القريب إلى المعنى البعيد.

أما الترشيح هنا فقد جاء قبل التورية، وهو قوله تعالى: ﴿بنيناها﴾، ومنه قول يحيى بن منصور الحنفى:

فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا العَشِيرَةُ كُلُّهَا ... أَنَخْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمَتْنَا عِندَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... وَلاَ نَحْنُ أَغْضَيْنَا الجُفُونَ عَلَى وِتْرِ

قوله: أنخنا كناية عن إقامتهم بدارهم واكتفائهم بأنفسهم، والكريهة هى: الحرب، والوتر: هو: الثأر.

والتورية هنا فى قوله (**الجفون**) لأن هذا اللفظ له معنيان: قريب وهو: أجفان العيون، وليس مرادًا وبعيد وهو أجفان السيوف؛ والترشيح هنا فى قوله: (**أغضينا**) لأنه مما يلائم المعنى المورى به وهو: العين؛ وقد جاء قبل التورية؛ والقرينة هنا حالية، وهى: أنه يتحدث عن الحرب التى تستخدم فيها السيوف، وهذه القرينة هى التى صرفت اللفظ عن معناه القريب إلى معناه البعيد.

أَمَّا مَا كان الترشيح فيها بعدها فمثاله قول القاضى الإمام أبى الفضل عياض فى صيفية باردة:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدى مِنْ مَلاَبِسِهِ ... لِشَهْر تَمُّوزَ أَنْوَاعًا مِنَ الْحُلَلِ

أَوْ الْغَزَالَةُ مِنْ طول الْمَدَى خَرِفَتْ ... فما تُفَرقُ بَيْنَ الجدى والحمَل

التورية هنا فى قوله: (**الغَزَالةُ**) لأن هذا اللفظ له معنيان: قريب وهو: الظبية؛ وليس مُرَادًا، بقرينة الحديث عن بروج الشمس؛ وبعيد وهو: الشمس، وهو المراد.

والترشيح هنا فى قوله: (**خرفت**) وقد جاء بعد التورية -كما ترى- وقد تقترن التورية بما يلائم المعنى البعيد؛ أو بما يلائم المعنيين معًا، ولكنها تكون مجردة.

فمثال ما يلائم المعنى البعيد قول عماد الدين:

أرَى الْعِقْدَ فى شَعْرِهِ مُحْكَمًا ... يُرِينًا الصحَاحَ من الْجَوْهَرِ

فالتورية هنا فى (**الصحاح**) لأن معناها القريب هو: كتاب الجوهرى فى اللغة وليس هذا المعنى مرادًا، ومعناها البعيد: أسنان محبوبه؛ وقد قرنت هذه التورية بما يلائم المعنى البعيد وهو قوله: (**فى شعره**)، ومثال ما يلائم المعنيين جميعًا قول الشاعر:

وَمُولَعٍ بِفِخَاخٍ ... يَمُدُّهَا وَشِبَاكِ

قَالَتْ لِيَ الْعَيْنُ: ماذا ... يَصِيدُ؟ قُلْتُ: كَرَاكِ!

فالتورية هنا فى قوله: (**كراكى**) لأن معناها القريب أنها جمع كركى؛ وهو طائر رمادى اللون يأوى إلى الماء، ومعناها البعيد: نوم العين وهو المراد؛ وقوله: (**يصيد**) يلائم المعنى القريب؛ وقوله: (**العين**) يلائم المعنى البعيد.

والتورية ضربان:

(١) ضرب يستحكم حتى يصير اعتقادًا، فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب إلا بتأمل وطول نظر، كما فى قول الشاعر:

حَمَلْنَاهُمُ طُرًّا على الدُّهْم بَعْدَمَا ... خَلَعْنَا عَلَيهِمْ بالطِّعَانِ ملاَبِسا

والتورية هنا فى قوله: **(الدهم)** ومعناها القريب: الفرس الأسود. ومعناها البعيد: القيد من الحديد، وهو المراد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملابس؛ إذْ لا يصح بعد هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس.

(٢) والضرب الثانى لا يبلغ ذلك المبلغ؛ ولكنه شىء يجرى فى الخاطر وأنت تعرف حاله فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر، وذلك كما فى قول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع:

لَوْلاَ التَّطَيُّرُ بالخِلاَفِ وَأَنهُمْ ... قَالُوا: مَرِيضٌ لاَ يَزُورُ مَرِيضا

لَقَضَيْتُ نَحْبِى فى فنائك خدمةً ... لأكون مندوبًا قَضَى مفروضا

والخلاف هو: مخالفة العُرف والعادة؛ والنحب هو: الأجل، والمندوب اسم مفعول من الندب، والتورية هنا فى قوله: **(مَنْدُوبا)** لأن هذا اللفظ له معنيان: قريب، وهو **(المسنون)** من السُّنَّة، وليس مرادًا؛ وبعيد وهو **(المَرْثى)** وهو المراد هنا؛ لأن المعنى: لأكون ميتا مرثيا قضى مفروضًا عليه وهو الموت حزنًا على ذلك المريض.

والشاهد هنا فى أن عدم إرادة المعنى القريب واضح لا يحتاج إلى تأمل.

****

المُبالَغَةُ

هى: **(أن يدعى لوصف بلوغه -فى الشدة أو الضعف- حداً مستحيلاً أو مستبعدًا)** وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التبليغ: وهو: أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً ممكنا عقلاً وعادة؛ كقول امرىء القيس:

فَـعَادَى عَـداءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَـعْجَـةٍ دِراَكًـا فَـلَمْ يَنْضَحْ بِمَـاء فَـيُـغْـسَلِ

فقد وصف الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرةً وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق، وهذا وصف ممكن عقلاً وعادة.

وقول أبى الطيب المتنبى:

وأَصْـرَعُ أَيَّ الوحش قَـفَّـيْـتُـهُ بِهِ وأَنْـزِلِ عَنْـهُ مِـثْلَـهُ حِينَ أركب

المعنى: أنه يصرع بفرسه بقر الوحش، ثـم ينزل عنه وهو فى نشاطه حين ركبه وهذا وصف ممكن عقلاً وعادة.

القسم الثانى: الإغراق: وهو **(أن يدعى لوصف بلوغـه فى الشدة أو الضـعف حَدّاً ممكنا عقلاً، ولكنه مستحيل عادة)**.

وذلك كقول عمير بن الأيهم التغلبى:

ونُكْرِمُ جَـارَنَـا مَـادَامَ فِـينا ونُتْـبِـعُـهُ الكرامَـةَ حَـيثُ مَـالاَ

فقد ادعى الشاعر أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة؛ وهذا وصف ممكن عقلاً ولكنه مستحيل عادة.

وقول أبى الطيب المتنبى:

كَـفى بِـجِسْمِي نُحُـولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلاَ مُـخَـاطبـتى إِيَّاكَ لَـمْ تَرَنِي!

فقد ادعى أبو الطيب أنه بلـغ من الضعف والنحول إلى درجة لا يستطيع مـعها أحد أن يستدل عليه إلا بالكلام. وهذا وصف ممكن عقلاً ولكنه مستحيل عادة.

والقسم الثالث: الغلو: وهو: (أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حَدّاً مستحيلاً عقلاً وعادةً) ومثاله قول أبى نواس:

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشركِ حَتَّى إِنَّهُ ... لَتَخَافُكَ النطَفُ الَّتى لَمْ تُخْلَقِ!

فقد ادعى أبو نواس أن ممدوحه قد أخاف أهل الشرك قاطبة حتى إنه قد أخاف من لم يخلق منهم؛ وهذا وصف مستحيل عقلاً وعادة، ولهذا فإنه غير مقبول.

وإنما يقبل الغلو فى حالات ثلاث:

الأولى: أن يدخل عليه ما يقربه إلى الصحة نحو لفظ **(يكاد)**، كما فى قول الله تعالى: ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ [النور: ٣٥] فإضاءة الزيت من غير أن تمسه النار أمر مستحيل عقلاً وعادة؛ ولكن الذى قربه من الإمكان لفظة (يكاد) ومن هنا كان الغلو فى الآية الكريمة مقبولاً.

وكقول ابن حمديس الصقلى، يصف فرسًا:

وَيَكَادُ يخرجُ سُرْعَةً من ظِلِّه ... لو كانَ يَرْغَبُ فى فِرَاقِ رَفِيقِ

فخروج الفرس عن ظله من شدة السرعة وصف مستحيل عقلاً وعادة؛ ولكن الذى قربه إلى الصحة هو قوله **(يكاد)** ولهذا كان الغلو هنا مقبولاً.

ومما يقرب الغلو إلى الصحة: لفظ **(لو)** و**(لولا)** وحرف التشبيه و**(يخيل)** وما أشبهها.

والثانية: أن يتضمن الغلو نوعًا حسنًا من التخييل؛ كما فى قول أبى الطيب المتنبى:

أَقْبَلْتَ تَبْسُمُ والجيادُ عوابسٌ ... يَخْبُبْنَ بالحَلَقِ المضاعفِ والقنا

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عثيراً ... لو تبتغى عَنَقًا عليه لأمكنا!

يقول: إنك أقبلت وجيادك عوابس لكثرة ما عليها من حديد الدروع والقنا وقد بلغت سرعتها أن سنابكها أثارت غبارًا انعقد فوقها وأصبح كالأرض؛ حتى إنها لو

أرادت أن تسير عليه لأمكنها ذلك، وهذه مبالغة مقبولة؛ لأن الذى سوغها ما فيها من تخييل حَسَن وهو: ادعاؤه كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء.

وقد جمع القاضى الأرجانى بين التخييل الحسن ووجود ما يقرب إلى الصحة فى قوله -يصف الليل بالطول-:

يُخَيَّلُ لِى أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ بالدُّجى ... وشُدَّتْ بأهدابى إلَيْهِنَّ أجْفَانِى

فقد ادعى الشاعر هنا أن طول الليل وصل إلى حالة أن الشهب أحكمت فى ظلماته بالمسامير، وأن أهداب عينيه قد شدت إلى النجوم بحبال؛ وهذا وصف غير ممكن عقلاً وعادةً، ولكن الذى قربه من الإمكان هو هذا التخييل الحسن الناشئ عن ادعاء أن هناك حبالاً ومسامير كانت سببًا فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها؛ مع دخول ما يقرب إلى الصحة وهو (يخيل) ولهذا كان الغلو هنا مقبولاً.

والثالثة: أن يخرج الغلو مخرج الهزل والخلاعة؛ لأن صاحبهما لا يعد موصوفًا بنقيصة الكذب كما يعد فى الجد.

وذلك مثل قول الشاعر:

أَسُرُّ بالكَرْمِ إنْ عَبَرْتُ به ... تأْخُذُنِى نَشْوَةٌ منَ الطَّرَبِ

أَسْكَرُ بالأمسِ إن عَزَمْتُ على الشر ... ب غَدًا إنَّ ذَا من العَجَبِ!

فقد ادعى الشاعر أنه يسكر بالأمس إن عزم على الشرب غَدًا؛ وهذا أمر غير ممكن عَقْلاً وعادةً؛ لما فيه من تقدم المعلول على علته، غير أن إخراجه مخرج الهزل والخلاعة هو الذى جعل الغلو هنا مقبولاً.

آراء العلماء فى المبالغة

للعلماء -فى المبالغة- آراء ثلاثة:

الرأى الأول: أن المبالغة مقبولة مطلقًا سواء أكانت تبليغًا أو إغراقًا أو غُلُوًا لأنها واردة فى كلام الله تعالى، وكلام رسول -ﷺ- وفصيح كلام العرب.

وهذا من شأنه أن يتيح الفرصة أمام الكتاب والشعراء -لا تساع مجال القول- أن يبدعوا، ويكثروا من اختراع الصور البيانية.

الرأى الثانى: أن المبالغة مـردودة مطلقًا؛ لأن فى الحقائق متسـعًا لمن يريد القول ولأن أعذب الشعـر -فى رأيهم- أصدقه، كما يقـول حسان بن ثابت -رضى الله عنه-:

وَإنَّمَـا الشّـعْـرُ لُـبُّ الْمَـرْءِ يَعْـرِضُـهُ ... عَلَى الْمَجَـالِس إنْ كَيْـسًا وَإنْ حُمُـقا
وَإنَّ أشْــعَـــرَ بَيْـتٍ أَنْتَ قَــائِـلُهُ ... بيتٌ يُقَـالُ -إذَا أنْشَـدْتَهُ-: صَـدَقَـا!

والرأى الثالث: أن المبالغة: إن كانـت تبليغًا أو إغراقًا فهى مـقبولة؛ وإن كانت غُلُواً فإن جاءت بلفظ يقربها من الصحة والإمكان بأن جاءت متضمنة تخييلاً حَسَنًا أو جاءت فى معرض الهزل والخلاعة فهى مقـبولة -أيضًا- وإن لم تتضمن شيئًا مما ذكر فهى مردودة.

****

حُسْنُ التَّعْلِيلِ

هو: (أَنْ يُدَّعَى لوصف علةٌ مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى لا يدركه إلا مَنْ لَهُ بَصَرٌ بالتعرف على لطائف المعانى، ودقائقها).

وإنما كان حسنًا: لأنه يظهر ما ليس واقعًا متخيلاً كَأَنَّهُ الواقع الحقيقى.

وقد قسموا حسن التعليل إلى أربعة أقسام:

١- حسن التعليل للوصف الثابت الذى لا تظهر له علة فى العادة. ومثاله قول أبى الطيب المتنبى:

لَمْ تحْكِ نائلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا ... حُمَّتْ به فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

يقول: إن السحاب لم تشابه عطاءك بغزارة مطرها، وإنما أصابتها الحمى؛ لأنها لم تجارِ عطاءك فى غزارته؛ فما الصَّيِّبُ المتدفق منها إلا عرق الحمى التى أصابتها.

فنزول المطر لا يظهر له -فى العادة علة- وإن كانت له علة حقيقية، ولكن الناس لا ينظرون إليها.

وكقول أبى تمام:

لاَ تُنْكِرى عَطَلَ الكَرِيم من الغِنى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكَانِ العَالى

فقد علل أبو تمام عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل للمكان العالى؛ لأن الكريم لعلو قدره كالمكان العالى أو كالطود الأشم، والغنى -لحاجة الناس إليه- كالسيل.

٢- حسن التعليل للوصف الثابت الذى تظهر له -فى العادة- صفة غير المذكورة، ومثاله قول أبى الطيب المتنبى -فى مدح بدر بن عمار:

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ ولَكِنْ ... يَتَّقِى إِخْلاَفَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

يعنى أن ممدوحه لا يقتل أعداءه خَوْفًا منهم لأنهم عاجزون عنه، وإنما يقتلهم لأنه يخاف أن يخلف ما ترجوه الذئاب منه من أنهم يطعمون من قتلاه فى الحرب.

فقتل الملوك أعداءهم -عادةً- إنما يكون لإرادة هلاكهم؛ لدفع مضارهم عن أنفسهم حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم؛ وليس لما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه؛ ومحبته أن يصدق رجاء الراجين.

وقول أبى طالب المأمونى -فى بعض الوزراء ببخارى-:

مُغْرَمٌ بالثناء صبٌّ بِكسْبِ المجـ ـد يَهْتَزُّ للسَّمَاح ارْتِيَاحا
لاَ يَذُوقُ الإغفَاءَ إلاَّ رجاءً أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَميح رَوَاحا

يقول: إنَّ ممدوحه لولوعه الشديد باكتساب المحامد التى تورث الإنسان مجدًا لاَ يَنَامُ إلا رغبةً منه فى رؤية طيف لطالب نَوَاله فى وَقْتِ الْعَشّى.

فقد علل الإغفاء برغبته فى رؤية طيفٍ لطالب نوالِهِ؛ مع أن للإغفاء علةً حقيقية غيرها.

٣- حُسْنُ التعليل للوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وكان مُمْكِنًا: ومثاله قول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِيًا حَسُنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِى مِنْ الْغَرَقِ

الواشى: هو الساعى، وإنسانى: يعنى به: إنسان عينه وهو سوادها، فقد استحسن إساءة الواشى وذلك أمر مخالف خالف فيه الناس؛ ولهذا فإنه قد عقبه بتعليل هذا الاستحسان؛ بأن حذره من الواشى منعه من البكاء فسلم إنسان عينيه من الغرق؛ وما كان كذلك فهو حسن.

فاستحسان إساءة الواشى لم يقل به أَحَدٌ، ولكنه ممكن.

وقول الطغرائى:

عِدَاىَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ فَلاَ أَبْعَدَ الرحْمَنُ عنِّى الأَعَادِيَا
هُمُ بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِى فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِى فَا جتَنَيْتُ الْمَعَالِيَا

فثبوت الفضل والمنة للأعداء أمر ممكن؛ ولكن الناس لا يعترفون بذلك ولكن الشاعر لما خالف الناس فى هذا بحث عن علتين طريفتين سوغ بهما هذه المخالفة وقربها من العقل.

٤- **حُسْنُ التعليل للوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وكان غير ممكن**، ومثاله قول عبد القاهر الجرجانى فى معنى بيت فارسى:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوزاءِ خِدْمَتَهُ ... لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ثابتة، وممتنعة؛ لأن النية إنما تكون ممن يعقل؛ ولكنه ادعى ثبوتها بأنها منتطقة؛ أى: قد شدت النطاق فى وسطها شأن الخدم عادة.

ما يلحق بحسن التعليل:

إذا كانت العلة التى يوردها الشاعر أو الأديب مبنيةً على الشك لا على الإدعاء والإصرار لم تكن العلة من حُسْنِ التعليل؛ وإنما تكون ملحقةً به، مثال ذلك قول أبى تمام:

ربا شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لرياضِهَا ... إِلَى المُزْنِ حتى جَادَهَا وَهْوَ هَامِعُ

كَأَنَّ السَّحَابَ الغُر غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيبًا فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ!

يقول أبو تمام: إنَّ ريح الصبا قد شَفَعَتْ لرياض الرُّبا عند السحاب؛ فأمطرت السحاب الرياض -بسبب هذه الشفاعة- أَمْطَارًا غزيرة حتى كأن السحاب قد غيبت حبيبًا تحت ثرى هذه الرياض، ولهذا فإنها ما تنفك تبكيه، ولاَ ينقطع لها دمع عليه.

فقد علل الشاعر إمطار السحاب بما ذكر، ولكنه قد بنى هذا التعليل على الشك بلفظة (كأن) لأنها تفيد الشك، ولهذا لم يكن من حسن التعليل وإنما هو ملحق به.

تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو: **(أَنْ يُبَالِغَ المتكلم فى المدح، فيعمد إلى الإتيان بعبارة يَتَوَهَّمُ السامع منها فى بادىء الأمر أنه ذم، فإذا هو مدح مؤكد)**.

وهو على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول:

وهو أفضلها **(أن يُسْتَثْنَى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فيها)** وذلك كقول النابغة الذبيانى:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراع الكتائب

يقول: إنهم سلموا من العيوب غير أن سيوفهم قد تثلمت من مقارعة الأبطال فى ميادين النزال؛ ولكن تثلم السيوف فى مثل هذه المواطن مما يفتخر به؛ وبهذا يكون قد أتى بدليل ظاهر على شجاعتهم؛ فأكد مدحهم؛ ونفى ما كان السامع يترقبه بعد ذكر كلمة (غير) من أنه سيذكر صفة ذم.

وسر بلاغة هذا الضرب من وجوه ثلاثة:

أولها: أنه كدعوى الشيء ببينة؛ فكأن النابغة قد استدل على سلامتهم من العيوب بأن ثبوت العيب فيهم معلق بكون فلول السيوف من مقارعة الأبطال فى ميادين النزال عيبًا، وهو محال، والمعلق على المحال محال، فيكون عدم العيب محققًا.

وثانيها: أن الأصل فى الاستثناء الاتصال، وذكر أداة الاستثناء قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها، وأنه إثبات عيب؛ فإذا جاء المدح بعدها تأكد المدح لأنه إثبات مدح بعد مدح.

وثالثها: أن هذا الخداع اللفظى الذى يأتى به الأديب أو الشاعر من إيهام الذم بذكره أداة الاستثناء، وتلك الخلابة التى يبعثها فى أسلوبه بذلك الإيهام مما ينبه السامع إلى الاهتمام بما يقوله، وينشط ذهنه لاستقبال المعانى التى يضمنها مدحه.

ومن هذا الضرب قول الله تعالى -فى السابقين من أهل الجنة-: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا**﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] وقوله تعالى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: ٦٢] فكلمة السلام التى جاءت بعد (إلا) فى الآيتين ليست من اللغو والتأثيم، وإنما هى ألفاظ تحية ورحمة.

والضرب الثانى: هو (**أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقبها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى**).

مثاله قول النبى -ﷺ-: «**أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بَيْدَ أَنِّى من قُرَيشٍ**» بيد: كغير لفظًا ومعنًى؛ وهى أداة استثناء.

لَمَّا أثبت النبى -ﷺ- لنفسه، أَنَّهُ أَفْصَحُ العرب، أَشْعَرَ بهذا أنَّ هذه الصفة قد كملت فيه؛ فلما عقب هذه الصفة بأداة استثناء -وهى (بيد)- أوهم هذا الصنيع أنه سيخرج شيئًا مما قبل الاستثناء؛ فلما لم يجد إلا صفة مدح أخرى مماثلة للتى أثبتها وهى أنه من قريش -وقريش أفصح العرب- أثبتها هى الأخرى فجاءت مَدْحًا بعد مدح، فتأكد المدح الأول.

ووجه بلاغة هذا الضرب يرجع إلى الوجهين الأخيرين من ثلاثة الوجوه التى أسلفناها للضرب الأول وهذان الوجهان هما ما يلى:

الأول: أن الأصل فى الاستثناء الاتصال، وذكر أداة الاستثناء قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شىء مما قبلها، وأنه إثبات عيب، فإذا جاء المدح بعدها تأكد المدح الأول لأنه إثبات مدح بعد مدح.

الثانى: أن هذا الخداع اللفظى الذى يأتى به الشاعر أو الأديب من إيهام الذم بذكره أداة الاستثناء، وتلك الخلابة التى يبعثها فى أسلوبه بذلك الإيهام مما ينبه السامع إلى الاهتمام بما يقوله، وينشط ذهنه لاستقبال المعانى التى يضمنها مدحه. ولم يتضمن هذا الضرب الوجه الأول الذى أثبتناه للضرب الأول - وهو أنه كدعوى الشىء ببينة- ولهذا كان الضرب الأول أفضل من الثانى، وأبلغ منه.

والضرب الثالث: هو **(أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح، معمول الفعل فيه معنى الذم، فيتفرغ للعمل فيه، ويكون الاستثناء مفرغًا)** كما فى قول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**﴾ [الأعراف: ١٢٦] وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**﴾ [المائدة: ٥٩]؛ أى ما تعيبون إلا أَصْلَ المناقب والمفاخر كلها؛ وهو الإيمان بآيات الله فالاستفهام فى الآية للإنكار.

تأكيد الذمِّ بما يشبه المدح

وهو: أن يبَالِغَ المتكلم فى ذمه؛ فيعمد إلى الإتيان بعبارة يتوهم منها السامع فى بادىء الأمر أنه مدحٌ، فإذا هو ذم مؤكد.

وهو نوعان:

أولهما: (أن يُستثنَى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم بتقدير دخولها فيها) كقولك: **(فُلانٌ لاَ خَيْرَ فيه إلاَّ أنه يُسيءُ إلَى مَنْ يُحْسِنُ إلَيه)** فقد نَفَيْتَ الخير من فلان، وهذه صفة ذم، ثم استثنيت بعد هذا النفى صفة ذم أخرى وهى أنه يسىء إلى من يُحْسِنُ إليه؛ فجاء ذَمّاً بعد ذَمٍّ؛ فتأكد الذم الأول.

ولهذا فإنه يجرى فيه ما يجرى فى الضرب الأول من أنه كدعوى الشىء ببينة وأنه ذم على ذم وأن به خداعًا لفظيًا ينبه السامع وينشط ذهنه لاستقبال ما يذم به.

وثانيهما: (أن يثبت للشىء صفة ذم، ويعقبها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى؛ كقولك: (فُلانٌ فَاسِقٌ إلا أنَّهُ جَاهِلٌ).

ويجرى فيه ما يجرى فى نظيره من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

****

تمرينات
على المحسنات المعنوية

(١)

حدد موضع الطباق فى كل مثال من الأمثلة التالية مبينًا نوعه:

١- قال الله تعـالى: ﴿ولكن أكثـر الناس لا يعلمـون يعلمون ظاهـرًا من الحيـاة الدنيا﴾.

٢- وقال الحماسى:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِى الحياة فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسى حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

٣- وقال المقنع الكندى:

لَهُمْ جُلُّ مَالِى إنْ تَتَابَعَ لِى غِنًى ... وإنْ قَلَّ مَالِى لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدا

٤- وقال الفرزدق:

قَبَحَ الإلَهُ بَنِى كُلَيْبٍ إنَّهُمْ ... لاَ يَغْدِرونَ ولا يَفُونَ لجَارِ

٥- قال أبو صخر الهذلى:

أَمَا وَالَّذِى أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِى ... أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِى أَمْرُهُ الأَمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْنِى أَحْسُدُ الوحش أَنْ أَرَى ... خَلِيلَيْنِ منها لاَ يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ

٦- قال السَّموأل بن عادياء:

سَلِى إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عنا وعَنْهُمُ ... فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

(٢)

حدد مواطن المقابلة فى ما يلى:

١- قال الشريف الرضى:

وَمَنْظَرٍ كَانَ بالسَّرَّاءِ يُضْحِكُنِى ... يَا قُرْبَ مَا عَادَ بالضَّرَّاءِ يُبْكِينى

٢- وقال أبو تمام:

يَا أمةً كَانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا ... دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيهَا

٣- وقال أبو العلاء:

يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيعَادِهِ ... وَمُخْلِفَ المَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ

٤- وقال أبو تمام:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بالبَلْوى وإنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

٥- قال الله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

(٣)

بين حُسْنَ التعليل فى كل مما يأتى:

١- أَبْدَى صَنِيعُكَ تَقْصِيرَ الزَّمَانِ ففى ... وَقْتِ الربيعِ طُلُوعُ الوَرْدِ مِنْ خَجَلِ

٢- قال ابن نباتة:

لَمْ يَزَلْ جُودُهُ يَجُورُ عَلَى المَالِ ... إِلَى أَنْ كَسَا النُّضَارَ اصْفِرَارَا

٣- قال الشاعر -فى وصف فَرَسٍ أَدْهَم ذى غرة-:

وَأَدْهَمَ كَالغُرَابِ سَوَادَ لَوْنٍ ... يَطِيرُ مَعَ الرِّيَاحِ ولاَ جَنَاحُ

كَسَاهُ اللَّيْلُ شَمْلَتَهُ وَوَلَّى ... فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الصَّبَاحُ

٤- لاَ يَطْلُعُ البَدْرُ إلاَّ مِنْ تَشَوُّقِهِ ... إِلَيْكَ حَتَى يوافى وَجْهَكَ النَّضِرَا

٥- سَبَقَتْ إِلَيْكَ من الحَدائقِ وَرْدَةٌ ... وَأَتَتْكَ قَبْلَ أوانها تطفيلا

طَمعَتْ بِلَثْمِكَ إذ رَأَتْكَ فَجَمَّعَتْ ... فَمَهَا إِلَيْكَ كطَالِبٍ تَقْبِيلا

(٤)

وضح فيما يأتى تأكيد المدح بما يشبه الذم، وبين نوعه:

١- وَلاَ عَيْبَ فيكُمْ غَيْرَ أَنَّ ضيوفكمْ ... تُعَابُ بِنِسْيَانِ الأَحِبَّةِ وَالوَطَنْ

٢- لا عَيْبَ فِيَّ غيـر أَنَّى مِنْ دِيَارِكُمُ   وَزَامِـرُ الْـحَيِّ لَمْ تُطْرَبْ مَـزَامِـرُهُ
٣- تُعَـدُّ ذُنُوبِـى عِنْدَ قَـوْمٍ كـثـيـرةً   ولا ذَنْبَ لِى إِلاَّ الْعُـلاَ والفَضَـائِلُ
٤- فَتًى كَمُلَتْ أَخْـلاقُـهُ غَيْـرَ أَنَّهُ   جَـوَادٌ فـمـا يُبْقِى مـن الْمَـالِ بَاقِـيا
٥- ولاَ عَـيْبَ فِى مَعْرُوفِـهِمْ غيـر أَنَّهُ   يُبَـيِّنُ عَـجْـزَ الشـاكِرِيـنَ عَنِ الشُّكْرِ

****

مَوَاضِعُ التَّأنق فِى الكَلاَم

وقف نقاد العرب طويلاً عند مطلع القصيدة، وعند الانتقال من فاتحتها إلى الغرض منها، ثم عند خاتمتها، ولهذا قالوا: إنه ينبغى للشاعر أو الأديب أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظًا، وأَحْسن سَبْكًا، وأصح معنًى.

الموضع الأول:

الابتداء، ويسمونه: (حسن الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع، فإن أحسن الشاعر أو الأديب ابتداء كلامه، أقبل السامع على كلامه وأحسن الإصغاء إليه نوعًا؛ وإن كان غير ذلك أعرض عنه ولم يلتفت إليه وإن كان فى غاية الحسن.

وضربوا لحسن الابتداء أمثلة كثيرة من المطالع الجيدة، فمنها:

كلينى لِهَمٍّ -يا أميمةُ- نَاصِبِ وَلَيْلٍ أقاسيه بَطِىءِ الكواكب

وقالوا: إنه أحسنُ ابتداءات الجاهلية؛ وذلك لأنه دلَّ من أول الأمر على حال الشاعر عندما غضب عليه النعمان وتوعده، وصور ما يعتلج فى قلبه من هَمٍّ أعياه؛ وأَقَضَّ مضجعه، وحرمه النوم الهنىء؛ فألم به أرق جعل ليله طويلاً وكل ذلك وضع فى أسلوب بيِّن واضح، وارتباط قوى بين شطرى البيت وتناسُب فى القوة والجزالة، كما أنهم قالوا: إن أحسن مرثية جاهلية: ابتداء قول أوس بن حجر:

أيتها النَّفْسُ أجْمِلِى جَزَعَا إنَّ الَّذِى تَحْذَرِين قد وَقَعَا

ولعل حُسن هذا المطلع راجع إلى تعبيره عما كان يضمره الشاعر لهذا الذى يرثيه من حب وإعزاز، وما كان يخشى عليه من عدوان الموت، ونزول الحمام بساحته؛ أما وقد نزل المحذور فإن نفسه قد مضت فى الحزن إلى أبعد الغايات واستسلمت إلى البكاء والنحيب والجزع؛ وهو لذلك يطلب إليها أن تتحمل المصاب فى صبر، وألا تسترسل فى آلامها على الرغم من أن ما تحذره من المكروه قد نزل بساحتها وألمَّ بها.

وينبغي أن يتجنب الشاعر -في مديحه- كل ما يتطير منه حتى لا يتشاءم منه الممدوح أو بعض الحاضرين؛ وذلك كمطلع قصيدة أبي نواس؛ يهنئ بها بعض بني برمك بدار بذل في تجميلها كل ما يملك من الجهد؛ إذ بدأ بها أبو نواس بقوله:

أَرَبْعَ البِلى؛ إنَّ الخُشُوعَ لَبَادِى ... عَلَيْكَ وَإِنِّى لَمْ أَخُنْكَ وِدَادِى!

فتطير منها البرمكي واشمأزَّ حتى ظَهَرَ الوجوم عليه.

ومن هذا القبيل: ما يروى أن المعتصم بنى قصرًا فخمًا جَلَسَ فيه؛ وجمع الناس من أهله وأصحابه، وصعد إلى العرش فاستأذنه إسحق بن إبراهيم الموصلي في النشيد، فأذن له، فأنشده شعرًا بالغ الجودة في وصفه ووصف المجلس إلا أن أوله تشبيبٌ بالديار القديمة وبقية آثارها، فكان أول بيت منها:

يَا دَارُ غَيَّرَكِ البِلى وَمَحَاكِ ... يَا لَيْتَ شِعْرِى مَا الَّذِى أبلاكِ؟!

فتطير المعتصم فيها. واعترض عبد الملك بن مروان على جرير عندما بدأ ينشده قصيدته فقال:

أتَصْحُو أمْ فُؤَادُكَ غيرُ صَاحِ ... عشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بالرواحِ؟

فقال عبد الملك: (بَلْ فؤادك) كأنه استثقل هذه المواجهة، وإلا فهو يعلم أن الشاعر يخاطب نفسه. كما اعترض على ذى الرمة عندما دخل عليه فاستنشده شيئًا من شعره فأنشده قصيدته التي يقول في مطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ؟

وكانت عين عبد الملك تدمع دائمًا؛ فتوهم أنه خاطبه أو عَرَّض به فقال: وما سؤالك عن هذا؟ ومقته.

براعة الاستهلال: أَحْسَنُ الابتداءات هو ما ناسب الغرض الذى قصد إليه الشاعر بقصيدته والمعنى الذى تضمنته هذه القصيدة، ويسمى: **(براعة الاستهلال)** كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم قد زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِن الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ
بيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائف في متونهن جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وقول أبى محمد الخازن يهنئ ابن عباد بمولود لبنته:

بُشْرى، فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبالُ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ المَجْدِ فِى أُفُقِ العُلا صَعَدَا

ومن أَلْطَف البراعات: براعة مهيار الديلمى؛ فقد بلغه أنه وشى به إلى ممدوحه، فتنصل من ذلك بألطف عذر، وأبرزه فى معرض النسيب، فقال:

أَمَا وهواها حلفةً وتَنَصُّلا لَقَدْ نَقَل الوَاشِى إِلَيْهَا فأَمْحَلاَ!
سَعَى جُهْدَهُ لَكِن تَجَاوَزَ حَدَّهُ وكَثَّرَ فَارْتَابَتْ وَلَوْ شَاءَ قَلَّلا!

الموضع الثانى:

التخلص، ويقصدون به الانتقال من المعنى الذى ابتدئت به القصيدة كالنسيب ونحوه إلى الغرض المقصود منها؛ مع مراعاة الملاءمة بينهما ويسمونه (**حُسْنَ التخلص**) وذلك بأن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب -مثلاً- إلى المدح، أو غيره بلطف تحيل؛ مع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يَشْعُرُ السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع فى الثانى، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما قد أفرغا فى قالب واحد.

فمن حسن التخلص قول أبى تمام:

يقُولُ فى(قَوْمَس) قَوْمِى -وقد أَخَذَتْ مِنَّا السُّرى وَخُطَا المهرية القُود-:
أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أنْ يَؤُمَّ بنا؟ فَقُلْتُ: كَلاَّ وَلَكِنْ مَطْلَعَ الجُود!

وقول المتنبى -فى مدح سيف الدولة-:

خَلِيلَيَّ: إِنِّى لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمُ الدَّعْوى ومِنِّى القَصَائدُ
فَلاَ تَعْجَبَا إنَّ السُّيُوفَ كثيرةٌ ولَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ وَاحِدُ

والموضع الثالث:

الانتهاء؛ لأنه آخر ما يعيه السمع، ويرتسم فى النفس ويسمونه: (**حُسْنَ الانتهاء**) فإذا كان مختارًا جيدًا جبر ما قد يكون قد وقع فيه الشاعر من تقصير وإن

كان غير مختار ولا جيد لم يجبر شيئًا مما وقع فيه الشاعر، بل إنَّهُ ربما أنْسَى السامع مَحَاسِنَ القصيدة كلها.

وَمِنْ حُسْنِ الانتهاء قول أبى نواس:

فَبَقِيتَ للعِلمِ الَّذِى تَهْدِى لَهُ ... وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الأَيَّامُ

وقول أبى تَمَّام -فى خاتمة قصيدة فتح عمورية:

إنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدهرِ من رَحِمٍ ... مَوْصولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُقْتَضَبِ

فَبَيْنَ أيَّامِكَ الَّلاتى نُصِرْتَ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

أَبْقَتْ بَنِى الأَصْفَرِ الممرَاضِ كاسْمِهِمُ ... صُفْرَ الوجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ!

والبيت الأخير من حُسْنِ الختام؛ لأنه أفاد نهاية الفتح فآذن بانتهاء الكلام. وأحْسَنُ الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام، كأن يكون لفظًا موضوعًا للدلالة على الانتهاء عادةً أو عرفًا، كالدعاء والسلام، ويسمونه **(براعة المقطع)** كقول الشاعر:

بَقِيتَ بقاءَ الدهرِ يا كهفَ أهْلِهِ ... وهذا دعاءٌ للبرية شاملُ

وقول أبى الطيب -فى مدح سيف الدولة-:

فلا حَطَّتْ لك الهيجاء سَرْجًا ... وَلا ذاقَتْ لَكَ الدنيا فراقا

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحْسَنِ وجوه البلاغة وأكملها.

* * *

علم البيان

البيان فى اللغة: تدور مادة (البيان) فى اللغة حول: الكشف والإيضاح والفصاحة واللسن، يقال: فلان أبين من فلان، أى أفصح منه وأوضح كلامًا وبان الشىء يبين بيانًا: اتضح، فهو بين، وأبان الشىء، فهو مبين، وأبنته أنا أى: أوضحته.

وفى اصطلاح البلاغيين: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه.

وهم يريدون بالعلم: الملكة التى يقتدر بها على إدراكات جزئية، أو نفس القواعد والأصول المعلومة، ويريدون بالمعنى: كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم، كالكرم والشجاعة والإيمان فأل فى لفظ «المعنى» للاستغراق العرفى الحقيقى، لأن استحضار جميع المعانى «**وهى غير متناهية**» فوق مقدور البشر.

وقيدوا المعنى «**بالواحد**» ليحترزوا به عن المعانى المتعددة التى تؤدى بطرق متفاوتة فى وضوح الدلالة على معانيها، وذلك كأن يكون تركيب فى معناه أوضح دلالة من تركيب آخر فى معناه؛ كأن تعبر عن معنى «**الكرم**» بقولك: (**محمد كالبحر فى العطاء**) ثم تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: (**استمعت إلى أسد يخطب**).

فالتركيب الأول فى معناه وهو «**الكرم**» أوضح دلالة من الثانى فى معناه وهو «**الشجاعة**» وهذا ليس من علم البيان فى شىء؛ لأن المعنى فى العبارتين مختلف والشرط أن يكون المعنى فى العبارتين واحدًا.

ومعنى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى الوضوح: أن يعبر عنه بجملة من التراكيب، وبعضها أوضح دلالة عليه من بعض، سواء أكانت هذه التراكيب من قبيل التشبيه، أو من قبيل المجاز، أو من قبيل الكناية، فالمعنى الواحد كالكرم «**مثلاً**» يمكن أن تعبر عنه بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه، فتارة تعبر عنه بطريق التشبيه، فتقول: (**محمد كالبحر فى العطاء**) وتقول: (**محمد كالبحر**) وتقول: (**محمد بحر**).

فهذه ثلاثة تراكيب قد دلت على معنى الكرم، وبعضها أوضح فى الدلالة عليه من بعض، فأوضحها: ما صرح فيه بوجه الشبه والأداة جميعًا، «**كما فى المثال الأول**»، ويليه فى الوضوح: ما صرح فيه بأحدهما «**كما فى المثال الثانى**» وأقلها وضوحًا: ما لم يصرح فيه بواحد منهما «**كما فى المثال الثالث**».

وتارة تعبر عنه بطريق المجاز، فتقول: (**رأيت بحرًا فى منزلنا**) تريد: محمدًا «**مثلاً**» فتشبهه بالبحر ثم تستعير له لفظ «**البحر**».

وتقول: (**لجة محمد تتلاطم بالأمواج**) فاللجة والتلاطم بالأمواج من أوصاف البحر، وهذا دليل على أنك شبهت محمدًا بالبحر.

وتقول: (**غمر محمد بفضله الأنام**) فالغمر من أوصاف البحر، مما يدل أيضًا على أنك شبهت محمدًا بالبحر.

والمثالان الأخيران من قبيل الاستعارة المكنية.

وأوضح هذه الطرق: الأول، ويليه وضوحًا: الثانى، وأقلها وضوحًا: الثالث.

وتارة أخرى تعبر عنه بطريق الكناية، فتقول: (**محمد كثير الرماد**) و(**هو مهزول الفصيل**) و(**هو جبان الكلب**).

فهذه ثلاثة تراكيب قد دلت على معنى «**الكرم**»، وذلك لأن كثرة الرماد إنما تكون من كثرة إحراق الحطب للطبخ للضيفان، وهزال الفصيل إنما يكون بإعطاء لبن أمه للضيوف، وجبن الكلب إنما يكون من كثرة الواردين عليه من الضيوف.

والمثال الأول أوضح هذه الطرق فى الكرم، ويليه الثانى، فالثالث.

وقيدوا الاختلاف «**بوضوح**» الدلالة ليحترزوا به عن الاختلاف فى مجرد اللفظ لا فى وضوح الدلالة، وذلك كما إذا أوردت معنى واحدًا فى تركيبين مترادفين وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما، كأن تقول «**مثلاً**»: نشر فم محمد كنفح الطيب) ثم تقول: (**رائحة ثغر محمد كأريج العطر**) فمثل هذا «**أيضًا**» ليس من مباحث علم البيان، لتماثل التركيبين فى وضوح الدلالة على المعنى المراد،

والاختلاف إنما هو فى اللفظ والعبارة فقط مع أن الشرط هو: أن يكون الاختلاف فى وضوح الدلالة على المعنى.

وقد اشترطوا فى المعنى المراد إيراده بالطرق المختلفة فى وضوح الدلالة أن يكون مدلولا عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال، ومعنى هذا أن علم البيان لابد فيه من اعتبار علم المعانى، وأن هذا من ذاك بمثابة المفرد من المركب.

مباحث علم البيان

اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له إن قامت قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلى كان **مجازًا** وإن لم تقم قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى كان اللفظ **كناية**.

ثم إن المجاز إن كانت علاقته هى المشابهة، كان اللفظ **استعارة**، وإن كانت علاقته غير المشابهة كان اللفظ **مجازًا مرسلاً**.

ولما كانت الاستعارة قائمة على التشبيه، كان من الضرورى دراسة **التشبيه** أولا.

ولهذا انحصرت أبواب علم البيان فى ثلاثة الأبواب التالية:

أ- التشبيه. **ب- المجاز.** **جـ- الكناية.**

وقدموا التشبيه على المجاز لأن منه الاستعارة؛ وهى مبنية على المبالغة فى التشبيه؛ إذ هو منها بمنزلة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع.

وقدموا المجاز على الكناية لأنه بمنزلة الجزء من الكل، لأن المعنى المقصود من المجاز هو اللازم فقط، بينما المقصود من الكناية هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم.

وتوضيح ذلك أنك إذا قلت فى الاستعارة «**مثلا**»: «**رأيت أسدًا يخطب**» كان المقصود هو اللازم فقط وهو: أنك رأيت رجلاً شجاعًا، ولكنك إذ قلت «**فى الكناية**»: «**رأيت رجلا كثير الرماد**» كان المقصود هو اللازم وهو أنك رأيت رجلاً كريمًا مع جواز إرادة الملزوم وهو أنه كثير الرماد فعلاً.

* * *

التشبيه

التشبيه في «اللغة» هو: التمثيل، ففي لسان العرب: الشِّبْه والشَّبَه، والتشبيه: المثل.

وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، والتشبيه: التمثيل.

أما معناه في اصطلاح البلاغيين فهو: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظًا أو تقديرًا.

فالأمر الأول هو: المشبه، والأمر الثاني: هو المشبه به، ويسميان: طرفي التشبيه؛ والمعنى المشترك بينهما هو ما يسمى: وجه الشبه.

وذلك كأن تقول: **«خالد كالأسد في الشجاعة»** ففي هذا المثال دلالة على مشاركة أمر هو: خالد، لأمر هو: الأسد، في معنى هو: الشجاعة بإحدى أدوات التشبيه وهي: الكاف.

ومن حقك أن تحذف وجه الشبه وتبقي أداة التشبيه فتقول: **«خالد كالأسد»** كما أنه من حقك أن تحذف أداة التشبيه وتبقي وجه الشبه فتقول: **«خالد أسد في الشجاعة»**، ومن حقك أيضًا أن تحذفهما معًا فتقول: **«خالد أسد»**.

وأوضح صور التشبيه هي الصور الأولى، والتي مثلنا لها بقولك: **«خالد كالأسد في الشجاعة»** لأنها جمعت أركان التشبيه الأربعة وهي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه. ويليها في الوضوح: الصورة الثانية: وهي التي مثلنا لها بقولك: **«خالد كالأسد»** أو **«خالد أسد في الشجاعة»** وذلك لأن أركان التشبيه فيها قد نقصت ركنًا واحدًا عن الأولى وهو: وجه الشبه في المثال الأول والأداة في المثال الثاني.

ويلي الثانية في الوضوح: الصورة الثالثة؛ وهي التي مثلنا لها بقولك: **«خالد أسد»** لأنها نقصت ركنَين من أركان التشبيه، وهما أداة التشبيه، ووجه الشبه.

أركان التشبيه:

للتشبيه أربعة أركان هي:

١- المشبه.

٢- المشبه به «ويسميان: طرفى التشبيه».

٣- وجه الشبه، وهو: الصفة التى قصد إشراك الطرفين فيها.

٤- أداة التشبيه، وهى: كل لفظ يدل على المشابهة، سواء كان حرفًا، كالكاف وكأن، أو فعلاً، نحو: شابه، وماثل، وحاكى، وضارع، ويشابه، ويماثل، ويحاكى، ويضارع، أو اسمًا، نحو: شبه، ومثل، ومشابه، ومحاك، ومضارع.

* * *

تقسيمات التشبيه

للتشبيه أربعة تقسيمات أساسية هى:

١- تقسيمه باعتبار الطرفين.

٢- تقسيمه باعتبار وجه الشبه.

٣- تقسيمه باعتبار أداة التشبيه.

٤- تقسيمه باعتبار الأغراض التى دعت إليه.

أولاً: الطرفان (المشبه والمشبه به)

أ- حسية الطرفين وعقليتهما:

الحسى: هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس، والعقلى: هو ما يدرك بالعقل.

ولك أن تشبه أمرًا حسيًا بأمر آخر حسى، كأن تشبه الخد بالورد، والقد بالرمح، والثغر بالدر، كما أن لك أن تشبه أمرًا عقليًا بأمر آخر عقلى، كأن تشبه العلم بالحياة، والجهل بالموت، ولك أن تشبه معقولاً بمحسوس، كما ترى من قول أمير الشعراء -وهو فى منفاه:

سَقيًا لعهد كأكناف الرُّبا رقة ... أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا

إذ الزمان بنا غيناءُ زاهية ... ترفُّ أوقاتنا فيها ريَاحينا

فقد شبه العهد وهو عقلى بأكناف الربا وهى حسية، وشبه العهد -أيضًا- وهو عقلى بأعطاف الصبا وهى حسية.

كما أنه قد شبه الزمان **«وهو عقلى»** بغيناء زاهية، أى شجرة خضراء كثيرة الأغصان **«وهى حسية»**، وشبه الأوقات **«وهى عقلية»** بالرياحين **«وهى حسية»**.

كما أن لك أن تشبه محسوسًا بمعقول، كما فى قول أمير الشعراء أيضًا:

والنيلُ يقبل كالدنيا إذا احتفلت ... لو كان فيها وفاء للمصافينا!

فقد شبه إقبال النيل، أى: فيضانه **«وهو حسى»** بإقبال الدنيا واحتفائها **«وهو عقلى»**.

ومن ذلك قول ابن بابك:

وَأَرْضٍ كأخلاق الكريم قطعْتُها ... وقدْ كحلَ الليلُ السماكَ فأبْصرا

فلما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك، شبه الشاعر الأرض وهى أمر حسى بأخلاق الكريم فى سعتها **«وهى أمر عقلى»**.

وقول أبى طالب المأمونى:

وفلا كآمال يَضيقُ بها الفتَى ... لا تَصدُقُ الأوَهام فيها قيلا

أقريتها بِشِملة تقرى الفَلاَ ... عنقًا وتقريها الغلاةُ نحولا

فقد شبه الفلاة فى سعتها وهى أمر محسوس بالآمال فى سعتها وهى أمر عقلى.

وقد قالوا: إن المراد بالحسى هنا هو: **«ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة»** ليدخل فى الحسى: مالا تدركه الحواس بذاته ولكن تدرك مادته، ويسمى: خياليًا.

فالخيالى: هو ما لا تدركه الحواس بذاته، ولكن تدرك مادته، وهو المركب الذى توجد أجزاؤه فى الخارج دون صورته المركبة، فتكون مادته مدركة بالحس دون صورته لعدم وجودها كما فى قول الصنوبرى:

وكأنَّ مُحمرَّ الشقيق إذا تصوَّبَ أو تصعَّد

أعْلامُ ياقوت نُشِرْنَ على رمَاحٍ من زَبَرْجدْ

ومن هذا اللون من التشبيه قول الصنوبرى، يصف الخمر فى الكأس:

كأنَّ الحَبابَ المسْتديرَ برأسها   كَواكبُ دُرٍّ حَشوهنَّ عَقيق

فقد شبه هيئة الفقاقيع الطافية على الكأس بهيئة كواكب من الدر منثورة فى سماء من العقيق، وتلك صورة لا تدرك بالحس الظاهر، لعدم وجودها، وإنما تدرك مادتها وهى الكواكب والدر والسماء والعقيق.

ومنه قول الشاعر:

كلُّنا بَاسط اليَد   نحْوَ نيلوفر نَدِى

كدبَابيس عَسْجد   قضْبُها منْ زَبرْجَد

فقد شبه الشاعر هيئة نبات النيلوفر بهيئة دبابيس مصنوعة من عسجد، عيدانها مصنوعة من الزبرجد، وتلك صورة خيالية لا وجود لها، فالمشبه به خيالى لا يدرك بالحس، وإنما تدرك مادته، وهى: الدبابيس، والعسجد، والقضيب والزبرجد.

وقول أبى الغنائم الحمصى:

خَوْد كأنَّ بنانها   فى خضرة النقش المزرد

سَمكٌ من البِلَّور فى   شَبك تكونَ من زَبرجدْ

فقد شبه الشاعر هيئة بنان الحسنا وما بها من نقش منسق أخضر بهيئة سمك مصنوع من البِلَّور داخل شباك مصنوعة من الزبرجد، وما من شك فى أن صورة المشبه به خيالية لا تدرك بالحس الظاهر لعدم تحققها خارج الأعيان، وإنما تدرك مادتها وهى: السمك، والبِلَّور، والشبك، والزبرجد.

فالمشبه به هنا خيالى، ولكنه لما كانت مادته مدركة بالحس الظاهر ألحق بالحسى.

كما أنهم قالوا: إن المراد بالعقلى: هو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة، لعدم وجوده خارجًا، ولكن بحيث لو وجد لم يدرك إلا بها. ليدخل فيه: التشبيه الوهمى، وهو: ما اخترعه الوهم من عنده، من غير أن يكون له، ولا لمادته وجود فى الخارج، كما فى قول امرئ القيس:

أيَقتلنى والمشرَفىُّ مُضاجعى ومسنونةٌ زُرْقٌ كأنيابُ أغوال

وكما فى قوله تعالى: (فى شجرة الزقوم): ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

فأنياب الأغوا ورؤوس الشياطين لا وجود لها ولا لمادتها، وإنما هى من اخترعات الوهم وافتراءاته[1]، ولكننا لو افترضنا وجودها، لا ندركها إلا بالحس الظاهر.

ب- إفراد الطرفين وتركيبهما: والتشبيه «**بهذا الاعتبار**» ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- تشبيه مفرد بمفرد: وهما إما أن يكونا غير مقيدين، كتشبيه الخد بالورد وإما أن يكونا مقيدين، كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على طائل: هو كالراقم على الماء. فالمشبه هو الساعى المقيد بأنه لا يحصل من سعيه على شىء، والمشبه به المقيد بكون رقمه على الماء لأن وجه الشبه هو: التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين.

وكأن تقول: «**علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر**»، فالمشبه هو: العلم المقيد بكونه بلا عمل، والمشبه به هو: الشجرة المقيدة بكونها بلا ثمر، وذلك لأن وجه الشبه هو: انعدام الفائدة فى كل منهما، فالعلم الذى لا يعمل به لا فائدة منه، كما أن الشجرة التى لا تثمر لا فائدة منها، فوجه الشبه إذًا متوقف على اعتبار هذين القيدين.

ومنه قول الشاعر:

إنى وتزيينى بمدحى معشرا كمعلق دُرًا على خنزير

فقد شبه الشاعر نفسه «**وهو يمدح قومًا، لا يستحقون المدح**» بمن يعلق درًا على خنزير يريد تزيينه.

---

(١) على ما كان معروفًا عند العرب من الاشمئزاز والنفور عند ذكرها، فخاطبهم القرآن بما هو معهود عندهم ليؤثر فيهم. اهـ. المصحح.

والمشبه «كما ترى» مقيد بحال، وهو قوله: «وتزيينى»، كما أن المشبه به مقيد بمفعول وجار ومجرور، وهما قوله: «دُرًا على خنزير».

ووجه الشبه هو: «هيئة من يضع الشىء فى غير موضعه» وهو متوقف على القيدين كما رأيت، ومنه قول شهاب الدين التلعفرى، يصف الشمس عند شروقها:

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها ... مرآة تبر بَدَت فى كفِّ مُرتعش

فقد شبه الشمس عند شروقها بمرآة من تبر فى يد مرتعشة، فالشمس مقيدة بوقت طلوعها، والمرآة مقيدة بكونها من تبر وبكونها في يد مرتعشة، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، وهذه الهيئة لا تتحقق إلا بما ذكر من قيود فى طرفى التشبيه.

وقد يكون المشبه مطلقًا والمشبه به مقيدًا، وذلك كما فى قول الشاعر:

والشمسُ كالمرآةِ فى كفِّ الأشل ... لما رأيتها بدَتْ فوْقَ الجبل

فقد شبه الشاعر الشمس «وهى مطلقة عن التقييد» بالمرآة «وهى مقيدة» بكونها فى يد الأشل، ووجه الشبه: هو الهيئة التى سبق أن عرفتها من البيت السابق وتلك الهيئة لا تتحقق إلا بذكر القيد المذكور.

ومنه قول أمير الشعراء:

ومِصرُ كالكرْمِ ذِى الإحسانِ فاكهة ... لِحاضرينَ، وأكوابٌ لِبَادينا

فقد شبه الشاعر مصر بالكرم ذى الفوائد الجليلة، فخيراتها ينعم بها الحاضر والبادى على حد سواء، فالمشبه وهو مصر غير مقيد «لفظًا» بشىء، والمشبه به وهو الكرم مقيد بقيد، وهو قوله: «ذى الإحسان»، ووجه الشبه هو: عموم النفع فى كلٍ، وهو لا يتحقق إلا بالقيد المذكور.

وقد يكون المشبه مقيدًا والمشبه به مطلقًا، وذلك كأن تقول:

(كأنَّ القائدِ -وهوَ يهجمَ على الأعداءِ- خَالدُ بن الوليد)

٢- تشبيه مركب بمركب:

ومعنى التركيب هنا: هو الهيئة الحاصلة من مجموع أمور متعددة قد اجتمعت وتلاصقت وكونت شيئًا واحدًا، حتى إنك لو أخذت وجه الشبه من بعضها لاختل التشبيه، وذلك كما ترى فى قول البحترى يصف فرسًا:

ترى أحجاله يَصْعدنَ فيه ... صُعودَ البرقِ فى الغَيْم الجهَام

فالشاعر يريد أن يشبه هيئة اختلاط بياض الفرس بسواده بهيئة اختلاط بياض البرق بسواد الغيم، ولا يريد تشبيه بياض الأحجال «**على انفراد**» بالبرق، ولا تشبيه سواد الفرس بالغيم «**على انفراد**» كذلك.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى يمدح على بن منصور الحاجب:

وإذا نظرْتَ إلى السهول رأيتها ... تحتَ الجبالِ فوارسًا وجنائبا
وعجاجَة تركَ الحديدُ سوادها ... زنجًا تبسَّمَ أو قذالاً شائبا
فكأنما كسىَ النهارُ بها دُجى ... ليل وأطلعتِ الرِّماح كواكبا

انظر كيف شبه هيئة اختلاط بياض الحديد بسواد العجاجة وهى: الغبار المثار بهيئة طلوع الكواكب فى ظلمات الليل.

فالشاعر هنا لا يريد تشبيه سواد العجاجة منفردًا بظلمات الليل، ولا تشبيه بياض الحديد منفردًا بطلوع الكواكب، لأن المشبه قد عبر عنه قبل هذا البيت مباشرة بقوله: «**زنجًا تبسم**» وبقوله: «**قذالاً شائبًا**»، وهاتان الصورتان لا تستطيع معهما إفراد السواد عن البياض، ولا إفراد البياض عن السواد.

وخير مثال لهذا الضرب «**أى تشبيه المركب بالمركب**» قول بشار بن برد:

كأنَّ مُثارَ النقع بَينَ رُؤوسنا ... وأسْيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبهْ

فالشاعر يصف حربًا دائرة بين جيشين يقتتلان بالسيوف وقد علاهما غبار كثيف، وهو لا يريد تشبيه النقع منفردًا بالليل، ولا تشبيه السيوف منفردة بالكواكب، وإنما يريد تشبيه الهيئة المنتزعة من غبرة قاتمة قد انعقدت فوق الرؤوس

تتخللها سيوف يتألق بريقها فى حركة سريعة مختلفة النواحى على أشكال متباينة بالهيئة الحاصلة من ليل مظلم تتساقط فى أثنائه وفى أوضاع مختلفة أجرام لامعة متناسبة المقادير.

فكل من الطرفين هيئة مركبة؛ إذ المشبه مركب من النقع مثارًا فوق الرؤوس ومن السيوف المتلاحمة اللامعة فى أثنائه، والمشبه به مركب من: الليل المظلم ومن الكواكب المتهاوية فى مواقع مختلفة منه.

وحتى لا تكون الهيئة المركبة فى كل منهما مظنة التركيب جعل الشاعر الواو - فى قوله: **«وأسيافنا»**- بمعنى مع، ليفيد ارتباط السيوف بطريق المعية بالغبار المثار كما أنه جعل جملة **(تهاوى كواكبه)** نعتًا لليل ليفيد اتصاله به بطريق التبعية له.

وهذ القسم ضربان:

الأول: ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر

كقول الشاعر:

غــدا والصــبح تحـت الليـل بادٍ ... كطـرْفِ أشــهب مُـلقىَ الجــلالِ

فإن الجلال فيه فى مقابلة الليل، ولو شبه به لم يكن شيئًا.

وقول القاضى التنوخى:

كــأنما المريخُ والمشــتــرى ... قــدَّامــه فى شــامخ الرفــعــةْ

منصــرفٌ بـالليل عـن دعــوةٍ ... قــد أسـرجـتْ قـدامـهُ شـمـعـةْ

فإن المريخ فى مقابلة المنصرف، ولو قيل: كأنما المريخ منصرف عن الدعوة كان خلفًا من القول.

والثانى: ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر، غير أن الحال تتغير، كقول أبى طالب الرقى:

وكـأنَّ أجـرامَ النـجـوم لوامـعًـا ... دُرَرٌ نثــرنَ على بِســاط أزْرقِ

فلو قيل: كأن النجوم درر، وكأن بساط أزرق، لصح، ولكن أين يقع من

التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سرورًا وعجبًا من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم وهى زرقاء زرقتها صافية؟!

ومن هذا الضرب قول الناشئ:

بَكتْ للحبيبِ وقد راعها   بُكاءُ الحبيبِ لبعدِ الدِّيارْ
كأن الدموع على خدِّها   بَقيةُ طَلٍّ على جُلنارْ

فقد شبه الشاعر هيئة قطرات الدموع اللامعة على خد حبيبته الأحمر، بهيئة قطرات الطل اللامعة على زهرة الجلنار الحمراء.

ولو قال: كأن الدموع قطرات طل، وكأن خدها جلنار، لصح ذلك القول ولكنه لا يبلغ من الحسن والروعة ما بلغه تشبيه هيئة الدموع على الخد، بهيئة الطل على الجلنار.

٣- تشبيه مفرد بمركب: وقد مثلوا له بقول الصنوبرى:

وَكأنَّ مُحمرَّ الشقيق إذا تصوَّبَ أو تصعَّد
أعْلامُ يَاقوتٍ نشِرْنَ على رمَاحٍ مِنْ زَبرْجدْ

فالمشبه مفرد، وهو محمر الشقيق، وهو مقيد بقوله: «**إذا تصوب أو تصعد**» غير أن تقييده لا يخرجه عن كونه مفردًا، والمشبه به مركب من «**أعلام ياقوت**» ومن «**رماح من زبرجد**»، ووجه الشبه هو: هيئة أجرام حمر، وقد بسطت على رءوس سيقان خضر مستطيلة.

٤- تشبيه مركب بمفرد: وقد مثلوا له بقول أبى تمام:

يَا صَاحبىَّ تقصَّيا نظريكما   تريا وجُوهَ الأرْضِ كيف تصورُ
تريا نهارًا مُشمسًا قد شابه   زهرُ الربُّا، فكأنما هو مُقمرُ!

يريد أن النبات لشدة خضرته وكثرته صار لونه إلى السواد، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر.

وقد علم لك مما أسلفنا أمران:

أولهما: أن المراد بالقيد فى التشبيه: هو ما يكون له دخل فى وجه الشبه بحيث لا يتم التشبيه إلا به.

ثانيهما: أن الفرق بين المقيد من طرفى التشبيه والمركب منهما: أن المركب يكون المقصود فيه بالذات هو: الأجزاء مجتمعة، وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه دون بقية الأجزاء.

أما المقيد: فإن المقصود فيه بالذات هو: أحد أجزاء الطرف مع مراعاة قيد فيه فالقصيد ليس مقصودًا لذاته، بل هو مقصود لذلك الجزء.

وعلى هذا فمدار الفرق بين المقيد والمركب هو القصد والاعتبار، لا التركيب اللفظى، فإن كانت الأجزاء كلها مقصودة بذاتها فى التشبيه كان من قبيل المركب وإن كان المقصود أحد الأجزاء وأن ما عداه تبع له كان من قبيل المفرد المقيد فالمشبه فى قول أمير الشعراء يصف الياسمين بين الأغصان:

مُـتـألـقٌ خَلَلَ الغـصـونِ كـأنهُ ... فى بُلجـةِ الأفنانِ ضَـوءُ صَـبـاحِ

من قبيل المفرد المقيد، وليس من قبيل المركب، وذلك لأن بلجة الأفنان لم تقصد لذاتها، وإنما جاءت قيدًا فى المشبه وهو الزهر الذى عبر عنه الشاعر بضمير الغائب.

ولكن المشبه فى قول أبى تمام من قبيل المركب، لما علمت من أنه مركب من «نهار سطعت شمسه» ومن «زهر نابت فى الربا» وهما مقصودان معًا فى المشبه كما علمت.

جـ- تعدد الطرفين أو تعدد أحدهما:

والتشبيه «بهذا الاعتبار» ينقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: التشبيه الملفوف، وهو ما يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف مع مثله وذلك بأن يؤتى بالمشبهات ثم بالمشبهات بها، أو أن يؤتى بالمشبهات بها، ثم بالمشبهات.

فمثال ما أتى فيه بالمشبهات، ثم بالمشبهات بها: قول امرئ القيس يصف عقابًا:

كـأنَّ قلوبَ الطيــر رطبًـا ويابسًـا لدَى وكرِهَا العنابُ والحَشفُ البالِي

فقـد شبه الشـاعر الرطب الطرى من قلوب الطيـر بالعناب فى شكله وحجـمه ولونه، كمـا شبه اليـابس العتـيق منها بالحشف البـالى في شكله وحجـمه ولونه كذلك.

والمشبـه متـعدد -كمـا ترى- وهو: الرطب الطرى من قلوب الطيـر، واليابس العتيق منها، والمشبه به متعدد كذلك، وهو : العناب، والحشف والبالى.

وقد جمع بين المشبهيـن فى الشطر الأول من البيت بطريق العطف، كما أنه قد جمع بين المشبهين بهما فى الشطر الثانى.

ومثال ما أتى فيه بالمشبهات بها، ثم بالمشبهات أن تقول: كالشمس والقمر ليلى وسلمى.

وإنما سمى هذا التشبيه ملفـوفًا؛ لأن اللف هو :الضم، وقد لف المشبهات أى: ضم بعضها إلى بعض كما لف المشبهات بها أيضًا.

الثانى: التشبيه المفروق، وهو: ما يتعدد طرفاه، ويجـمع كل طرف مع صاحبه بأن يجمع كل مشبه مع مشبه به، وذلك كما فى قول ابن سكرة:

الخَـدُّ وردٌ والصـدغ غـاليـةٌ والريقُ خـمـر والثـغـرُ كـالدُّرر

فقد شبه الشاعر الخد بالورد، والصدغ بالغالية، والريق بالخمر، والثغر بالدرر، جاعلا كل مشبه مع مقابله.

ومنه قول المرقش الأكبر:

النـشـر مِـسكٌ والوُجـوهُ دَنا نيـرٌ وأطرافُ الأكف عَـنمْ

فقد شبه الشاعر -كما ترى- النشر بالمسك، والوجوه بالدنانير، وأطراف الأكف بالعنم، وقد جمع كل مشبه به مع مشبهه.

ومنه قول أبى الطيب:

بَدتْ قـمـرًا ومَـالتْ غُـصنَ بَان وفـاحَتْ عَنبـرًا ورنتْ غـزالا

ومنه قول أمير الشعراء يصف عهد الصبا مع أصدقائه وخلانه:

الوَصلُ صَافيةٌ والعيش ناغيةٌ والسعدُ حَاشيةٌ والدهر ماشينا

وإنما سمى هذا النوع مفروقًا لأنه لم يجمع فيه بين المشبهات على حدة، كما أنه لم يجمع فيه بين المشبهات بها كذلك، وإنما وضع فيه كل مشبه مع مشبهه.

الثالث: تشبيه التسوية: وهو ما يتعدد فيه المشبه دون المشبه به، كما ترى فى قول الشاعر:

صدْغ الحبيب وحَالى كلاهما كالليالى
وثغرهُ فى صفاء وأدْمعى كاللآلى

فقد شبه الشاعر فى البيت الأول صُدغ حبيبه وحاله بالليالى فى السواد، كما أنه قد شبه ثغر حبيبه وأدمعه باللآلئ فى الصفاء، والمشبه فيهما متعدد، دون المشبه به -كما رأيت.

ومنه قول امرئ القيس:

كأنَّ المدَامَ وصَوْبَ الغمام وريح الخزامى ونشرَ القطرْ
يُعلُّ به بَرْدُ أنيابها إذا غرَّدُ الطائرُ المستحرْ

فقد شبه الشاعر المدام، وصوب الغمام، وريح الخزامى، ونشر القطر برضاب حبيبته تشبيهًا مقلوبًا قصدًا إلى المبالغة، ويقصد بذلك: أن فمها عذب رضابه له رائحة ذكية فى وقت السحر ذلك الوقت الذى تتغير فيه رائحة الأفواه عادة، فما بالك به فى غير هذا الوقت؟!

وإنما سمى هذا القسم تشبيه التسوية؛ لأنه سوى بين أمرين أو أمور فى الإلحاق بأمر واحد -كما رأيت.

الرابع: تشبيه الجمع: وهو ما يتعدد فيه المشبه به دون المشبه، وذلك كما فى قول البحترى:

بات نديمًا لىَ حتى الصَّباحْ أغيدُ مجدُولٌ مكان الوشاحْ
كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ مُنضد أوْ بَرد أوْ أقاحْ

فقد شبه البحترى ثغر محبوبته بثلاثة أشياء هى: اللؤلؤ، والبرد، والأقاحى، والمشبه به متعدد -كما رأيت.

ومثله قول الشاعر:

ذاتُ حسنٍ لو استزادت من الحسنِ لما أصَابتْ مزَيدا
فهى الشمس بهجةً، والقضيبُ اللدْنُ قدًا، والرئم طرفًا وجيدا

فقد شبه الشاعر تلك المرأة بثلاثة أشياء، هى: الشمس، والقضيب اللدن، والرئم، فالمشبه شىء واحد، والمشبه به متعدد -كما رأيت.

ومثله قول أمير الشعراء فى وصف الطائرة:

كبساطِ الرِّيح فى القدْرَةِ أوْ ... هُدْهدِ السيرة فى صِدْقِ البلاء
أو كحوت يَرتمى الموْجُ بهِ ... سَابحٍ بين ظهور، وخَفاء

فقد شبه أمير الشعراء الطائرة بثلاثة أشياء هى: بساط الريح، وهدهد السيرة والحوت، فالمشبه شىء واحد، والمشبه به متعدد -كما رأيت.

ومنه قوله أيضًا:

والنيلُ يُقبلُ كالدُّنيا إذا احتفلتْ ... لوْ كانَ فيها وفاءٌ للمُصافينا
والسعدِ لو دَامَ والنعمى إذا اطّرَدَتْ ... والسيلِ لوْ عَفَّ والمقدَارِ لوْ دِينا

فالمشبه واحد وهو: النيل، والمشبه به متعدد وهو الدنيا، والسعد، والنعمى والسيل، والمقدار.

ومنه قول الحريرى:

يَفترُّ عَن لؤلؤ رطبٍ وَعنْ بَردٍ ... وعن أقاحٍ وعنْ طَلعٍ وعنْ حبب

وقول الصاحب بن عباد فى وصف أبيات أهديت له:

أتتنى بالأمسِ أبْياته ... تعلل روحى بروُح الجنانِ
كبردِ الشباب وبَرْدِ الشرَابِ ... وظل الأمانِ ونَيلَ الأمانى
وعَهدِ الصِّبا ونسيم الصَّبا ... وصَفوِ الدِّنانِ، ورَجع القيانِ

ثانيًا: (وجه الشبه)

وجه الشبه: هو «**المعنى الذى قصد إشراك الطرفين فيه**» وذلك كالشجاعة فى قولك: (**أبطالنا كالأسود فى الشجاعة**) وكالسرعة فى قولك: (**نسورنا إذا جد الجد كالريح فى ضرب الأهداف**) وكالجمال فى قولك: (**وجه كالبدر ليلة التمام**) فكل من: الشجاعة، والسرعة، والجمال وجه شبه لأنه المعنى الذى اشترك الطرفان فيه فى قصد المتكلم.

وقد قسموا التشبيه باعتبار الوجه إلى تقسيمات عدة:

أ- تحقق الوجه أو تخيله:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: «تحقيقى» و«تخيلى»:

أما التحقيقى: فهو ما يكون وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة، وذلك كما فى قول الشاعر:

وَأَدْهمَ كالغُرَابِ سوَادَ لونٍ ... يَطيرُ مَعَ الرِّيَاحِ ولا جَنَاحُ

فقد شبه الشاعر الفرس الأدهم بالغراب فى لونه وهو السواد، فوجه الشبه بين الطرفين هو: السواد، وهو متحقق بين الطرفين.

وكما ترى من قول أمير الشعراء يصف «زحلة»:

والنيرَاتُ منَ السحابِ مُطلةٌ ... كالغيدِ منْ ستْرٍ وَمَنْ شبَاكِ

وكأنَّ كلَّ ذُؤَابة منْ شاهقٍ ... رُكنُ المجرَّةِ أو جِدَارُ سِمَاكِ

فقد شبه النجوم بين السحاب بالغيد بين الستر والشباك، ووجه الشبه هو: ظهور أجسام بيضاء من بين ما يحجبها، وهذا الوجه متحقق بين الطرفين حقيقة.

ووجه الشبه هو الارتفاع وهو متحقق فى الطرفين كليهما على وجه الحقيقة.

وأما التخيلى: فهو: ما لا يكون وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين أو بأحدهما إلا تخيلاً، فمثال ما كان الوجه فيه متخيلاً فى الطرفين قولك: «**صوت هذا المغنى، كصوت البلبل فى الحلاوة**» فقد شبهت صوت المغنى بصوت البلبل فى الحلاوة،

والحلاوة ليست داخلة فى صوت المغنى ولا فى صوت البلبل إلا تخيلاً؛ لأنها مما يذاق والصوت مما يسمع.

ومثال ما كان الوجه فيه متخيلاً فى أحد الطرفين: قولك: «**لمحمد سيرةٌ كرَائحة العطرِ**» و«**له خلقٌ كأريج المسك**» وذلك لأنه لما ذاع وصف كل من السيرة والأخلاق بالطيبِ مبالغة، ساغ أن تتخيل أنها من ذوات الرائحة الطيبة، فوجه الشبه -وهو الرائحة الطيبة- متخيل فى المشبه فى المثالين.

ومن هذا النوع قول القاضى التنوخى:

رُبَّ ليلٍ قطعتـه بصـدُود ... وفـراَقٍ مـا كـان فيـه ودَاعُ

مُـوحشٍ كـالثـقـيل تقـذى به ... العينُ وتـأبى حـديثـهُ الأسـمـاع

وكـأنَّ النجـومَ بينَ دُجـاهُ ... سـننٌ لاحَ بَـيـنـهـنَّ ابتـداعُ

فقد شبه الشاعر -فى البيت الأخير- النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اجتماع أشياء بيض مشرقة فى جوانب شىء مظلم.

غير أن هذه الهيئة موجودة على وجه التحقيق فى المشبه -وهو النجوم بين الدجى- ولكنها ليست موجودة على وجه التحقيق فى المشبه به -وهو السنن بين الابتداع-.

وذلك لأن الإشراق -وهو أمر حسى -لا تتصف به السنة لأنها أمر عقلى، كما أن الإظلام -وهو أمر حسى أيضًا- لا تتصف به البدعة لأنها أمر عقلى كذلك.

ولهذا كان الشبه غير متحقق فى المشبه به إلا تخيلاً.

والتشبيه فى البيت السابق من قبيل تشبيه المفرد المقيد، وهو النجوم مقيدة بكونها بين الدجى بالمفرد المقيد وهو: «**السنن**» مقيدة بكونها بين الابتداع.

غير أن فى عبارة الشاعر قلبًا، وذلك لأنه جعل النجوم بين الدجى فى جانب التشبيه فكان من الواجب أن يجعل السنن بين الابتداع فى جانب المشبه به لتصح المقابلة.

ولعل الشاعر قد لاحظ نكتــة فى هذا القلب، وهى الإشارة إلى كثرة السنن فى زمانه، وأن البدع كـانت قليلة، بحيث كانت خروجًا عـلى العرف العام فى تمسك الناس بالسنة.

ومن التشبيه التخييلى قول الشاعر:

يَا منْ لـهُ شَـعْـرٌ كـحظى أسْـودُ جِـسـمى نحيلٌ منْ فِراقِكَ أصـفـرُ

فقد شبه شعر حبيبتـه بحظه فى السواد بيد أن وجه الشبه -وهو السواد- متحقق فى الشعر متخيل فى الحظ كما ترى، ومنه قول أمير الشعراء -فى وصف الطبيعة-:

واليـاسـمين: لطيـفـهُ ونـقـيـهُ كـسـريرة المتنزه المسـماح

فقد شبه الشاعر الياسمين فى صـفائه ونقائه، بسريرة المتنزه المسماح فى صفائها ونقائها، بيد أن وجه الشـبه وهو: الصفاء والنقاء متحقق فى اليـاسـمين متخيل فى السريرة.

وقوله يصف الطبيعة -أيضًا-:

وعلى الخـواطر رِقـةٌ وكـآبةٌ كـخـواطر الشـعـراء فى الأتراحِ

فقد شبه الشاعر «**الخواطر**» -وهى نوع من الزهر- بخواطر الشعراء فى الأحزان فى الرقة والسواد، غير أن وجه الشبه -وهو الرقة والسواد- متحقق فى المشبه وهو خواطر الزهر: متخيل فى المشبه به «**وهو خواطر الشعراء**».

وينبغى أن تكون على ذكر من أنـه لا يجوز تشبيه المحسـوس بالمعقول إلا على سبيل التخيل والافـتراض، بأن تتخيل المعقول محسوسًا وتفـترضه أصلاً فى وجه الشبه مبالغة وادعاءً.

كـما أنـه ينبغـى أن تكون على ذكـر من أنه لابد من وجـود وجه الشـبـه فى الطرفين، سواء أكان متحققًا أو كان متخيلاً، فإذا لم يكن كذلك فإنه لا يجوز أن يكون وجه شبه.

وعلى هذا فقولهم: «**النحو فى الكلام، كالملح فى الطعام**» لا يجوز أن يكون وجه الشبه كون القليل مصلحًا والكثيـر مفسدًا، ولكن وجه الشبه هنا هو: الصلاح إذا

استعملا والفساد إذا أهملا، وذلك لأن النحو -على التقدير الأول- لا يشترك مع الملح فى كون القليل مصلحًا والكثير مفسدًا، ولكنه عبارة عن أن تراعى قواعده وأحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول، فإن تحقق ذلك فى الكلام كان صالحًا وإن لم يتحقق كان فاسدًا، إذ النحو لا يحتمل القلة أو الكثرة ولكن الملح يحتملهما، فالقليل منه مصلح والكثير منه مفسد.

وقد يكون وجه الشبه فى أحد الطرفين ادعائيًا وفى الآخر حقيقيًا، وذلك كأن تقول للجبان: هو أسد، وللبخيل: هو حاتم، ويكون وجه الشبه بين الطرفين فى الأول: الشجاعة، وفى الثانى: الجود، وما من شك فى أن الشجاعة فى الجبان والجود فى البخيل أمر ادعائى.

ويسمى هذا اللون من التشبيه: تشبيه التضاد، وذلك لأنك قد نزلت التضاد بين الطرفين المتضادين منزلة التناسب بينهما، واعتبرت الجبان شجاعًا، والبخيل جوادًا.

ولا يكون ذلك إلا لغرض بلاغى يقصده البليغ، كالتهكم والسخرية، أو التظرف والتملح.

ب- وحدة الوجه أو تعدده:

وقد قسموا التشبيه بهذا الاعتبار إلى:

١- ما كان وجه الشبه فيه شيئًا واحدًا: وهو ما لم يكن مركبًا، ولا متعددًا كالحمرة والنعومة والحلاوة، فى قولك: **«خَدٌّ كالوَرْد» و«بَشرَةٌ كالحرير» و«ريقٌ كالعسل»** وكالكرم فى قولك: **«محمدٌ كالبحرِ»** وكالهداية فى قولك: **«أصحابُ النبى كالنجوم»**.

٢- ما كان وجه الشبه فيه منزلاً منزلة الواحد، وهو ما كان مركبًا من متعدد تركيبًا اعتباريًا، وذلك كأن تعمد إلى عدة أمور بالشيئين، فتنتزع منهما هيئة تعمهما، بحيث لا يصلح واحد منها على انفراد وجه شبه وبحيث لو حذف واحد منها، لاختل وجه الشبه وذلك كما فى قول الشاعر:

كـأنَّ مُـثـارَ النقـع فـوْقَ رُؤُوسنا وأَسْـيـافنا لـيلٌ تهـاوىَ كـواكِبـهْ

وقد عـرفت أن وجه الشبـه فيـه هو: هيئة منتـزعة من تسـاقط أجرام مشـرقة مستطيلة الأشكال، متناثرة فى جوانب شىء مظلم.

فوجـه الشبه هنا كـالشىء الواحد؛ لأنه مركب مـن تلك الهيئـة التى تضامت أجزاؤها حتى صارت وحدة متكاملة بحيث لا يجـوز لك أن تجعل شيئًا منها وجه شبه على حدة، كما أنه لا يجوز كذلـك أن تحذف شيئًا منها، ،ولو حذف لاختل وجه الشبه.

ومنه قول الشاعر:

وكـأنَّ أجْـرامَ النـجـوم لوَامِـعًـا دُرَر نثـــرن على بســـاط أزْرق

فوجـه الشبه هو مـجموع الهـيئة التى ركـبت من عدة أمـور هى: تناثر أجرام مشرقة متلالئـة فوق رقعة مبسوطة زرقاء، ولا يصح أن نجعل شيـئًا منها وجه شبه على حدة كما أنه لا يصح أن تسقط شيئًا منها.

ومنه قول أمير الشعراء:

ولقـــدْ تمرُّ علىَ الغـــدير تخـــالهُ والـنبتَ مـــــــرآة زَهتْ بـإطـار

فقد شبه الشاعر الغـدير وحوله نبات محيط به من كل جانب بمرآة زينت بإطار محـيط بها، ووجه الشـبه هو: الهيـئة المكونة من عـدة أمور هى: جسم شـفاف متموج يحيط به إطار أخضر.

وقوله -أيضًا-:

ويقـائقَ النســرين فى أغـصـانهـا كـالـدرِّ رُكب فى صُـــدورِ رمـاحِ

فوجه الشـبه هو الهيئة المكونة مـن عدة أمور هى: أجسام مـستطيلة، وضعت عليها أجسام صغيرة مشرقة متلالئة.

ولا يصح -بلاغة- أن تعتبر شيئًا واحدًا منها وجه الشبه، كما أنه لا يصح لك أن تسقط واحدًا منها.

وإنما نزل هذا القسم منزلة الواحد لأن الوجه مركب فيه من مجموع أمور تضامت وتلاصقت حتى صارت كالشيء الواحد، ولم يكن واحدًا حقيقة لأنه مركب من عدة أمور، ولا تركيب في الشيء الواحد.

٣- ما كان وجه الشبه متعددًا:

وهو ما كان عدة أمور، جعل كل واحد منها وجه شبه على حدة، وذلك كقولك: **«هذه الفتاةُ كأختها في الرَّشاقة، والجمال، والحياء»**، وقولك: **«هذه الفاكهةُ كالتي أكلناها طَعْمًا، ولونًا، ورائحة»** وقولك: **«محمدٌ كأخيه علمًا، وخُلقًا وشهامَةً»**.

فإن وجه الشبه -كما رأيت- أمور متعددة، يصلح كل واحد منها أن يكون وجه الشبه على حدة.

وليس القصد إلى هيئة مركبة من هذه الأمور مجتمعة، ولكن القصد إلى واحد منها فقط.

هذا وإذا ما عرفت أن الوجه المركب ينظر فيه إلى مجموع أمور تضامت وتلاصقت وإلى الهيئة المركبة منها بحيث صارت واحدة لا تتجزأ، وبحيث لو حذف أحد هذه الأمور لاختل التشبيه، وإذا ما عرفت -أيضًا- أن الوجه المتعدد ينظر فيه إلى أمور متعددة، وجعل كل منها على حدة وجه شبه بحيث لو حذف واحد منها أو قدم أو أخر لم يختل نظام التشبيه، ولم يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيده من قبل إذا ما عرفت ذلك: فقد عرفت الفرق جليًا بين الوجه المركب، والوجه المتعدد.

وخير ما يبين لك الفرق بين الوجه المركب والوجه المتعدد قول الشاعر:

كما أبْرقتْ قوْمًا عطاشًا غمامة ... فلما رَأوْها أقشعتْ وتجلت

فقد شبه الشاعر حال من ظهر له شيء وهو في أشد الحاجة إليه وقد علق به رجاءه، ثم ما لبث أن فوجئ بفقدان هذا الشيء أو بذهابه إلى حيث لا أمل له فيه ولا رجاء منه، شبه ذلك بحال قوم عطاش عنت لهم غمامة، هم أشد ما يكونون

حاجة إليهـا، وما إن رجوها أن تمطرهم حتى انقشـعت عنهم وذهبت وتركتهم فى حيرة ويأس.

فالوجـه منتزع من أمرين مـتصلين هما: ابتـداء مُطْمِع، وانتهاء مـؤيس، وقد تضمن الشطر الأول الأمر الأول، إذ مـنعاه: أن الغمامة ظهـرت لقوم يرجون الماء لشدة احتياجهم إليه، فقد أطمعتهم أول الأمر، إذ عرضت لهم.

وتضمن الشطر الثانى الأمـر الثانى، إذ معناه: أن الغمامة قـد خذلتهم وتولت عنهم وتركتهم فى حـيرة ويأس، فالشطر الأول قد تضمن ابتـداء مُطْمِعًا، والشطر الثانى تضمن انتهاء مؤيسًا.

ولهذا فإنه لا يمكن انتزاع وجه الشـبه من الشطر الأول فقط، لأن الوجه -كما سبق- مركب من الأمرين جـميعًا، ولو اقتصر على الشطر الأول لما صلح التـشبيه لأنه لم يف بالمعنى المقصود.

أما فى التشبـيه المتعدد فإنه لا يصح لك أن تقتـصر على شىء واحد -فى وجه الشبه- من الأمـور المتعددة فيه، كما سـبق أن عرفت فى تشبيه فاكـهة بأخرى فى الطعم والرائحـة واللون -كما أنه يـصح لك أن تحذف أحدها- فلو حـذفت لظل الباقى على ما هو عليه فى إفادة معناه.

جـ- حسية الوجه أو عقليته:

والتشبيه بهذا الاعتبار ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مـا كان وجه الشبـه فيه حسـيًا، أى مدركا بالحس الظاهر، سـواء أكان مفردًا، أو مركبًا، أو متعددًا.

فالمفـرد الحسى: كالحمـرة فى قولك: (خدٌّ كالوَرْد) وكالنعومـة، كما فى قول الشاعر:

لهـا بَشـر مـثلُ الحَـرير ومَـنطقٌ رَخـيم الحَـواشـى لا هُراءٌ ولا هزر

وكالطيب فى قولك: **(لها رائحة كرائحة الأزْهار).**

والمركب الحسى: قد يكون طرفاه مركبين، كما فى قول بشار:

كـأنَّ مُـثـارَ النقـعِ فـوْقَ رؤوسنا ... وأسـيـافنا لـيلٌ تهـاوىَ كـواكبـه

فوجه الشبه -كما علمت- هو الهيئة المركبة من تساقط أجرام مستطيلة متساوية المقادير متناثرة فى جوانب شىء مظلم، وتلك هيئة حسية تدرك أجزاؤها بحاسة البصر، والطرفان مركبان، إذ لم يقصد الشاعر تشبيه النقع بالليل، ولا السيوف بالكواكب، ولكنه أراد تشبيه هذه الهيئة بتلك الهيئة -كما سبق أن عرفت-.

وقد يكون طرفاه مفردين -مقيدين- كما فى قول قيس بن الخطيم:

وقدْ لاحَ فى الصبح الثريّا كما ترى ... كـعنقـودِ مَـلاحـيـة حينَ نوَّرا

فوجه الشبه هو هيئة اجتماع صور مستديرة، صغار المقادير فى مرأى العين على وضع خاص، وتلك الهيئة حسية، والطرفان هما: «**الثريا**» و«**العنقود**» وهما مفردان مقيدان، أما الثريا: فمقيدة بكونها فى وقت الصبح وأما العنقود: فمقيد بكونه حين نَوَّر.

وقد يكون طرفاه مختلفين إفرادًا وتركيبًا، كما سبق أن عرفت من قول الصنوبرى:

وكأنَّ مُحْمَرَ الشقيق إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّد

أعلامُ ياقوتٍ نشرْنَ على رماحٍ من زبرجدْ

فوجه الشبه هو: هيئة الأجرام الحمر المنشورة على رءوس أجرام مستطيلة خضر، وتلك هيئة حسية تدرك بحاسة البصر، والمشبه مفرد، لأنه «**الشقيق**» مراعى فيه كونه أحمر، متصوبًا متصعدًا، وتلك قيود لا تخرجه عن الإفراد، ولكن المشبه به مركب من أعلام ياقوتية منشورة فوق رماح من زبرجد، وكما سبق أن عرفته -أيضًا- من قول أبى تمام:

يَا صَاحبىَّ تقصَّيَا نظريكما ... تريَا وجوهَ الأرْضِ كيف تصوَّرُ

تريَا نهارًا مُشمسًا قدْ شَابهُ ... زَهرُ الرُّبا فكأنما هو مقمرُ

فوجـه الشبه هو: هيـئة اختلاط شيء أسـود بشيء أبيض مشرق، وتلك هيـئة حسية تدرك بحاسة البصر، والمشبه «**وهو هيئة النهار المشمس خالطه زهر الربا فنقص من نوره**» مركب، والمشبه به، «**وهو الليل**»، مفرد، مقيد بكونه مقمرًا.

ومن بديع المركب الحسى: وجه الشـبه الذى يجيء فى الهيئـات التى تقع عليها الحركة، أى أن يكون وجـه الشبه هو الهيئـة التى تقع عليها الحركـة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما.

ويكون ما يجيء فى تلك الهيئة على وجهين:

أحدهما: أن يقترن بالحـركة غيرها من أوصاف الجسم كـالشكل واللون كما فى قول أبى النجم:

والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأشل

فوجه الشبـه هو: الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحـركة السريعة المتصلة، مع تموج الإشراق حتى يرى الشعـاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له أن يرجع من الانبسـاط الذى بدا له إلى الانقباض كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط، والشمس إذا أَحَدَّ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة الموصوفة، وكذلك المرآة فى كف الأشل.

والآخر: أن تجـرد الحركـة عن غيـرها من الأوصاف، وهنا -أيضًـا- لابد من اختلاط حركات كثـيرة للجسم إلى جهات مختلفة، كأن يتحـرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال، وبعضه إلى العلو، وبعـضه إلى السفل ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشـبه مفـردًا، وهو الحركة، فـحركة السـهم والرحى لا تركيب فيـها لاتحادها، بخلاف حركة المصحف فى قول عبد الله بن المعتز:

وكـأنَّ البـرْقَ مُـصـحـفُ قـارٍ ... فـانـطبـاقًـا مـرة وانفـتـاحًـا

«**فانطباقًا مرة وانفتاحًا**» أى: فينطبق انطباقًا مرة وينفتح انفـتاحًا مرة أخرى، فإن فيها تركيبًا، لأن المصحف يتحـرك فى حالة الانطباق والانفتاح إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة.

ومما جاء فى التشبيه معقودًا على تجريد هيئة الحركة، ثم لطف وعرف لما فيه من التفصيل والتركيب قول الأعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الرياح بها:

تقصُ السَّفين بجانبيهِ كما   يَنزُو الرَّياحُ خَلاله كَرْع

الرياح: هو الفصيل، وقيل: القرد، والكرع: ماء السماء، شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه؛ وذلك أن الفصيل -إذا نزا- ولاسيما فى الماء وحين يعتريه ما يعترى المهر ونحوه من الحيوانات التى هى أول النشء -كانت له حركات مفتاوتة تقيد لها أعضاؤه فى جهات مختلفة، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب، بحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين فى الأخرى، وذلك أشبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج.

وقد يقع التركيب فى هيئة السكون كما فى قول المتنبى فى صفة كلب:

يُقْعِى جلوسَ البدوى المصطلى   بأرْبع مجدولةٍ لم تجدلِ

«يقعى» أى: يجلس على إليته، وقوله : **«جلوس البدوى المصطلى»** من اصطلى بالنار، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى إقعائه، لأنه يكون لكل عضو منه فى الإقعاء موقع خاص، وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع، وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض.

والمتعدد الحسى: ما سبق أن عرفته من تشبيه فاكهة بأخرى فى الطعم، والرائحة واللون، فوجه الشبه -كما ترى- متعدد حسى، لأن الأول يدرك بحاسة الذوق، والثانى يدرك بحاسة الشم، والثالث يدرك بحاسة البصر.

والقسم الثانى: ما كان وجه الشبه فيه عقليًا، أى مدركًا بالعقل، سواء أكان واحدًا، أو مركبًا، أو متعددًا.

فالواحد العقلى: يكون طرفاه عقليين، أو حسيين، أو مختلفين.

فالواحد العقلى ذو الطرفين العقليين كما فى قولك: **«وُجودُ الكسول كعدَمه»** إذ وجه الشبه -وهو **«عدم النفع»**- عقلى، والطرفان -وهما: **«وجودَ الكسَول»** و**«عدمه»** عقليان -أيضًا-.

وكقولك: «**العلم كالحياة**» فوجه الشبه وهو: «**عظم الفائدة**» عقلى، كما أن الطرفين وهما: «**العلم**» و«**الحياة**» عقليان -أيضًا-.

والواحد العقلى ذو الطرفين الحسيين، كقول النبى ﷺ: «**أصحابى كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**»، فوجه الشبه -وهو «**الهداية**» عقلى، ولكن الطرفين وهما: «**أصحاب النبى والنجوم**» حسيان «**كما ترى**» وكقولك: «**محمد كالجبل ثباتًا**» فوجه الشبه وهو «**الثبات**» عقلى، ولكن الطرفين وهما: (**محمد**) و(**الجبل**) حسيان.

والواحد العقلى ذو الطرفين المختلفين حسًا وعقلاً؛ كما فى قولك: (**العلم كالنور**) فوجه الشبه وهو «**الهداية**» عقلى؛ والمشبه -وهو العلم- عقلى، ولكن المشبه به؛ وهو «**النور**» حسى؛ فالطرفان مختلفان حسًا وعقلاً.

وكقولك: (**عطر كخلق الكريم**) فوجه الشبه وهو: «**استطابة النفس**» عقلى والمشبه وهو «**العطر**» حسى، ولكن المشبه به -وهو: «**خلق الكريم**»- عقلى فالطرفان مختلفان حسًا وعقلاً.

ومن هذا القبيل قول جرير:

أحلامنا تزنُ الجبالَ رَزانة ... ويَفوقُ جَاهلنا فِعالَ الجُهَّلِ

فوجه الشبه، وهو: «**الرزانة**»، عقلى والمشبه وهو الأحلام، عقلى، ولكن المشبه به -وهو الجبال- حسى، فالطرفان مختلفان حسًا وعقلاً.

والمركب العقلى: كما فى قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥] فقد شبه حال اليهود -فى حملهم للتوراة، بمعنى تكليفهم العمل بها، وكونها مستودع العلم النافع لهم، وعدم حملهم لها- بمعنى عدم العمل بمقتضاها والانتفاع بما فيها من تحملهم ما طلب إليهم مما يثقل عليهم ويشق على نفوسهم، شبه هذا الحال بحال الحمار فى حمله أوعية العلوم ومستودع ثمرة العقول، وعدم انتفاعه بما يحمل مع معاناة مشاق الحمل.

ووجه الشبه هو: (**هيئة الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع، مع معاناة الكد فى استصحابه**) وتلك الهيئة أمر عقلى، أخذ من عدة أمور -كما رأيت-.

وكما فى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩] فقد شبه حال الكفار وهم يأتون أعمالاً يحسبونها ذات أثر عند الله، فيخيبون فيما حسبوا، ويلقون آخر الأمر عكس ما قدروا جزاء كفرهم، شبه هذه الحال بحال ظامئ رأى سرابًا فخاله ماء، وسعى إليه فلم يجد أمله، ووجد جحيمًا وعذابًا أليمًا.

ووجه الشبه بينهما هو: (**حسبان الشيء غير المجدى مجديًا، مع الإخفاق فى عاقبة الأمر**) وهو أمر عقلى منتزع من عدة أمور -كما ترى-.

ومن هذا القبيل قول الشاعر:

والمستجيرُ بعمروٍ عند كربته ... كالمستجيرِ منَ الرمضاءِ بالنار

فقد شبه الشاعر حال من أصابته شدة فالتجأ إلى عمرو، ليحتمى به، فإذا عمرو أشد خطرًا مما وقع فيه، بحال من لذعته الرمضاء فالتجأ إلى ما هو أشد لذعة وأنكى ألمًا.

ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من الفرار من الضار إلى ما هو أشد منه ضررًا طمعًا فى الانتفاع به، وهما عقليان -كما ترى-.

والمتعدد العقلى: كما فى تشبيه رجل بآخر فى عقله وذكائه وبعد نظره، فوجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة، وثلاثتها مما لا يدرك إلا بالعقل.

والقسم الثالث: ما كان وجه الشبه فيه مختلف: بعضه حسى، وبعضه عقلى، كأن تشبه رجلاً بآخر فى ضخامته، وجسامته، وحلمه، وشهامته، فوجه الشبه مجموع هذه الأربعة، غير أن الأولين منها حسيان، والآخرين عقليان.

التمثيل وغير التمثيل:

وينقسم التشبيه باعتبار الوجه -أيضًا- إلى قسمين: تمثيل -وغير تمثيل-.

أ- **فالتمثيل**: ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أمرين أو أمور متعددة سواء أكان حسيًا أو غير حسى.

فالتمثيل الحسى: ما سبق أن عرفته، من تشبيه مثار النقع من الأسياف بليل تتهاوى كواكبه، وتشبيه النجوم متلألئة منثورة فى سماء زرقاء بدرر منثورة على بساط أزرق.

والتمثيل غير الحسى: ما سبق أن عرفته - أيضًا- من تشبيه حال اليهود بحال الحمار، فالوجه -كما سبق أن عرفت- هو هيئة الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع مع معاناة المشاق فى تحمله، وهى صورة مركبة من أمور عقلية -كما ترى-، ومثله ما سبق من تشبيه المستجير بعمرو بالمستجير بالنار، فوجه الشبه -كما رأيت- هو هيئة مركبة من أمرين لا يقعان تحت حس، وهما: «**الفرار من الضار، والالتجاء إلى ما هو أشد ضررًا طمعًا فى الانتفاع به**».

ومنه قول الشاعر:

اصْبِرْ عَلى مَضضِ الحَسو ... دِ فإنَّ صَبرَكَ قاتله

فالنارُ تأكلُ بَعضها ... إنْ لمْ تجِدْ ما تأكلهْ

فقد شبه حال الحسود وقد قتله كمدًا صبر المدوح عليه، وعدم جزعه لما يناله من أذاه بحال النار، يأكل بعضها بعضًا إذا لم تجد وقودًا، ووجه الشبه هو: إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء، وهو أمر عقلى منتزع من أمور عقلية لا تدخل تحت حس.

ب- وغير التمثيل: هو ما لم يكن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، بأن كان أمرًا واحدًا، أو متعددًا، فمثال الأول قولك: **(جرح اللسان كجرح السيف فى الضرر)** وقولك: **(العلماء كالمصابيح فى الهداية)** وقولك: **(خالد كالسيف فى المضاء)** فوجه الشبه فى الأمثلة السابقة شىء واحد.

ومثال الثانى قولك: هذه الفاكهة كالتى أكلناها فى الطعم، والرائحة، واللون فوجه الشبه هو كل واحد من هذه الثلاثة، وليس هيئة مركبة منها.

المفصل والمجمل:

ينقسم التشبيه -باعتبار الوجه أيضًا- إلى قسمين: مفصل ومجمل، فالمفصل هو: ما صرح فيه بوجه الشبه على صورته الخاصة، بأن كان مجرورًا بفى، أو منصوبًا على التمييز على معنى «فى».

فمثال الأول قول ابن الرومى:

يَا شبيه البدرِ فى الحسنِ وفى بعدِ المنالِ

جُدْ فقدْ تنفجرُ الصخرة بالماءِ الزلالِ

ومثال الثانى قول أبى بكر الخالدى:

يا شـبـيـه البـدر حسنًا	وحـيـاءً ومنالا
وشـبـيـه الغصن لينًا	وقـوامًا واعتدالا
أنتَ مثل الورد لونًا	ونسيمًا وملالا
زَارنا حتى إذا ما	سرنا بالقرب زالا

والمجمل: هو ما لم يصرح فيه بوجه الشبه على صورته الخاصة، وهو قسمان:

الأول: ما كان وجه الشبه فيه ظاهرًا، كما فى قولك: **(شعر كالفحم)** و**(قد كالغصن)** و**(وجه كالبدر)**، فوجه الشبه فى كل هذه الأمثلة غير مصرح به، ولكنه ظاهر لا يحتاج إلى إعمال فكر.

والثانى: ما كان وجه الشبه فيه خفيًا، لا يدرك ببديهة النظر، بل يحتاج إلى تأمل وإمعان فكر، ومنه ما روى من أن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، سئلت عن بنيها الأربعة: أيهم أفضل؟ فقالت: **(هم كالحلقة المفرغة، لا يدرى أين طرفاها) إنهم** فى تناسبهم فى الشرف والشجاعة وعدم تفاوتهم فيها بحيث يمتنع تعيين أحدهم فاضلاً وأحدهم مفضولاً كالحلقة المتصلة الجوانب، فإن أجزاءها متناسبة يمتنع تعيين بعضها طرفًا، وبعضها وسطًا، فوجه الشبه هو: **(التناسب الكلى الخالى عن التفاوت)** وهو غير مصرح به، ولكن أشعر به قولها: **(لا يدرى أين طرفاها)** غير أنه فى المشبه تناسب فى الشرف، وفى المشبه به تناسب فى الأجزاء، وهو -كما ترى خفى- لا يدركه إلا من ارتفع عن طبقة العامة إلى طبقة الخاصة.

القريب المبتذل، والبعيد الغريب: ينقسم التشبيه -باعتبار الوجه أيضًا- إلى قسمين: قريب مبتذل وبعيد غريب.

فأما القريب المبتذل، فهو: (ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل ونظر، بسبب وضوح وجه الشبه فيهما، وذلك كتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الخد بالورد، وتشبيه الصوت الجميل بصوت البلبل فكل من التشبيهات السابقة قريب مبتذل، لسهولة انتقال الذهن فيه من المشبه إلى المشبه به، بسبب وضوح الوجه بين الطرفين.

ولوضوح وجه الشبه أسباب ثلاثة هى:

أ- أن يكون وجه الشبه شيئًا واحدًا، لا تعدد فيه ولا تفصيل، كالأمثلة السابقة.

ب- أن يكون فى وجه الشبه شىء من التفصيل، يحتاج إلى تعدد الملاحظة، غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به فى الذهن عند إحضار صورة المشبه لما بين الصورتين من شدة التناسب. وذلك كأن تشبه العنب بالبرقوق، فى حجمه وشكله ولونه.

جـ- أن يكون فى وجه الشبه شىء من التفصيل يحتاج إلى تعدد الملاحظة غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقًا لكثرة مشاهدة هذه الصورة وتكررها على الحس، لأن المشاهَد كثيرًا يكثر خطوره بالبال عادة، وذلك كتشبيه الإنسان الجميل بالقمر فى الرفعة والهداية، وكتشبيه المرآة المجلوة بالشمس فى الاستنارة والاستدارة، ففى وجه الشبه فى كل من المثالين شىء من التفصيل، وهو: ملاحظة الرفعة والهداية فى الأول، والاستنارة والاستدارة فى الثانى، إلا أن هذا التفصيل قد عارضه كثرة حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقًا، لكثرة النظر إليها ومشاهدتها، لأن صورة الشمس والقمر مما يكثر تواره على الأبصار.

وأما البعيد الغريب: هو: **(مالا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد إعمال فكر وطول تأمل، بسبب خفاء وجه الشبه فيهما).**

ولخفاء وجه الشبه أسباب ثلاثة -أيضًا- هى:

أ- أن يكون فى وجه الشبه تفصيل يحتاج إلى كثرة الملاحظات والاعتبارات، وذلك كما فى تشبيه هيئة بأخرى كبيت بشار السابق، وكقول الشاعر:

لا تعجبُوا مِنْ خَالِهِ فى خدِهِ ... كلُّ الشقيقِ بنقطةٍ سوْداء

فقد شبه الشاعر هيئة الخال على الخد «بالشقيق»، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء فى وسط رقعة مبسوطة حمراء، ففيه من كثرة التفصيل والاعتبارات مما لا يقع إلا بعد روية وإمعان نظر وإعمال فكر.

ب- ندرة حضور صورة المشبه به فى الذهن عند استحضار صورة المشبه لبعد التناسب بين الصورتين، وذلك كما فى تشبيه القمر بالعرجون فى قوله تعالى:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، فصورة العرجون غير تامة الحضور فى الذهن، ولكنها تندر عند استحضار صورة القمر، للفرق الشاسع بين الصورتين، فالقمر مسكنه السماء، والعرجون فى الأرض، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شىء تافه لا يهتم به، والقمر من قبيل الكواكب، والعرجون من قبيل النبات.

ومن ذلك ما تقدم من تشبيه أزهار البنفسج على سيقانها بصورة النار فى أطراف الكبريت أول اشتعالها.

جـ- **ندرة حضور صورة المشبه به فى الذهن مطلقًا، وذلك لكونه وهميًا** كما فى قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، وكما فى قول الشاعر:

ومَسنونةٌ زُرق كأنياب أغوالِ

أو لكونه مركبًا خياليًا، كما فى تشبيه الشقيق بأعلام من الياقوت منشورة على رماح من الزبرجد، أو لكونه نادر التكرار على الحس، كصورة المرآة فى كف الأشل.

التفصيل فى وجه الشبه:

معناه: **(أن تكثر فيه الملاحظات والاعتبارات، بأن ينظر فيه إلى أكثر من وصف لشىء واحد، أو أكثر (متعددًا كان ذلك الوجه، أو مركبًا اعتباريًا)** وكلما كثر التفصيل فى وجه الشبه كان التشبيه أدخل فى باب الغرابة وأبعد عن الابتذال، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

أوجه التفصيل: وأوجه التفصيل كثيرة، ولكن أحراها بالقبول صورتان:

الأولى: أن يؤخذ بعض الأوصاف، ويترك بعضها من كل تشبيه فيه دقة تحتاج إلى مزيد نظر وفضل ملاحظة، وذلك كما فى قول الشاعر:

حَمَلتُ رُدينيا كأنَّ سِنانهُ سَنَا لهبٍ لمْ يَتَّصلْ بدُخانِ

فقد شبه الشاعر سنان الرمح، يلهب له سنا، فاعتبر فى كل منهما شكله المخروطى الدقيق الطرف وزرقته الصافية وبريقه، ثم قصد أن ينفى الدخان عن السنا تحقيقًا للتشبيه، ولو لم ينف ذلك لم يتحقق التشبيه المقصود لأنه ليس فى رأس السنان ما يشبه الدخان.

والثانية: أن تؤخذ جميع الأوصاف وتعتبر جميعها فى وجه الشبه، وذلك كما فى قول الشاعر:

وقدَ لاحَ فى الصبح الثرَيا كما ترى كعنقود ملاحية حينَ نوَّرا

فقد اعتبر فى كل من المشبه والمشبه به: الشكل، والمقدار، واللون، والوضع الخاص.

لماذا كان التفصيل -فى الوجه- مزية على الإجمال؟

وإنما كان للتفصيل فى وجه الشبه مزية على الإجمال لأمور ثلاثة هى:

أولاً: أن الجملة -أبدًا- أسبق إلى النفوس من التفصيل.

ثانيًا: أنك تجد الرؤية نفسها لا تصل إلى التفصيل بالبديهة، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر، ولهذا قالوا: النظرة الأولى حمقاء.

ثالثًا: أنك فى إدراك تفصيل ما تراه وتسمعه أو تتذوقه كمن ينتقى الشىء من بين جملة، وكمن يميز الشىء مما قد اختلط به، ولكنك حين لا يهمك التفصيل تكون كمن يأخذ الشىء جزافًا.

وإذا كان ذلك ثابتًا فى الأمور المشاهدة وما يجرى مجراها مما تناله الحواس فإن القلب كذلك، تجد الجمل دائمًا هى التى تسبق التفاصيل إلى الخواطر، أما التفاصيل فإنها مغمورة فى ثناياها لا تعرفها إلا بعد إعمال الفكر والروية.

ولهذا فإن الاشتراك فى الصفة على الإطلاق كأن يكون كلا الشيئين أسود أو أحمر أقل من أن يحوج إلى قياس وتشبيه.

فإن دخل فى التفصيل شىء، كأن تريد أن هذا السواد صاف براق، والحمرة رقيقة ناصعة احتجت بقدر ذلك إلى إعمال الفكر، وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح والورد.

فإن زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ازداد الأمر قوة فى الاحتياج إلى الفكر، وذلك نحو: تشبيه سقط النار بعين الديك فى قوله:

وسِقط كعين الديك عَاورْتُ صَحبتى ... أبَاها وهَيأنا لموقعها وكرَا

وذلك لأن ما فى عينه من التفصيل والخصوص زائد على كون الحمرة رقيقة ناصعة، والسواد صافيًا براقًا.

ولهذا كان قول الشاعر:

كأنَّ على أنيابها كلَّ سحرةٍ ... صياحُ البوازِى منْ صَريف اللوَائكِ

أرفع طبقة من قوله:

كأنَّ صَليلَ المروحين تشدُّهُ ... صَليلُ زيوف ينتقدْنَ بعبقرا

لأن التفصيل والخصوص فى صوت البازى أبين وأظهر منه فى صليل الزيوف... وهكذا.

تفاوت التفصيل فى وجه الشبه:

وإنما يفضل أحد التفصيلين الآخر بأن تكون قد نظرت فى أحدهما إلى ثلاثة أشياء، أو ثلاث جهات، وفى الآخر إلى شيئين أو جهتين، ومثال ذلك قول بشار:

كأنَّ مُثارَ النقع فوقَ رُؤوسنا ... وأسْيافنا ليلَ تهاوىَ كواكبه

مع قول أبى الطيب المتنبى:

يَزودُ الأعادى فى سَماء عَجاجة ... أسنتهُ فى جَانبيها الكواكب

أو قول عمرو بن كلثوم:

تبنى سَنابكها منْ فوْقِ أرؤُسهمْ ... سَقفًا كواكبهُ البيضُ المباتيرُ

فالتفصيل فى الأبيات الثلاثة كـأنه شىء واحد، لأن كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف فى الغـبار بالكواكب فى الليل، إلا أنك تجد لبيت بـشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير ما لا يمكن إنكاره.

وذلك لأنه راعى مـا لم يراعه غـيره، وهو: جَـعْل الكواكب «تتـهاوى» فأتم التشـبيه، وعـبر عن هيـئة السيـوف وقد سُلَّت من الأغمـاد وهى تعلو وترسب، وتجىء وتذهب، ولم يقتـصر على أن يريك لمعانها فى أثنـاء العجاجة، كمـا فعل الآخران.

وكان لهذه الزيادة التـى زادها حظ من الدقة التى تجعلها فى حكم تفـصيل بعد تفصيل.

وذلك لأن إفادة هيئة الســيوف فى حركاتها -إنما أتت فى جملة لا تفصـيل فيها، إلا أن حقيقـة تلك الهيئة لا تقوم فى النفوس إلا بالنظر إلى أكثـر من جهة واحدة، لأن لها فى حـال احتـدام الحرب واختـلاف الأيدى بها فى الضرب اضـطرابًا شديدًا وحركات سريعة، ثم إن لتـلك الهيئة جهات مختلفة وأحـوالاً تنقسم بين الاعوجاج والاستـقامـة والارتفاع والانخـفاض، وإن الســيوف باخـتلاف هذه الأمور تـتلاقى وتتداخل ويقـع بعضهـا فى بعض، ويصدم بعـضها بعـضًا، ثم إن أشكال الســيوف مستطيلة، وقـد نظم هذه الدقائق كلها فى نفسه ثم أحضـرها لك بلفظة واحدة ونبه عليها بأحسن التنبـيه، وأكمله بكلمة واحدة هى: «تهاوى» لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جـهات حـركاتها وكـان لها فى تهـاويها تواقع وتداخل، ثم إنه بالتـهاوى تستطيل أشكالها، فأما إذا لم تزل عن أماكنها فهى على صورة الاستدارة.

ومن أبلغ الاستقصاء وعجيبه قول عبد الله بن المعتز:

كأنا وضَوءُ الصبح يستعجلُ الدُّجى نطيـرُ غـرَابًا ذا قـوادمِ جـوْنِ

فقد شبه ظلام الليل حين يظهر فـيه الصبح بأشخاص الغربان، ثم شرط أن تكون قوادم ريشـها بيضًـا، لأن تلك الفووق من الظلمة تقع فى حـواشيهـا من حيث يلى معظم الصبح وعمـوده لمع نور يتخيل منها فى العين، كشكل قـوادم إذا كانت بيضاء وتمام التدقيق فى هذا التشبيه فى شـىء آخر، وهو أنه جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره

ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها، ولا يرضى منها بأن تتمثل فى حركتها، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره فى التشبيه آخرًا، فقال: (نطير غرابًا)، ولم يقل: (غراب يطير) -مثلاً-، وذلك لأن الغراب، وكل طائر إذا كان واقفًا هادئًا فى مكان فأزعج وأخيف وأطير منه، أو كان فى حبس فى يد أو قفص فأرسل كان ذلك -لا محالة- أسرع لطيرانه، وأعجل وأمد له وأبعد لأمده، فإن تلك الفزعة التى تعرض له من تنفيره، أو الفرحة التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته مما دعاه إلى أن يستمر حتى يغيب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون، وليس كذلك إذا طار عن اختيار؛ لأنه يجوز -حينئذ- أن يطير إلى مكان قريب من مكانه الأول وألا يسرع فى طيرانه، بل يمشى على هيئته ويتحرك حركة غير المستعجل.

ألوان التصرف فى القريب المبتذل بما يجعله بعيدًا غريبًا:

قد يتصرف الحاذق بصنعة البيان فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله بعيدًا غريبًا، لا ترتقى إليه مدارك العامة، ولذلك طرق منها:

١- التشبيه الضمنى، وذلك كما فى قول أبى الطيب المتنبى مادحًا:

لمْ تلقَ هذا الوَجه شمسُ نهارنا ... إلا بوجه ليسَ فيه حياءُ

فقد أراد الشاعر أن يشبه الممدوح بالشمس فى الإشراق، وهذا تشبيه قريب مبتذل يستوى فى إدراكه الخاصة والعامة، ولكن ادعاء الشاعر أن الشمس إنسان يحس ويشعر ويستحى، وكان عليها وقد رأت وجه الممدوح أن تتوارى خجلاً منه لأنه فوقها فى الحسن والإشراق هو الذى رفع من قدر هذا التشبيه من القرب والابتذال إلى البعد والغرابة.

٢- ومن ألوان التصرف فى التشبيه القريب المبتذل حتى يصير بعيدًا غريبًا: **التشبيه المشروط** وهو المقيد بشرط، والشرط إما أن يكون فى المشبه، وإما أن يكون فى المشبه به، وإما أن يكون فيهما معًا.

فمن تقييد المشبه قول الشاعر:

يكادُ يحكيكَ صوب الغيث منسكبًا ... لو كان طلقَ المحيا يمطرُ الذهبا

والبدْر لوْ لم يغبْ والشمس لو نطقتْ ... والليث لوْ لم يصد والبحر لو عَذُبَا

فالمشبه هو الممدوح، وقد شبه به كل من: صوب الغيث، والبدر والشمس والليث، والبحر، وقرن كلاً منها بقيد لولاه لتم التشبيه.

ومن تقييد المشبه به قول رشيد الدين:

عَـزمـاتهُ مـثلُ النجـومِ ثواقـبًـا ... لوْ لـمْ يكنْ للـثـاقـبـاتِ أفـولُ

فقد شبه عزمات الممدوح بالنجوم، ولكنه قيدها بعدم الأفول.

ومن تقييدهما معًا، قولك: «ليلى إذا ابتسمت كالشمس إذا أشرَقتْ» وقول أمير الشعراء:

ويَقـائقُ النسـرين في أغـصـانِهـا ... كـالـدرِّ ركبَ في صـدُورِ رمـاحِ

فقد شبه يقائق النسرين -وهو ورد عطرى قوى الرائحة- بالدر، وهو تشبيه قريب مبتذل ولكن تقييد ورود النسرين بكونها في أغصانها، وتقييد الدر بكونه مركبًا في صدور رماح أخرجه عن قربه وابتذاله إلى بعده وغرابته.

٣- **تشبيه التفضيل**: وهو أن تشبه شيئًا بشيء، ثم ترجع فتفضل المشبه على المشبه به.

كما في قول الشاعر:

حسـبتُ جَـمـالهُ بَدرًا مُنيـرًا ... وأينَ البـدْرُ من ذاكَ الجـمـالِ!

ومنه **تشبيه التشكيك**، كما في قول الشاعر:

بالله يَا ظبيـات القـاعِ قلنَ لنا ... ليـلايَ منكنَّ أمْ ليلى منَ البـشـرِ؟

ومن روائع التصرف في التشبيه القريب المبتذل قول الشاعر:

في طَلعة البدْر شيءٌ من محاسنها ... وللقـضـيبِ نصـيبٌ من تثنيـهـا

ثالثًا: أداة التشبيه

الأداة: لفظ يدل على معنى التشبيه، كالكاف في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ [الرحمن: ٢٤] وكما في قول أبي الطيب:

هذا الذي أبصـرتُ منه حـاضـرًا ... مـثل الذي أبصـرْتُ منه غـائبًـا

كـالبـدْر من حيث التفتَّ رأيتهُ ... يُهـدي إلى عـينيك نـورًا ثاقـبًـا

كالبحر يقذفُ للقريب جواهرًا ... جودًا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها ... تغشى البلادَ مشارقًا ومغاربا

وكذلك كل لفظ يدل على المماثلة حرفًا كان أو اسمًا، أو فعلاً، كلفظ «كأن» حرفًا، كما فى قول المتنبى:

وقفتَ وما فى الموْت شكٌّ لواقف ... كأنكَ فى جفن الردَّى وهو نائمُ

وكلفظ «مثل» اسمًا، كما فى قوله:

كذا فليسرِ منْ طلبَ الأعادى ... ومثلُ سُراكَ فليكن الطلابُ

وكذلك الفعل الدال على معنى التشبيه ماضيًا كان أو مضارعًا، كماثل يماثل، وشابه يشابه، وحاكى يحاكى.

وكذلك الوصف المشتق المفيد لهذا المعنى: كمماثل، ومشابه، ومحاك، ومن الأدوات -أيضًا-: سيان، وسواء.

والتشبيه باعتبار الأداة ينقسم إلى قسمين: مرسل، ومؤكد:

فالمرسل: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه لفظًا أو تقديرًا، فمثال الأول قول المتنبى:

ومنْ فى كفه منهمْ قناةٌ ... كمنْ فى كفهِ منهمْ خِضابُ

ومثال الثانى قولك: **«صوته صوت البلبل»** و**«نفحه نفح المسك»** و**«وشيه وشى الطاووس»** إذا قدرت على معنى الكاف.

وإنما سمى هذا القسم مرسلاً، لأنه أرسل عن التأكيد، أى: خلا منه.

والمؤكد: هو ما تُركَتْ فيه أداة التشبيه لفظًا وتقديرًا، أى تُرِكَ التصريح بها، كقولك:

«محمد بحر» و«خالد أسد» و«ليلى بدر».

وكقول أبى الطيب المتنبى:

إنما بدْرُ بنُ عمر سحابٌ ... هطلٌ فيه ثواب وعقابُ

إنمــا بــدْرٌ رَزَايــا وعــطــايـــا ومـنايـا وطِعــــانٌ وضِـــــرَابُ

ومن التشبيه المؤكد: مـا أضيف فيه المشـبه به إلى المشبه، بعـد حذف الأداة، وتقديم المشبه به على المشبه، كقولك: «ليس محمد رداء العافية».

وكقول التنوخي:

أقــحــوان مُــعــانقِ لـشـقــيق كــثــغــور تعضُّ وردَ الخــدُود

أي: تعض الخدود الشبيهة بالورد.

ومنه قول الشاعر:

والرِّيحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى ذهبُ الأصــيلِ على لجين الماء

أي: على الماء الشبيه باللجين، أي الفضة.

رابعًا: أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه: هو الدافع الذى حدا بالمبـين أن يعقد شبهًا بين أمرين وهو فى الأعم الأغلب عائد إلى المشبه لأنه:

١- إما أن يكـون الغرض هو: بيـان أن المشبـه أمر ممكن، وهذا إذا كـان أمرًا غريبًا، يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه، كما فى قول أبى الطيب المتنبى:

رأيتك فى الذين أرى ملوكًـــا كـأنك مُـسـتقـيمٌ فى مـحـالِ

فـــإن تـفـق الأنامَ وأنت منهمْ فـــإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغـــزال

وذلك لأن المتنبى لما ادعى أن الممدوح قد فاق الناس حتى صار أصلاً برأسه وجنسًا منفردًا بنفسه وكان هذا كالأمر الممتنع فقد احتج لدعواه تلك بأن شبه هذه الحال بحال المسك وهو من الدماء ومع هذا فإنه لا يعـد منها لما فيه من صفات لا توجد فيها، وهذا تشبيه ضمنى ومكنى عنه.

٢- وإما أن يكون الغرض هو بيـان حال المشبه، كما فى تشبيـه ثوب بآخر فى السواد.

ومما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر:

كـأنَّ سـهـيـلاً والـنجـوم وراءه   صـفـوفُ صلاة قـامَ فـيـهـا إمامـهـا

وذلك لأنه لما كانت هيئة المصلين الذين يقفون صفوفًا يتقدمهم إمام معروفة دون هيئة سهيل مع النجوم، كان ذلك دافعًا للشاعر أن يعقد شبهًا بين هاتين الهيئتين.

٣- وإما أن يكون الغرض هو: بيان مقدار حال المشبه فى القوة والضعف، والزيادة والنقصان، كما فى تشبيه الثوب الأسود بالغراب فى شدة السواد، وكما فى قول الحسن بن وهب:

مـدادٌ مـثلُ خـافـيـةِ الغـرابِ   وأقـلامٌ كـمـرهـفـةِ حِـدادِ

وعليه قول الشاعر:

فأصبحتُ منْ ليلى الغداةَ كقابضٍ   علىَ الماءِ خـانتـهُ فـروجُ الأصـابعِ

يقول: إنه قد بلغ فى بوار سعيه -فى الوصول إليها والتمتع بها- أقصى الغايات، حتى إنه لم يحظ منها بما قل، ولا بما كثر.

٤- وإما أن يكون الغرض هو: تقرير حال المشبه فى نفس السامع وتقوية شأنه، كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء وذلك لأنك تجد فى هذا من تقرير عدم الفائدة ما لا تجده فى غيره، وذلك لما علمت من أن الفكر بالحسيات أتم منه بالعقليات، لتقدم الحسيات، وفرط إلف النفس لها.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وهذه الأغراض الأربعة تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم، وهو به أشهر، ولهذا ضعف قول البحترى:

على بـابِ قنسـرينَ والليـلُ لاطخ   جـوانبـهُ منْ ظـلمـةٍ بمدادِ

فإنه رب مداد فاقد اللون، والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى، ولهذا قال ابن الرومى:

حِـبـرُ أبى حَـفصٍ لعـابُ الـليلِ   يَسـيلُ للإخـوان أى سَـيلِ

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل.

على أنه قد يكون المشبه أتم من المشبه به فى وجه الشبه، كما فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

ومن ذلك ما ورد من أن أبا تمام قال فى أحمد بن المعتصم:

إقدامُ عمرو فى سماحةِ حاتم ... فى حِلم أحنفَ، فى ذكاء إياسِ

فأخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه فى ذلك بالثلاثة، فقال:

لا تنكروا ضربى لهُ منْ دونهُ ... مثلاً شروداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

٥- وإما أن يكون الغرض هو: تزيين المشبه فى عين السامع، وذلك كما فى تشبيه وجه أسود بمقلة الظبى، وكما فى قول الشاعر:

سوداء واضحةُ الجبينِ ... كمقلة الظبى الغريرِ

فالوجه الأسود لا يستحسن فى مرأى العين، ولكى يرغب السامع فيه فقد شبهه الشاعر بمقلة الظبى فى حسن سوادها واستدارته تزيينًا له.

ومنه قول الشاعر:

تفاريقُ شيبٍ فى الشبابِ لوامع ... وما حسنُ ليلٍ ليسَ فيهِ نجومُ؟!

فقد شبه الشاعر هيئة ظهور بياض الشيب لامعًا بين سواد الشباب بهيئة ظهور نجوم تتلألأ فى دجى الليل، ووجه الشبه هو هيئة اختلاط شيء ناصع البياض بآخر حالك السواد، وبذلك فإنه قد حَسَّنَ ما أجمع الناس على قبحه بإيراده فى صورة نجوم تتألق فى دجى الليل.

٦- وإما أن يكون الغرض هو: تقبيح المشبه فى عين السامع، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة، وكما فى قول الشاعر:

وإذا أشارَ محدثًا فكأنهُ ... قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

فقد شبه الشاعر هيئة إنسان مكروه وهو يشير محدثًا بهيئة قرد يقهقه أو عجوز تلطم خديها فى بشاعة المنظر وقبحه تقبيحًا له فى نظر المخاطب.

ومنه قول الشاعر:

والورد فى شط الخليج كأنه   رمدٌ ألم بمقلة زرقاءِ

فقد شبه هيئة الورد، وقد تدلى على شط الخليج بهيئة رمد أصاب عينًا زرقاء.

فقد أوقع الشاعر فى وهم السامع بهذا التشبيه أن الورد -وهو ما أجمع الناس على حسنه وجماله- قبيح قبح الرمد.

وإلى الغرضين السابقين أشار ابن الرومى بقوله:

تقولُ: هذا مجاجُ النحل تمدحه   وإنْ تعبْ قلتَ: ذا قىء الزَّنابيرِ

٧- وإما أن يكون الغرض: «**استطراف المشبه**» كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد، ببحر من المسك موجه الذهب، لإبرازه فى صورة الممتنع عادة.

وقد يعود الغرض من التشبيه إلى المشبه، وذلك ضربان:

أحدهما: إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه، وذلك فى التشبيه المقلوب الذى يجعل فيه الناقص مشبهًا به قصدًا إلى ادعاء أنه أكمل فى وجه الشبه، كما فى قول محمد بن وهب الحميرى:

وبدا الصباح كأنَّ غُرتَه   وجهُ الخليفة حينَ يمتدَحُ

والغرة: بياض فى وجه الفرس، واستعارها الشاعر لبياض الصبح، فأوهم بذلك أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء، ثم استمر ذلك الإيهام فشبه غرة الصباح بوجه الخليفة حين يمتدح.

والثانى: بيان الاهتمام بالمشبه به، وذلك كتشبيه الجائع وجهًا كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف، ويسمى التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض: إظهار المطلوب.

هذا إذا كان المراد هو إلحاق الناقص فى وجه الشبه بالزائد فيه حقيقة أو ادعاء.

أما إذا أريد الجمع بين شيئين فى أمر من الأمور من غير أن يقصد كون أحدهما ناقصًا والآخر زائدًا فالأحسن أن يترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ويكون كل من

التشبيهين مشبهًا به، احترازًا عن ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه، كما فعل أبو إسحاق الصابئى فى قوله:

تشابه دَمعى إذ جرَى ومُدامتى ... فمن مثلِ ما فى الكأس عَينى تسكب

فوالله ما أدْرى أبالخمر أسبلت ... جُفونى أمْ منْ عبرتى كنتُ أشربُ؟

فأنت ترى أن الشاعر فى هذين البيتيَن لما اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه مؤثرًا التشابه.

وكقول الشاعر:

رَقَّ الزُّجاجُ ورَاقت الخمر ... فتشَابها فتشاكلَ الأمر

فكأنما خَمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنما قدحٌ ولا خمرًا

****

تمرينات
على التشبيه

١- بين فيما يأتى طرفى التشبيه وحاليهما ونوع التشبيه باعتبارهما:

(أ) خـــود كـــأنَّ بنـانهـــا ... فى خُـضــرةِ النقش المزرَّدْ
ســـمك من البلـور فى ... شَــبك تكون من زبرجــدْ

(ب) يهــزُّ الجيش حـولك جـانبيـه ... كـمـا نفضتْ جناحيـهـا العقـابُ

(جـ) ومــا المالُ والأهلون إلا ودائع ... ولابـدَّ يـومًـــا أنْ تردَّ الودائعُ

(د) إنى وتـزيينى بمـدحى مَــعشـراً ... كـمـعلق دُرًا على خـنزيـر

(هـ) وإذا أشــار مـحــدثًا فكـأنه ... قـردٌ يقـهـقـهُ أو عـجـوزٌ تـلطمُ

(و) إذا الدولة استكفت به فى مهـمة ... كفـاها فكان السيف والكفَّ والـقلبا

٢- بين أركان التشبيه فيما يأتى:

(أ) أنا كـالماء إن رضـيتُ صـفـاءً ... وإذا مـا سـخطتُ كنتُ لهـيبـا

(ب) أنت نجمٌ فى رفـعـة وضـيـاء ... تجـتليك العُـيـون شـرقًـا وغـربا

(حـ) قال أبو الطيب -وقد اعتزم سيف الدولة سفراً:
أين أزمــعتَ أيهـذا الهـمـامُ؟ ... نحـنُ نبتُ الـربُّا وأنتَ الغـمـامِ

(د) قال ابن المعتز:
وكـأنَّ الشـمسَ المنيـرة دينا ... رٌ جلتـهُ حـدائدُ الضـرابِ

(هـ) وقال ابن الرومى فى صوت مغن:
فكـأنَّ لذَّة صـوته ودَبيـبـهـا ... سنـةٌ تمشى فى مـفـاصلِ نـعسِ

(و) وقال المرقش:
النشـرُ مِـسك والـوُجـوهُ دنَا ... نيـرٌ وأطراف الأكـفِّ عـنمْ

(ز) أنتَ كالبحر فى السماحة والشمـ   سِ عُلواً والبدْر فى الإشراَق

(ح) العمرُ مثلُ الضيف أو   كالطيف ليسَ لهُ إقامة

(ط) قال أعرابى فى وصف رجل: «كانَ لهُ علمٌ لا يخالطه جهل، وصدْق لا يشوبهُ كذب، وكان فى الجود كأنهُ الوبلُ عندَ المحل».

(ى) وقال آخر: «جاءوُا على خيلٍ كأنَّ أعناقها فى الشهرَة أعلام، وآذانها فى الدقة أطراَفُ أقلام، وفرسانها فى الجرأة أسودُ آجام».

٣- بين طرفى التشبيه، ووجهه، ونوعه باعتبار الأداة، والغرض منه فيما يأتى:

(أ) قال البحترى -مادحًا-:

ذهبتْ حدَّة الشتاء ووافا   نا شبيهًا بكَ الربيعُ الجديدُ

ودَنا العيد وهو للناس حتى   يتقضى وأنتَ للعيدِ عيدُ

(ب) قال المتنبى:

إنَّ السيوفَ معَ الذين قلوبُهمْ   كقلوبهنَّ إذا التقى الجمعانِ

تلقى الحُسام على جراءة حده   مثلَ الجبان بكفٍّ كل جبان

(جـ) قال صاحب كليلة ودمنة: «الرَّجلُ ذو المروءة يكرمُ على غير مال، كالأسدِ يُهابُ وإن كان رابضًا».

(د) قال الله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾.

(هـ) وقال الله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾.

(و) وقال تعالى: ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾.

(ز) وقال السرى الرفاء فى وصف شمعة:

مـفـتـولـةٌ مـجـدولـةٌ تحكى لنا قـدَّ الأسَلْ
كـأنهـا عـمـر الـفـتى والنارُ فـيـهـا كالأجلْ

٤- بين الغرض من كل تشبيه فيما يأتى:

(أ) مما ينسب إلى عنترة:

وأنا ابنُ سَوْداء الجَبينَ كـأنـهـا ذئبٌ ترَعْرَعَ فى نـواحى المنزلِ
الساقُ منها مثلُ ساق نعامةٍ والشعرُ منها مثلُ حبِّ الفلفلِ

(ب) وقال السرى الرفاء:

لى مَنزلٌ كـوجار الضب أنزلهُ ضَنْكٌ تقاربَ قطراهُ فقد ضاقا
أراهُ قالبَ جسمى حينَ أدخلهُ فما أمدُّ به رِجلاً ولا ساقا

(حـ) وقال الشريف الرضى:

أحبك يا لونَ الشباب لأننى رأيتكما فى القلب والعين توأما
سَكنتِ سَوادَ القلب إذ كنت شبههُ فلم أدرِ منْ عزٍ -منْ القلبُ منكما؟

(د) وقال آخر:

فأصبحتُ منْ ليلىَ الغداةَ كقابضٍ علىَ الماء خانتهُ فرُوجُ الأصابعِ

(هـ) وقال البحترى:

دنوْتَ توَاضعًا وعلوْتَ مجدًا فشأناكَ انخفاض وارتفاعُ
كذاكَ الشمسُ تبعدُ أنْ تسامى ويَدنو الضوْءُ منها والشعاعُ

(و) وقال المعرى فى المشيب والشباب:

خبريني: مَاذا كرهت من الشيبِ فلا علمَ لى بذنب المشيبِ
أضياءُ النهار، أمْ وضحُ اللؤْ لؤ أم كونهُ كثغر الحبيب؟
واذكرى لى فضل الشباب وما يجمع منْ منظر يروق وطيب
غدره بالخليل أم حبه للغى أم أنه كعيش الأديب

الحقيقة والمجاز اللغويان

الحقيقة فى اللغة: وصف على وزن «**فعيل**» بمعنى فاعل، من حق الشىء إذا ثبت، فهو حقيق أى: ثابت، أو بمعنى مفعول، من حققت الشىء، إذا أثبته، فهو حقيق، أى: مثبت.

وفى اصطلاح البلاغيين: هى: الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح التخاطب.

فكلمة «**الأسد**» إذا استعملت فى الحيوان المفترس فهى حقيقة لغوية لأنها استعملت فيما وضعت له، و«**الصلاة**» إذا استعملت فى عُرف الشرع فى الأركان المخصوصة فهى حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له فى اصطلاح أهل الشرع و «**الصلاة**» -أيضًا- إذا استعملت فى عُرف اللغة، فى الدعاء فهى حقيقة لاستعمالها فيما وضعت له فى اصطلاح أهل اللغة.

والمجاز فى اللغة: مصدر ميمى بمعنى الجواز والتعدية، من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه، أو بمعنى مكان الجواز والتعدية؛ من قولهم: جعلت هذا مجازًا إلى حاجتى، أى: طريقًا لها.

وفى اصطلاح البلاغيين: هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطب لعلاقة بين المعنى الأول والثانى، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

المجاز المفرد: هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب لعلاقة بين المعنى الأول والثانى، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

والعلاقة: هى المناسبة بين المعنى الأصلى الموضوع له اللفظ، والمعنى المستعمل فيه.

والقرينة: هى الأمر الذى يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له.

وذلك كلفظ «**أسد**» المستعمل فى الرجل الشجاع فى قولك: «**سلمت على أسد**» وكلفظ «**الغيث**» المستعمل فى النبات فى قولك: «**رعت الإبل الغيث**» وكلفظ

«**الصلاة**» المستعمل عند أهل الشرع فى الدعـاء، فكل لفظ من تلك الألفاظ مجاز مفـرد، لأنه كلمة مستـعملة فى غيـر المعنى الموضوعة له فى اصطلاح التـخاطب والعلاقـة فى المثال الأول هى: مشـابهة الرجل للأسـد فى الشجاعـة، وفى المثال الثانى هو: أن الغـيث سبب فى النبات، وفى المثـال الثالث: الكلية والجـزئية لأن الصلاة كل والدعاء جزء منها.

أما القـرينة المانعة من إرادة المعنى الحـقيقى للفـظ فهو قـولك فى المثال الأول: «**سلمت**» لأن التسليم لا يكون على الأسـد الحقيـقى، وفى الثانى: «**رعت**»، لأن الغيث لا يرعـى وإنما يرعى النبات، وفى الثـالث: الحالية، وهى كـون المستـعمل للفظ الصلاة من أهل الشرع.

تقسيم المجاز المفرد

ينقسم المجاز المفـرد باعتبار العلاقـة -وهى المناسبة الخاصة بين المعنى الحـقيقى والمعنى المجازى- إلى قسمين:

مجاز مرسل، واستعارة، وذلك لأن العلاقة بين المعنيين إذا كانت المشابهة، كان اللفظ استعـارة، وإذا كان غير المشابهة، كـان اللفظ مجازًا مرسلاً، أى غيـر مقيد بعلاقة واحدة.

المجاز المرسل

والمجاز المـرسل: هو الكلمة المسـتعـملة فى غيـر ما وضـعت له لعـلاقة غـير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى.

وللمجاز المرسل علاقات كـثيرة لا يمكن تحديدها، لأنها تنبع من ذوق الأديب واعتباراته، وأشهر هذه العلاقات ما يلى:

(١) **السببية**: وذلك كاليد، إذا استعملت فى النعمة، بشرط أن يكون فى الكلام إشارة إلى المنعم بها، كقولك: «**لفلان على يد لا أنكرها**»، أى نعمة، وكقول أبى الطيب المتنبى:

لهُ أيادٍ عليَّ سابغةٌ أعدُّ منها ولا أعدِّدُها

يقول: إن للممدوح على نعمًا سابغة، يعد وجودى منها، ولا أستطيع حصرها، إذ ليس المقصود بالأيادى معناها الحقيقى، لأن قوله «**سابغة**» قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى، لأن الأيادى الحقيقية لا توصف بالشمول، ولكن المقصود بها هنا هو النعم، فلفظ «**أيادٍ**» مجاز مرسل علاقته السببية، لأن الأيادى سبب فى النعم.

٢- **المسببية**: كما إذا استعملت النبات فى الغيث، فقلت: «**أمطرت السماء نباتًا**»، فليس المراد بالنبات هنا معناه الحقيقى، لأن «**أمطرت**» قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى، إذ النبات لا ينزل مطرًا، ولكن المراد به هنا هو: «**الغيث**» فالنبات هنا مجاز مرسل علاقته المسببية لأن النبات مسبب عن الغيث.

ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾ [غافر: ١٣] فقد عبر عن الماء بالرزق على سبيل المجاز المرسل، لعلاقة المسببية، لأن الرزق مسبب عن الماء، والقرينة هنا قوله تعالى: ﴿**ينزل من السماء**﴾ لأن الرزق لا ينزل بذاته من السماء.

٣- **اللازمية**: كما فى قولك «**بزغ الضوء**» لأن البزوغ وصف للشمس لا للضوء، فالضوء مجاز مرسل يُراد به الشمس، وعلاقته اللازمية، لأن الضوء لازم للشمس، إذ يلزم من وجود الشمس وجود الضوء.

٤- **الملزومية**: وذلك كما إذا استعملت الملزوم وأردت اللازم، كما إذا قلت: «**ملأت الشمس الحجرة**» تقصد: ملأ الضوء الحجرة، فليس المراد بالشمس معناها الحقيقى الذى هو: الجرم المعروف، بقرينة قولك: «**ملأت**» لأن الشمس بمعناها الحقيقى لا تدخل الحجرة، ولكن المراد بها هو: «**الضوء**» فلفظ الشمس إذن مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأن المعنى الحقيقى للشمس ملزوم للضوء.

٥- **الجزئية**: وذلك كما فى قول الله تعالى: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ**﴾ [النساء: ٩٢] فليس المقصود بالرقبة هنا هو الجزء الخاص بها فحسب، بقرينة قوله: ﴿**فتحرير**﴾ لأن التحرير إنما يكون للذات كلها، وليس لجزء منها، فالمقصود هنا هو: الذات كلها فالرقبة هنا مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن الرقبة جزء من العبد.

ومنه قول معن بن أوس المزنى فى ابن أخته:

أعلمـــه الرِّمـــاية كل يـوم ... فلمـا اشـتـدَّ سـاعـدُهُ رمـانى

وكمْ علمـتـه نظمَ القـوافى ... فلمـا قـال قـافـيـةً هَجـانى

فقد عبر بالقافية عن القصيدة، بقرينة قوله: «قال» لأن المعنى: نظم، والنظم إنما يكون للقصيدة، فلفظ «قافية» مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن القافية جزء من القصيدة.

ومنه قول حافظ إبراهيم وهو يبايع أحمد شوقى على إمارة الشعر:

أميرَ القوافى اليوم جئتُ مبـايعًا ... وهَذى وفودُ الشرْق قد بايعتْ معى

٦- **الكلية**: وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧] فليس المقصود من الأصابع معناها الحقيقى بقرينة استحالة إدخال الإصبع كلها فى الأذن؛ ولكن المقصود هنا هو: «**الأنامل**» التى هى أطراف الأصابع، فالأصابع مجاز مرسل علاقته الكلية.

٧- **الحالية**: كما إذا استعملت الحالّ وأردت المحل كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢] إذ ليس المقصود بالنعيم معناه الحقيقى وهو المتعة بقرينة الظرفية لأنه لا معنى لأن يحل الإنسان فى معنى من المعانى، ولكن المراد هو مكان النعيم، وهو: «**الجنة**» فإطلاق اسم النعيم على محله مجاز مرسل علاقته الحالية لأن النعيم حالٌّ فى الجنة.

ومنه قول الشاعر:

ألما على معن وقولا لغيره ... سَقتك الغوادى مرْبعًا بَعد مربع

إذ المعنى: ألما على قبر معن، أى: انزلا به، فقد أطلق اللفظ وأراد المحل بقرينة قوله: «**ألما**» لأنه لا معنى لأن يحل إنسان بآخر، فلفظ «**معن**» مجاز مرسل علاقته الحالية، لأنه حال فى القبر.

٨- **المحلية**: وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]، إذ ليس المراد بالنادى هنا معناه الحقيقى، وهو مكان الاجتماع، بقرينة قوله: ﴿فليدع﴾

لاستحالة دعاء المكان، ولكن المراد هنا: أهل النادى، أى: أنصاره وعشيرته، فلفظ ﴿ناديه﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن النادى محل لأهله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أى: أهلها، فلفظ القرية مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن القرية محل لأهلها، والقرينة هى: استحالة سؤال القرية نفسها.

٩- الآلية: وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] أى: بلغة قومه، فليس المراد باللسان هنا: معناه الحقيقى وهو الجارحة المعروفة، بقرينة استحالة ذلك، وإنما المراد هنا هو: اللغة، ففى «**اللسان**» مجاز مرسل علاقته الآلية، لأن اللسان آلة اللغة.

١٠- اعتبار ما كان: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢] فليس المراد باليتامى المعنى الحقيقى، بقرينة الأمر بدفع الأموال إليهم، وتمكينهم منها بالتصرف فيها، وذلك لا يكون إلا بعد البلوغ حتى يحسنوا التصرف فيما يدفع إليهم من أموال آبائهم، فالمراد باليتامى: البالغون منهم، فإطلاق اليتامى على البالغين الراشدين مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما كان.

١١- اعتبار ما يكون: وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] فليس المراد من الخمر معناه الحقيقى، بقرينة قوله: ﴿أعصر﴾، لأن الخمر عصير، والعصير لا يعصر، ولكنه يريد عنبًا يئُول عصيره إلى خمر، فلفظ «**الخمر**» مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما يكون، أى ما يئُول إليه.

١٢- المجاورة: كما فى قول الشاعر:

فشككتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابهُ ... ليسَ الكريمُ على القنا بمحرمِ

يريد: شككت بالرمح جسمه، أى: طعنته، فليس المراد من الثياب معناها الحقيقى بقرينة قوله: «**شككت**» لأن المراد بالشك هنا: الطعن، وهو إنما يكون فى الأجسام لا فى الثياب، فالثياب إذن مجاز مرسل علاقته المجاورة التامة.

١٣- التقييد والإطلاق: وذلك كما فى إطلاق «**المرسن**» على أنف الإنسان، لأن المرسن فى الأصل أنف الحيوان، لأنه موضع الرسن منه، ثم أطلق عن قيده وأريد منه مطلق الأنف، فصح إطلاقه على أنف الإنسان باعتباره أحد أفراد هذا المطلق، فهو مجاز مرسل علاقته التقييد والإطلاق.

تمرينات
على المجاز المرسل

١- بين المجاز المرسل وعلاقته فى كل مما يأتى:

(أ) قال الشاعر:

ومـــا من يَدٍ إلا يَدُ الله فـــوقــهـــا ولا ظالـمٍ إلا سَـيـبـلى بأظـلـمِ

(ب) وقال أبو الطيب المتنبى فى هجاء كافور:

إنى نـزَلت بكذَّابـين ضـيـفـهـمُ عن القـرَى وعنِ التـرحـال مـحـدُودُ

(جـ) وقال آخر:

لا أركـبُ البـحـرَ إنـى أخـافُ منـهُ المعـاطـبْ

طـينٌ أنـا وهـوَ مـاءٌ والـطـينُ فـى المـاءِ ذائـبْ

(د) وقال السموأل:

تسيل على حد السيوف نفوسنا وليس على غيـر السيوف تسيل

(هـ) وقال آخر:

رأيتكَ محضَ الحلم فى محضِ قدْرة ولوْ شـئت كـان الحلم منـكَ المهندَا

٢- بين المجاز المرسل، ووضح علاقته فى كل مما يأتى:

(أ) بلادى وإنْ جـارتْ علـىَّ عـزيزةٌ وأهْلى وإنْ ضنوا علـيَّ كـرَامُ

(ب) تبيت بمنجاةٍ من اللوْمِ عرضـهـا إذا مـا بُيـوتٌ بـالملامـة حُلت

(جـ) أنا الـذى نظرَ الأعـمـى إلى أدبى وأسـمـعتْ كلماتى منْ بـه صـممُ

(د) فـهـمتُ الـكتـابَ أبرَّ الكـتبْ فنعْـمًا لأمْـرِ أمـيـرِ العـرَبْ

(هـ) وكنت إذا كفٌّ أتتك عَـديمةٌ ترَجّى نوَالا منْ سَحـابكَ بُلت

٣- بين كل مجاز مرسل، وعلاقته فى كل مما يأتى:

(أ) قال الله تعالى: ﴿**يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم**﴾.

(ب) وقال تعالى: ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾.

(جـ) وقال تعالى: ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾.

(د) وقال الله تعالى: ﴿**فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن**﴾.

(هـ) أذلَّ فلانٌ ناصيةَ فلان.

(و) لا تجالسوا السفهاءَ على الحمقِ «**أى على الخمر**».

(ز) سَقت الدَّلوُ الأرْضَ.

(ح) رَعت الماشية الغيث.

(ط) وقال أعرابى لآخر: هل لك بيت؟ «**أى زَوج**».

(ى) الإسلامُ يحثُّ على تحرْير الرِّقاب.

(ك) لا تكنْ أذنا تتقبلُ كلَّ وشاية.

(ل) سَرقَ اللصُّ المنزل.

٤- بين المجاز المرسل وعلاقته فى كل مما يأتى:

(أ) قال الله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفى نعيم**﴾.

(ب) وقال الله تعالى -على لسان نوح عليه السلام- ﴿**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا**﴾.

(جـ) وقال تعالى: ﴿**وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم**﴾.

وقال الشاعر:

كمْ بعثنا الجيشَ جَرّا رًا وأرسلنا العُيونا

(هـ) وقال أمير الشعراء:

وللأوطان فى دَم كل حُر يدٌ سلفتْ ودَيْنَ مستحقُّ

(و) وقال الله تعالى: ﴿**واجعل لى لسان صدق فى الآخرين**﴾.

(ز) قال الله تعالى: ﴿**إنى أرانى أعصر خمرًا**﴾.

الاستعارة

الاستعارة فى اللغـة: طلب العارية، والعارية: ما يتداولوه بينهم، فـالاستعارة إذن مأخذوة من نحو قولهم: استعرت الشيء استعارة.

فإذا ما استعرت كتابًا من صديق -مثلا- فأنت مستعير، والصديق مستعار منه، والكتاب: مستعار، وهذه العملية تسمى: استعارة.

فإذا مـا أخذت لفظًا موضـوعا فى اللغة لشىء ووضـعته لشىء آخـر كنت قد استـعرت ذلك اللفظ، غـير أن الاسـتعـارة لا تأتى إلا بعد المبـالغة فى التـشبـيه وتناسيه.

وتوضيح ذلك: أنك إذا أردت أن تصف خالدًا بالشـجاعة فشبهـته بالأسد في شجـاعتـه، وقلت: خالد كالأسـد فى الشجـاعة، فقـد جعلتـه يشبـه الأسد فى الشجاعة، ولكن الأسد لازال أشجع منه، لأنه يشتـرط فى التشبيه أن يكون المشبه به أقوى من المشبه فى وجه الشبه.

فإذا ما بالغـت أكثر قلت: **«خالد كـالأسد»** وإنما كانت هذه الصـورة أقوى من سابقتها لأنك جعلته يشبه الأسـد، دون أن تحدد ما يشبهه فيه، ولكن هذه الصورة -أيضًا- يفهم منها أن الأسد مازال أشجع -لما علمت من شروط التشبيه.

فإذا ما أردت أن تبلغ نهاية المبالغة فى التشبيه قلت: **«خالد أسد»**.

وهذه الصورة هى التى سماها البلاغيون: التشـبيه البليغ، لأن فيها دعوى اتحاد المشبـه والمشبه به، فـقد ادعـيت فى قولك **«خالـد أسد»** أن خالد هو نفس الأسد بأظفاره ولبده، ولكن غيـرها من صور التشبيه ليس بهذه المثابة لأنـها أكثر الصور الثلاثة اختصارًا وأشدها إيجازًا.

ولكنك إذا زدت على تلك الدرجـة القـصوى من المبـالغة فى التـشبـيه درجـة أخرى، بأن ادعيت أن كون خالد أسدًا أمر مسلم به، فتناسيت هذا التشبيه لأنه فى -رأيك- أقل مما يجب له، وحذفت المشـبه وهو «خالد» وأخذت له لفظ **«الأسد»**

وتحدثت عنه على أنه الأسد بعينه، فقد دخلت فى الاستعارة، كأن تقول: «سلمت على أسد» تريد: خالدا -مثلا-.

وقد تذكر المشبه وتحذف المشبه به ولكنك تبقى شيئًا من لوازمه، كأن تقول: «أظفار المنية نشبت بفلان» تريد أن تبالغ فى تشبيه المنية بالأسد، فتحذفه وتبقى لوازمه، وهى الأظفار والنشوب.

فالاستعارة: تشبيه حذف أحد طرفيه، وإن شئت قلت ما قاله الخطيب: الاستعارة: «مجاز علاقته المشابهة».

وقد علمت أنه يشترط فى المجاز أن تكون هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى للفظ.

فالاستعارة فى اصطلاح البلاغيين هى: «اللفظ المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى».

وذلك كما فى قول زهير:

لدَى أسدٍ شاكِي السلاحِ مُقَذَّفٍ ... له لِبَدٌ أظفارُهُ لمْ تقلَّمِ

يقول: أنا عند أسد، أى رجل شجاع مقدام، فشبهه بالأسد، ثم استعار له لفظ الأسد.

وكقول أبي الطيب المتنبى -وقد قابله الممدوح وعانقه-:

ولمْ أرَ قبلى منْ مشى البحرُ نَحْوَهَ ... ولا رجلاً قامتْ تعانقهُ الأسدُ

فقد شبه الممدوح بالبحر في الكرم وبالأسد فى الشجاعة، ثم استعار له لفظيهما.

وطريقة إجراء الاستعارة أن تقول: شبه الرجل الشجاع بالأسد فى الجرأة والإقدام، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل فى جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به وهو: «الأسد» للمشبه، وأطلق عليه باعتباره أحد أفراد الأسد، ومثل هذا يقال فى كل استعارة.

وأركان الاستعارة -كما رأيت من تعريفها- ثلاثة هي:

(١) المستعار منه: وهو ذات المشبه به «**كالحيوان المفترس**» في المثال السابق، لأن اللفظ الموضوع له وهو «**أسد**» أخذ منه وأعطى لغيره، كالإنسان يستعار ثوبه لغيره.

(ب) والمستعار له، وهو: ذات المشبه، «**كالرجل الجرىء**»، لأن اللفظ الذى هو لغيره أعطى له كالإنسان يستعار له الثوب من غيره.

(حـ) المستعار كلفظ: «**أسد**» لأنه أخذ من صاحبه واستعير لغيره، كالثوب المستعار من صاحبه للابسه.

كيف كانت الاستعارة مجازاً لغويًا:

جمهور البلاغيين على أن الاستعارة مجاز لغوى أى أنها اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، فالتصرف فيها إنما هو فى نقل اللفظ من معناه الموضوع له فى اللغة إلى معنى غيره.

والدليل على ذلك: أن اللفظ المستعار موضوع فى اللغة للمشبه به لا للمشبه ولا لمعنى أعم منهما.

وبيان ذلك: أن لفظ «**أسد**» -مثلا- فى قولك: «**رأيت أسدًا على فرس**» موضوع فى اللغة للحيوان المفترس، وليس موضوعًا للرجل الشجاع، ولا لمعنى أعم منه، كالحيوان الجرىء، رجلا كان أو أسدًا، لأنه لو كان موضوعًا لمطلق حيوان جرىء، كان إطلاقه على كل منهما حقيقة، باعتبارهما من أفراد هذا المطلق، وليس الواقع كذلك، وإذا ثبت أنه لم يوضع لواحد منهما نقلاً عن أئمة اللغة ثبت أن استعماله فى المشبه إطلاق اللفظ على غير ما وضع له، وهذا هو معنى المجاز اللغوى.

الاستعارة تغاير الكذب

والاستعارة تغاير الكذب من ناحيتين:

الأولى: أن الاستعارة مبنية على التأويل، ومعنى التأويل هنا هو: ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، وجعله أحد أفراده، فيقرر أن الأسد -مثلا- فى مثل

قولنا: «**على المنبر أسد**» موضوع لفردين، متعارف، وهو الحيوان المفترس، وغير متعارف، وهو الرجل الجرىء، ولكن الكذب لا تأويل فيه، لأن الكاذب يتعمد الكذب، ومن يتعمد الكذب لا يتأول فى كلامه.

الثانية: أن الاستعارة فيها قرينة مانعة من إرادة المعنى الظاهر من اللفظ، أما الكذب فلا قرينة فيه تمنع من إرادة المعنى الظاهر من اللفظ، بل إن الكاذب ليبذل قصارى جهده فى ترويج ظاهره وإظهار صحة ما يقول.

هذا وينبغى أن تكون على ذكر من أن المشبه به -فى الاستعارة- وهو المستعار منه -يجب أن يكون أمرًا كليًا آخر، حتى يكون له أفراد تستطيع أن تدعى دخول المشبه فى جنسها، ولهذا فإنه لا تصح الاستعارة فى علم الشخص؛ لأن معناه جزئى، لتشخيصه وتعينه فى الخارج، لأن تصوره يمنع وقوع الاشتراك فيه، فلفظ: «**محمد**» -مثلا- لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين محمد مشابهة فى شىء، لأن الاستعارة تقتضى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به باعتباره أحد أفراده -كما أسلفنا- وهذا يقتضى عموم المشبه به، و«**محمد**» المذكور لا عموم فيه، لأنه لا يحتمل غير معناه الذى وضع له، ولكنه إذا عرف بوصف واشتهر به «**كحاتم**» -مثلا- إذ هو علم على الطائى المشهور بالجود، فقد ذاع صيته حتى صار إذا أطلق لفظ «**حاتم**» فهم منه معنى «**الجود**»؛ إذا عرف علم الشخص بوصف واشتهر به حتى صار أمرًا كليًا كحاتم صحت الاستعارة فيه ومثل حاتم «**مادر**» الذى اشتهر بالبخل، و«**قس**» الذى اشتهر بالفصاحة، و«**باقل**» الذى اشتهر بالعى.

قرينة الاستعارة

القرينة -كما عرفت- هى: الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير معناه الحقيقى، وهى نوعان: لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: هى لفظ يلائم المشبه به، يذكر فى الكلام ليصرفه عن إرادة معناه الأصلى، مثال ذلك قولك: «**سلمت على بحر**» تريد: عالمًا جليلا، فلفظ «**بحر**»

مستعار لهذا العالم وقرينة الاستعارة لفظ «سلمت»، لأن التسليم لا يكون على البحر الحقيقى.

وغير **اللفظية**: هى الأمر الخارج عن اللفظ، الذى يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقى، وذلك كدلالة الحال، أو استحالة المعنى.

فمثال ما قرينته دلالة الحال قولك: **«أقبل الأسد»** والسامع يرى رجلا جريئًا مقبلا، فالأسد مستعار للرجل الجرىء، وقرينة الاستعارة: دلالة الحال.

ومثال ما قرينته الاستحالة: قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١] فقد شبه كثرة الماء بالطغيان بجامع مجاوزة الحد فى كل، ثم استعير للكثرة، واشتق منه **«طغى»** بمعنى كثر على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة هى: استحالة الطغيان بمعناه الحقيقى من الماء، إذ هو من شأن الإنسان.

وتتنوع القرينة -أيضًا- إلى أمرين:

الأول: أن تكون أمرًا واحدًا، لا تعدد فيه -كما فى الأمثلة السابقة.

الثانى: أن تكون أكثر من أمر واحد، يكون كل منها كافيًا فى الدلالة على الاستعارة، كقول الشاعر:

فإن تعافوا العدلَ والإيمانا … فإنَّ فى أيمانِنا نيرانا

يقول: إن كرهتم الإنصاف وأبيتم إقرار الأمور فى نصابها وامتنعتم عن التصديق بما جاء به النبى -ﷺ- قهرناكم بما فى أيدينا من سيوف تلمع كشعل النيران، فقد استعير لفظ **«النيران»** للسيوف، والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف هى: كل من العدل، والإيمان، باعتبار تعلق تعافوا بهما، لأن الذى يدعو إلى الإيمان والعدل آخذ بالشريعة، وهى إنما تحمل على الطاعة بحد السيف لا بالإحراق.

وقد تكون القرينة معانى مرتبطًا بعضها ببعض، بحيث تتكون القرينة من مجموعها، كما فى قول البحترى:

وصاعقة من نصلِه تنكفى بها … على أرؤس الأقرانِ خمسُ سَحائبِ

شبـه أنامل الممدوح بالسحائب فـى عموم النفع، ثم استـعار لفظ «السحائب» لأنامل يده، وجعل القرينة عن الاستعارة مـجموع أشياء، فذكر أن هناك «صاعقة» وأنها ساقطة من حد سيفه، وأنهـا منقلبة على أرؤس الأقران، وأنها خمس بمقدار أصابع اليد، فدل ذلك كله على أنه أراد من «**السحائب**» أنامل الممدوح، لما بينها وبين السحائب من عموم النفع والعطاء.

تقسيم الاستعارة

باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى ستة أقسام التالية:

الأول: ما استـعير فيه محـسوس لمحسوس، والجامع حسى، كـما فى قول الله تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾ [الكهف: ٩٩] فالمستعار منه هو: حركة الماء على الوجه المخـصوص، والمستعار هو الحركة والاخـتلاط الناشئان عن الحـيرة والارتـباك، والجـامع بينهـمـا: مـا يشاهد فى كـل من الحركـة الشـديدة والاضطراب، والجميع حسى، ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

رَمَـيـتــهـمُ بـبـحـرٍ مـنْ حَـديدٍ لهُ فـى البـرِّ خَلفَـهـم عُـبَـابُ

فقد جعل جيشه بحرًا من حديد، لكثرة لابسى الحديد فيه، وجعلهم يموجون خلفهم فى سيـرهم كموج البـحر، وهو عبـابه، فالمستـعار منه أولا فى البـيت هو: بحر من الحديد، والمستـعار له: الجنود وهم لابسو الحديد، والجامـع هو: ما يشاهد فى كل من الحركة والاضطراب، وجميع ذلك حسى، ثم استعار ثانيًا: العباب -وهو الموج- لحركة الجيش بجامع ما يوجد فى كل من الحركة والاضطراب، وكل ذلك حسى -أيضًا.

الثانى: ما استعيـر فيه محسوس لمحسوس، والجامع عـقلى، كما فى قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾ [يس: ٣٧] فالمستـعار منه: كشط الجلد وسلخه من الشاة ونحـوها، والمستعار له: إزالة ضوء النهـار وانتزاعه من مكان الليل، وكلاهـما حسى، والجـامع بينهمـا عقلى وهو: ترتب أمر عـلى آخر فى كل منهما، ففى المستعار: ترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وسلخه، وفى المستعار له: ترتب ظهور ظلمة الليل على محو ضوء النهار وإزالته، ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

فإنْ يَكُ سيف دَوْلة غيرِ قيس فمنهُ جُلودُ قيسٍ والثيابُ
وتحت رَبابِه نبتوا وأثوا وفي أيامِه كثرُوا وطَابوا

فهو يقول: إن كان سيف الدولة لغير دولتهم فهو ولى نعمتهم، لأن جلودهم نبتت من إنعامه واكتست من خلعه عليهم، فقد نشئوا وتربوا فى نعمته وإحسانه كالنبت لأنه يأتلف وينبت بالسحاب، والشاهد هنا: استعارته النبات لمن أحسن إليهم سيف الدولة، وكلاهما حسى، ولكن الجامع هنا عقلى، وهو: احتياج كل منهما إلى ما ينميه ويقويه.

الثالث: ما استعير فيه محسوس لمحسوس، والجامع مختلف، بأن يكون بعضه حسيًا، وبعضه عقليًا، كما فى قولك «**رأيت بدرًا يتحدث**» وأنت تريد إنسانًا كالبدر فى حسن الطلعة، ونباهة الشأن، فالأول: حسى، والثانى: عقلى -كما ترى-.

الرابع: ما استعير فيه معقول لمعقول، كما فى قوله تعالى -حكاية عن قول الكفار يوم القيامة: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا**﴾ [يس: ٥٢]؟ فالمستعار منه هو «**الرقاد**» أى النوم على اعتبار أن المرقد مصدر ميمى، والمستعار له: «**الموت**» وكلاهما: «**عقلى**»، والجامع بينهما: عدم ظهور الأفعال الاختيارية -وهو عقلى كذلك-.

الخامس: ما استعير فيه محسوس لمعقول، كما فى قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر: ٩٤] أى: بلغ الأمة الأحكام التى أمرت بتبليغها لهم تبليغًا واضحا لا لبس فيه ولا غموض، فالمستعار منه كسر الزجاجة ونحوها مما لا يلتئم بعد الكسر، وهو حسى، والمستعار له: تبليغ الرسالة للمرسل إليهم وهو أمر عقلى، والجامع بينهما: هو: التأثير فى الشىء، بحيث لا يعود إلى ما كان عليه وهو: أمر عقلى، والمعنى: أَبِن الأمر إبانة لا يعود معها إلى الخفاء، كما أن كسر الزجاجة لا تعود معه إلى الالتئام.

السادس: ما استعير فيه معقول لمحسوس، كما فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ [الحاقة: ١١] أى: لما كثر الماء، فالمستعار منه هو: التكبر والتعالى -وهو عقلى- والمستعار له: كثرة الماء -وهو حسى- والجامع بينهما: هو الخروج عن حد الاعتدال -وهو عقلى-.

تقسيم الاستعارة باعتبار
ذكر أحد الطرفين

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار إلى قسمين: تصريحية، ومكنية.

وذلك لأن المذكور من الطرفين إن كان لفظ المشبه به كانت الاستعارة تصريحية، وإن كان المشبه دون المشبه به كانت الاستعارة مكنية.

فالاستعارة التصريحية هي: **«لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف»** كما في قولك: **«رأيت أسدًا يمتطي صهوة جواده»** تريد: رجلا شجاعا، فلفظ «أسد» هو لفظ المشبه به المستعار للمشبه.

وإنما سميت هذه الاستعارة: تصريحية، للتصريح فيها بلفظ المشبه به -كما رأيت- وللاستعارة التصريحية تقسيمان باعتبارين:

أولهما: تقسيم باعتبار **«لفظ المشبه به»**.

والآخر: تقسيم **«باعتبار الملائم»**.

١- تقسيم التصريحية باعتبار:
(لفظ المشبه به)

والاستعارة التصريحية بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: أصلية وتبعية.

فالأصلية هي: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم عين **«كالأسد»** أو اسم معنى **«كالضرب»** و **«القتل»** كقولك: **«رأيت أسدًا يداعب أقرانه»** تريد: رجلا شجاعًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن تقول: شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الجرأة في كل منهما، ثم تنوسي التشبيه، وادعى أن الرجل الشجاع فرد من أفراد الأسد وداخل في جنسه، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه استعارة أصلية، لأن اللفظ المستعار وهو **«أسد»** اسم جنس، إذ هو يصدق على كل فرد من أفراد هذا الحيوان المفترس وكقولك: **«آلمني قتل زيد أخاه»** تقصد إذلاله إياه، وتقول في إجرائها:

شبهنا الإذلال بالقتل، بجامع شدة الألم فى كل منهما، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه وهو: الإذلال، داخل فى جنس المشبه به وهو: القتل، وفرد من أفراده، ثم استعرنا لفظ المشبه به وهو: القتل للمشبه وهو: الإذلال، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، لأن اللفظ المستعار هو: اسم جنس.

وقد يتأول فى اسم العلم المشهور بوصف، فيستعار اسم جنس تأويلا، كما فى قولك: «**رأيت اليوم حاتما**» تقصد: رجلا كريمًا، فلفظ «**حاتم**» علم على ذات معروفة، ولكن تؤول فيه، فجعل اسم جنس موضوعًا لمطلق ذات متصفة بالجود، ومن هنا صح جعله استعارة لكل جواد، بادعاء دخوله فى جنس حاتم واعتباره فردًا من أفراده.

وإجراء الاستعارة فيه أن تقول: شبه فلان بالرجل الكريم، بجامع الجود فى كل منهما، ثم تنوسى التشبيه، وادعى أن المشبه أحد أفراد حاتم باعتبار مفهومه الكلى التأويلى، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية، لأن اللفظ المستعار، وهو: «**حاتم**» اسم جنس تأويلاً، والتبعية هى: ما كان اللفظ فيها: فعلا، أو اسمًا مشتقًا، أو حرفا.

١- فأما الاستعارة فى الفعل: فهى إما أن تكون فى الفعل باعتبار مادته، وإما أن تكون باعتبار صيغته.

(أ) فمثال الاستعارة فى الفعل باعتبار مادته: قول الله تعالى: ﴿**يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [الروم: ٥٠]، فقد شبه تزيين الأرض بالنبات بالإحياء فى الحسن والنفع، ثم استعير الإحياء للتزيين، فصار الإحياء بمعنى التزيين، ثم اشتق من الإحياء بهذا المعنى «**يحيى**» بمعنى: يزين، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى:

وتُحْيى لهُ المالَ الصوارمُ والقنا ... ويقتلُ ما تحيى التبسمُ والجدا

فقد شبه جمع المال بالصوارم والقنا بالإحياء، بجامع عموم النفع فى كل؛ ثم تنوسى التشبيه وادعى أن المشبه -وهو جمع المال- فرد من أفراد المشبه به -وهو

الإحياء- وداخل فى جنسه، ثم استعير الإحياء لجمع المال بالصوارم والقنا، ثم اشتق منه: تحيى، بمعنى: تجمع له المال، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(ب) ومثالها فى الفعل باعتبار صيغته قول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠] لم يَقلْ: ويُنادِى، مع أن النداء سيكون فى الدار الآخرة، ولكنه عبر بصيغة الماضى تجوزا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى كما فى قوله تعالى -حكاية لقول إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل-: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] لم يقل: «إنى رأيت فى المنام» مع أن الرؤية قد وقعت فى الماضى، لكنه عبر عن الماضى بصورة المضارع تجوزا.

وإجراء الاستعارة فيه أن تقول: شبهت الرؤية فى الماضى بالرؤية فى الحال، لاستحضار الصورة العجيبة، وهى صورة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه، ثم استعير لفظ الرؤية فى الحال، للرؤية فى الماضى، فصارت الرؤية الحالية، بمعنى الرؤية الماضية، ثم اشتق من الرؤية بهذا المعنى: «أرى» بمعنى «رأيت» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

٢- وأما الاستعارة فى المشتق: فمثالها فى اسم الفاعل قولك: «**جليل أعمالك ناطق بكمالك**» أى: دال عليه، ففى «**ناطق**» استعارة تبعية، وإجراؤها أن يقال: شبهت الدلالة بالنطق فى الكشف عن الغرض فى كل، ثم استعير «**النطق**» «**للدلالة**» ثم اشتق من النطق بهذا المعنى: ناطق بمعنى دال على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها فى اسم المفعول قولك: «**رفع مقتولك أمره إلى الحاكم**» أى: مضروبك ضربًا شديدًا وطريقة إجرائها: أن تقول: شبه الضرب الأليم بالقتل فى قسوة الألم، ثم استعير القتل بمعنى: الضرب الشديد، ثم اشتق من القتل بهذا المعنى: «**مقتول**» بمعنى: مضروب ضربًا شديدًا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في الصفة المشبهة قول الشاعر:

ولئنْ نطقتُ بشكرِ برِّكَ مفصحًا فلسانُ حَالي بالشكايةِ أنطق

أي أدل: فشبه الدلالة بالنطق، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة: «**أنطق**» بمعنى: «**أدل**»، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومثالها في اسمي الزمان والمكان قولك: «**هذا مقتل فلان**» مشيرًا إلى زمان ضربه ضربًا شديدًا أو إلى مكانه، فتشبه الضرب الشديد بالقتل، ثم تشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد «**مقتل**» اسم زمان أو مكان، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في الحرف قول الله تعالى: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا**﴾ [القصص: ٨] فلام العلة: موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها ترتُّب العلة على المعلول، وعلى هذا، فاللام في قوله تعالى: ﴿**ليكون**﴾ مستعملة في غير ما وضعت له، لأن ما بعدها -وإن كان مترتبا على ما قبلها- ليس علة باعثة عليه، لأن آل فرعون لم يلتقطوا موسى -عليه السلام- ليكون لهم عدوا وحزنًا، وإنما التقطوه ليكون لهم حبيبًا وسرورًا، ولكن لما كانت النتيجة المترتبة على الالتقاط هي العدوان والحزن لا المحبة والسرور شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط في الواقع بالمحبة والسرور اللذين كان ينبغي أن يترتبا عليه، ثم استعملت فيه اللام تجوزًا.

وطريقة إجراء الاستعارة فيه أن تقول: شبه مطلق ترتب علة واقعية «**كالعداوة والحزن**» على الالتقاط، بمطلق ترتب علة غائية «**كالمحبة والسرور**» بجامع مطلق ترتب شيء على شيء فسرى التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما، ثم استعير بناء على هذا التشبيه الحاصل بالسراية اللام الموضوعة لجزء من جزئيات المشبه به لجزء من جزئيات المشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(قرينة الاستعارة التبعية)

ترجع قرينة الاستعارة التبعية -في الفعل والمشتقات- غالبا إلى ما يأتي:

أولا: الفاعل: وذلك بأن يكون إسناد الفعل إليه غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ**

حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] إذ الطغيان بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من الماء، فدل ذلك على أن المراد بالطغيان ما يصح إسناده إلى الماء، وهو الكثرة التى جاوزت الحد.

ومنه قول الشاعر يصف البحر وهو مزدان فى فصل الربيع:

تبسم البحرُ منْ بعدِ العبوسِ فهلْ … للبحر -أيضًا- مَسراتٌ وأحزَانُ؟!

فالتبسم بمعناه الحقيقى يستحيل صدوره من البحر، وذلك دليل على أن المراد بالتبسم هنا ما يصح إسناده إلى البحر، وهو ما يكون على شاطئه من زينة فى فصل الصيف.

ثانيًا: نائب الفاعل: وذلك بأن يكون إسناد الفعل إليه غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بالفعل معنى يناسب نائب الفاعل، كما فى قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] فالضرب -وهو نصب شىء- من شأن الخيام، لا من شأن الذلة والمسكنة؛ لأنهما أمران معنويان، فدل ذلك على أن المراد بالضرب معنى يناسبهما، وهو الحكم، ويكون المعنى -حينئذ-: حكم عليهم بالذلة والمسكنة.

ثالثًا: المفعول: وذلك بأن يكون تسلط الفعل أو ما يشتق منه على المفعول غير صحيح، فيدل ذلك على أن المراد بهما معنى يناسب المفعول، كما فى قول عبدالله بن المعتز:

جُمعَ الحَقُّ لنا فى إمام … قتلَ البخل وأحيا السماحَا

فالقتل والإحياء لا يقعان إلا على ذى روح، والبخل والسماح ليسا من ذوى الأرواح، وهذا دليل على أن المراد بالقتل معنى يناسب البخل، وهو الإزالة، كما أن المراد بالإحياء معنى يناسب الجود وهو الإكثار، وقد تكون القرينة فى المفعول الثانى كما فى قول القطامى:

نقريهمُو لهذَميات نقدُّ بها … مَا كان خَلطَ عَليهمْ كلُّ زراد

فقوله: نقريهمو لهذميات: استعارة تبعية، قرينتها لهذميات، وهو المفعول الثانى لنقرى، لأن القرى هو: ما يقدم للضعيف من طعام، فلا يجوز إيقاعه على

اللهذميات بمعنى الطعنات، فدل ذلك على أن المراد بالقرى: معنى يناسب هذه الطعنات، وهو تقديمها إلى الأعداء عند اللقاء.

وقد تكون القرينة فى المفعولين معًا، كما فى قول الحريرى:

وَأَقْرِى المسامعَ إما نطقت بيانًا يَقُودُ الحرونَ الشمُوسا

والشاهد هنا فى قوله: «**وأقرى المسامع بيانًا**» فأقرى: استعارة تبعية فى الفعل؛ وقرينتها: تعلق القرى بكل من: المسامع والبيان؛ وذلك لأن القرى -وهو تقديم الطعام للضيف- لا يصح إيقاعه على المسامع والبيان، وذلك دليل على أن المراد بالقرى: معنى يناسبهما، وهو: التقديم.

رابعًا: المجرور: وذلك بأن يكون تعلق الفعل بالمجرور غير مناسب، فيدل ذلك على أن المراد به معنى يناسب ذلك المجرور، كما ترى فى قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران: ٢١] وذلك لأن التبشير هو: إخبار بما يسر تعلقه بالعذاب، وذلك دليل على أن المراد بالتبشير معنى يناسب العذاب وهو الإنذار، أى: الإخبار بما يحزن ففى قوله تعالى: «**فبشرهم**» استعارة تبعية قرينتها: مجرور الحرف.

٢- تقسيم التصريحية باعتبار الملائم

للاستعارة التصريحية باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين أو عدم ذكره أقسام ثلاثة هى: المرشحة، والمجردة، والمطلقة.

فأما المرشحة فهى: ما ذكر معها ما يلائم المستعار منه، أى المشبه به، سواء أكان الملائم صفة نحوية كما فى قولك: «**سلمت على أسد حاد الأنياب منتفش اللبدة**» فقد استعرت الأسد للرجل الجرىء، ثم وصفت المستعار منه، بما يلائمه من حدة الأنياب، وانتفاش اللبدة، ترشيحًا للاستعارة، أو كان الملائم صفة معنوية، كما فى قول الشاعر:

يُنازِعنى ردائى عَبدُ عَمرو رُوَيدَكَ يا أخا عَمرو بن بَكرِ

لِىَ الشطرُ الذى مَلكتْ يمينى وَدُونكَ فاعتجِرْ منه بشطرِ

فقد استعار الرداء للسيف، ثم وصف الرداء -وهو المستعار منه- بما يلائمه من الاعتجار، وهو: لف الرأس بنحو ثوب ترشيحًا للاستعارة.

أو كان الملائم تقريبًا، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] فقد استعير الاشتراء «للاختيار» واشتق منه: «اشتروا» بمعنى: اختاروا، ثم فرع عليه بما يلائم المستعار منه، وهو: نفي الربح والتجارة ترشيحًا للاستعارة.

وأما المجردة فهي: «ما ذكر معها ما يلائم المستعار له» سواء أكان الملائم صفة نحوية، كما في قول البحتري:

يؤدونَ التحيةَ من بعيدٍ إلى قمرٍ منَ الإيوانِ بادِ

فقد استعار القمر للإنسان الجميل، ثم وصف المستعار له بما يلائمه من كونه مطلاً من الإيوان تجريدًا للاستعارة، وقرينتها قوله: «**يؤدون التحية من بعيد**».

أو كان الملائم صفة معنوية، كما في قول كثير عزة:

غمرُ الرِّداءِ إذا تبسمَ ضاحِكًا غلقتْ لضحكتِه رقابُ المالِ

أي: هو كثير العطاء واسع الجود، فإذا ما تبسم لطالبي معروفه تمكنت من أيديهم رقاب أمواله وتعذر انفكاكها، كالرهن الحبيس في يد المرتهن وقد عجز الراهن عن استرداده.

وقد استعار الشاعر الرداء للعطاء بعد أن شبه العطاء به في الوقاية والحفظ، فالمال يصون العرض والرداء يصون السوأة، ثم وصف الرداء «**بالغمر**» الملائم للمستعار له وهو العطاء تجريدًا للاستعارة، وقرينتها: بقية البيت من تبسم الممدوح، وحبس رقاب أمواله في أيدي طالبي معروفه، أو كان الملائم تفريعًا: كما في قولك: «**رأيتُ غَضنفرا في حومة الوغى، فلجأت إلى ظلِّ رمحه**» فقد استعير «**الغضنفر**» للرجل الجريء، والقرينة هي: «**في حومة الوغى**» ثم فرع عليه بما يلائم المستعار له وهو اللجوء إلى ظل رمحه.

وإنما سميت هذه الاستعارة مجردة لأنها تجردت عما يقوي فيها دعوى اتحاد المشبه بالمشبه به.

وقد اجتمع الترشيح والتجريد في قول زهير:

لدَى أسد شاكى السلاح مُقذف ... له لبدٌ أظفاره لم تقلم

فقد استعار «**الأسد**» للرجل الجرىء، وقوله «**لدى أسد**» قرينة الاستعارة، أما قوله: «**شاكى السلاح**» فهو: تجريد، لملاءمته للمستعار له، وأما قوله: «**له لبد**» وقوله: «**أظفاره لم تقلم**» فترشيح لملاءمتها للمستعار منه.

وأما المطلقة فهى: ما لم يذكر معها ما يلائم شيئًا من ملائمات الطرفين، كما فى قولك: « **رأيت بحرًا يشرح القرآن الكريم**» تريد: عالمًا واسع العلم، فقد استعرت «**البحر**» للعالم وقولك: «**يشرح القرآن الكريم**» قرينة للاستعارة، وإنما سميت مطلقة لأنها أطلقت عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين.

وقد اعتبر البلاغيون ما اجتمع فيها الترشيح والتجريد من قبيل الاستعارة المطلقة، لأن الترشيح والتجريد إذا اجتمعا تعارضا، فتساقطا، فكأنك لم ترشح ولم تجرد.

أى الاستعارات الثلاث أبلغ؟

لما كان مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، وكان الترشيح إمعانًا فى هذا التناسى، وغلوا فى دعوى هذا الاتحاد، حتى كأن ليس هناك استعارة، بل ولا تشبيه كانت الاستعارة المرشحة أبلغ الاستعارات الثلاثة.

ولما كانت المطلقة خالية مما يقوى تناسى التشبيه ويدعم دعوى الاتحاد، وليس فيها -أيضًا- ما ينافيها كانت خليقة بأن تكون فى المرتبة الوسطى بين الاستعارتين المرشحة والمجردة، وعلى هذا فالاستعارة المجردة تجىء فى المرتبة الدنيا من هذه الاستعارات الثلاث لأنها قد اشتملت على ما يلائم المشبه، وهو ما يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسى التشبيه ودعوى الاتحاد.

الاستعارة المكنية:

عرفت -مما أسلفنا لك- أن الاستعارة تنقسم باعتبار ذكر أحد طرفيها إلى تصريحية ومكنية، وقد عرفت الاستعارة التصريحية، فإليك الحديث عن الاستعارة المكنية.

تعريفها: هى عند جمهور البلاغيين: «**لفظُ المشبه به المستعـارُ فى النفس للمشبه، والذى قـد حذف ودل عليـه بإثبات شىء من لوازمـه وخواصـه**»، كمـا فى قول أبى ذؤيب الهذلى:

وإذا المنيـــةُ أنشـــبتْ أظفـــارَها   ألفـــيتَ كلَّ تميـــمـــةٍ لا تنـفعُ

أى: إذا جاء الأجل فلا راد لقضاء الله، ولن تجدى التمائم والرقى فى دفعه فقد شبه المنية بالسـبع فى اغتيال النفوس من غير تمييز بين نـافع وضار، ثم استعار فى نفسه لفظ السبع للمنية بعد تناسى التشبيه وادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به، ثم قدر حذفه، دالاً عليه بذكر بعض خواصه.

وكقول الشاعر:

ولَئنْ نطقـتُ بشكر برِّكَ مُـفـصـحًا   فلســـانُ حَـــالى بالشـكاية أنـطقُ

أى: إذا نطقت بلسانـى مفصـحًا عن شكر برك، فلسان حـالى أنطق بالشكاية منك، لأن ضررك أكثر من نفعك.

فقد شـبه حاله بإنسان مـتكلم، فى الدلالة على المقصود، ثم استـعار الإنسان للحال، ثم حذفـه ودل عليه بإثبات لازمه وهو اللسان، وأثبت للحـال على سبيل الاستعارة المكنية.

وكقول محمود غنيم فى قصيدته «**على سطح القمر**»:

مَـضى عـهـدُ البـخـــار فـبـاتَ يبكى   علـى أطلال دَولتـــه البـــخـــــار

فقد شبه البخار بملك مخلوع، ثم استـعاره للبخار، ثم حذفه ودل عليه بإثبات لازمه وهو البكاء على أطلال دولته، وأثبت للبخار على سبيل الاستعارة المكنية.

ففى الأمـثلة الثلاثة السابقة: حـذف لفظ المشبه به، وكنى عنه بذكـر لازمه ثم أثبت هذا اللازم للمشبـه المذكور، وما كان كذلك فـهو استعارة مكنيـة، فالمذكور دائمًا فى المكنيـة من الطرفين هو: المشبه، والدليل علـى التشبيـه هو إثبات اللازم للمشبه.

وإنما سميت هذه **الاستعارة مكنية**: لأنه لم يصرح فيها بالمشبه به، وإنما كنى عنه بذكر لازمه.

قرينتها: قرينة الاستعارة المكنية هى: «**إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور**» وذلك كإثبات الأظفار للمنية فى بيت أبى ذؤيب، فهذا الإثبات دليل على أن الكلام استعارة بالكناية، وهو عند البلاغيين يسمى: «**استعارة تخييلية**».

أما أنه استعارة: فلأن اللازم المذكور -وهو الأمر المختص بالمشبه به- استعير للمشبه واستعمل معه.

وأما أن هذه الاستعارة تخييلية: فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به.

ومن هنا يتبين لك أمران:

أولهما: أن قرينة الاستعارة المكنية استعارة «**تخييلية**» دائما، لأنها إثبات لازم المشبه به للمشبه، وأنهما متلازمان، فلا توجد إحداهما بدون الأخرى.

والآخر: هو أن طرفى الاستعارة التخييلية مستعملان فى معنييهما الحقيقيين فالأظفار والمنية فى بيت أبى ذؤيب -مثلا- كل منهما مستعمل فى المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو فى إثبات الأظفار للمنية.

****

المجاز المركب

هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى.

وهو باعتبار علاقته يتنوع إلى نوعين، لأن العلاقة إما أن تكون المشابهة، وإما أن تكون غيرها، فإن كانت العلاقة هى المشابهة كان المجاز المركب مجازًا مرسلا.

(أ) فأما الاستعارة التمثيلية: فهى اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة.

وقد أسلفنا لك القول فى التشبيهات المركبة، أى فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة ويمكنك أن تستعير فيها لفظ المشبه به للمشبه» كما فى قولهم لمن تردد فى فعل شىء وتركه: **«أراكَ تُقَدِّم رجلاً وتؤخرُ أخرى»**.

فإذا ما عدنا بهذا التركيب المجازى إلى حقيقته قلنا: إن المعنى: أراك متحيرًا فى أمرك مترددًا.

وإذا ما أجرينا الاستعارة فيه قلنا: شبهت هيئة المتردد فى أمره بين الإقدام والإحجام بهيئة رجل قام ليذهب إلى جهة فتارة يعقد النية على الذهاب فيقدم رجلا، وتارة يعدل فيؤخر أخرى، والجامع: هى الهيئة الحاصلة من إقدام تارة، وإحجام أخرى، ثم استعير لفظ المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية.

وسميت الاستعارة فى المركب تمثيلية لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة -كما رأيت-.

على أن الاستعارة التمثيلية إذا شاع استعمالها، فإنها تسمى: «**مثلا**»، ولهذا فإن الأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية.

والمثل يراعى فيه المعنى الذى ورد فيه أولاً، ولهذا فإنك تخاطب به المفرد والمثنى والجمع مذكرا كان أو مؤنثًا، دون أن تغير عبارته التى ورد بها، كما فى قولهم: **«الصيف ضيعت اللبن»** بكسر تاء الفاعل، لأنه ورد فى امرأة، ولكنه لما شاع استعماله

أصبح مثلا يضرب لمن طلب شيئًا بعد أن فرط فيه وضيعه، ففاتت فرصته.

وأصل هذا المثل: أن امـرأة شابة تدعى «**دسوس**» بنت لقيـط بن زرارة، كانت تحت شيخ يدعى «**عمـرو بن عويس**» وكان طاعنًا فى السن ذا ثروة، فـزهدت فيه وكرهت معاشرته لضـعفه وكبره، ورجته أن يتركهـا فلبى طلبها، وكان ذلك زمن الصيف، ثم تزوجت من بعده من شاب فقير يدعى: «**عمرو بن معبد بن زرارة**» ثم احتـاجت إلى اللبن زمن الشتاء، فـجاءت إلى زوجهـا الأول تطلب منه لبنًا، فلم يجبها إلى طلبها، وقال لها: «**الصيف ضعيت اللبن**» فذهبت مثلا.

فإذا ما أردنا إجراء الاستعارة فيه قلنا: شبهت هيئة من فرط فى شىء فى وقت إمكان تحصيله ثم طلبه فى وقت يتعذر الحصول عليه فيه، بهيئة امرأة تركت زوجها صاحب اللبن الوفيـر، ثم أتت إليه بعد فراقهـا له تطلب منه اللبن، والجامع: هو الهيئـة الحاصلة من التفريط فى الشىء فى وقت إمكانه، ثم طـلبه وقت تعذره ثم استعير اللفظ المركب الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

(ب) **وأما المجاز المركب المرسل: فهو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.**

ومثال ذلك: الجملة الخبرية المستعملة فى الإنشاء لأغراض لم يوضع لها الخبر، وذلك كإظهار التحسر، أو الضعف، أو السرور، أو الشماتة أو نحو ذلك.

فمثال استـعمال الخبر فى الإنشاء لغـرض التحسر قول الشاعر، مـتحسرًا على ذهاب شبابه:

ذهب الـصِّـــــبـــــا وتولـت الأيامُ فـعلى الصِّبـا وعلى الزَّمـانِ سَـلامُ!

فقد استـعمل الخبر فى إنشاء التـحسر والتحزن على فوات الشـباب وذهاب أيامه العذاب، والعـلاقة فيـه هى اللزوم، إذ يلزم من الإخبـار بذهاب الصبـا وتولى أيامه الباسمة التحسر والأسى على فواته، بقرينة قوله: «**فعلى الصبا وعلى الزمان سلام**».

ومنه قول محمودغنيم، يتحسر على ذهاب شبابه:

مَـشيت على الأرْضِ الـهوَيْنى كـأنما أبى لـى وقــــارِى أنْ يرَانىَ عــــاديا

ومـا بى -لعـمـرى- منْ وقـارٍ، وإنما هوَ العـجـزُ لوْلاهُ سَـبـقت خَـيـاليـا
وَعــزَّزتْ سَــاقىَّ اللـتينِ ترَاخَـيـا بثـالـثـةٍ لمْ تجـرِ فـيـهـا دمـائـيـا!!

فلفظ الأبيات الثلاثة خبر، ولكنه أراد إنشاء التحسر على ذهاب الشباب.

متى تحسن الاستعارة؟

يرى البلاغيون أن من شروط حسن الاستعارة ما يلى:

أولا: رعاية جهات حسن التشبيه، أى مـراعاة أسباب حسنه لأنها مبنية عليه، فتحسن بحسنه، وتقبح بقبحه.

فمن جهات حسن التشبيـه: أن يكون وافيًا بالغرض منه، وأن يكون وجه الشبه فيه غير مبتذل، فإذا أردت -مثلا- تزيين المشبه، كوجه أسود، فقلت: «**رأيت مقلة ظبى**» حسنت الاسـتعـارة، لوفاء التـشبيـه بالغرض فـإذا قلت -وأنت تريد تزيين المشبه- «**رأيت فـحمـا**»، وأردت وجهـا أسود لم تحـسن الاستـعارة لعـدم حسن التشبيه، لأنه لم يف بغرضك وهو التزيين.

ثانيًا: أن يزداد بعدها عن الحقـيقة بالترشـيح، ولهذا كانت الاستعـارة المرشحة أكثر قبولا فى ذوق البلغاء من أختيها.

ثالثًا: ألا يشتم فيها رائحة التـشبيه لفظًا، ومعنى ذلك ألا يذكر فى الكلام لفظ يدل على المشبه، كـما فى قولك: «**زارنى بدر فى منزلى**»، إذ ليس فى العبـارة ما يدل على المشبه:

أما قول الشاعر:

لا تعـجـبـوا منْ بلى غِـلالتـهِ قـدْ زرَّ أزْرَاره علـى القـمـرِ

فالاستعارة هنا: قليلة الحسن، لأن معها ما يدل على المشبه، وهو: الضمير فى قوله: «**غلالته**» وفى قوله «**أزراره**».

رابعًا: ألا يكون وجه الشـبه خفيًـا جدًا بحيث لا يدرك بغيـر تأمل ونظر، فلا تحسن استعارة لفظ «**أسد**» للرجل الأبخر، وهو ذو الفم النتن لخفاء وجه الشبه.

تمرينات
على الاستعارة

١- أجر الاستعارة وبين نوعها وقرينتها فى كل مما يأتى:

(أ) قال الشريف الرضى فى الشيب:

ضوءٌ تشعشعَ فى سَوادِ ذوائبى ... لا أستضىءُ به ولا أستصبح
بعثُ الشبابَ به على مقةٍ لهُ ... بَيعَ العليمِ بأنهُ لا يربحُ!

(ب) وقال التهامى فى رثاء ابنه:

يَاكوكبًا ما كانَ أقصرَ عُمره ... وكذاكَ عمرُ كواكبِ الأسحارِ!

(جـ) وقال ابن الرومى:

بَلدٌ صَحبتُ به الشبيبةَ والصِّبا ... ولبستُ ثوبَ اللهوِ وهوَ جديدُ

(د) وقال ابن الرومى -أيضًا-:

حَيتكَ عنا شمالٌ طاف طَائفها ... بَجنة نفحتْ روحًا ورَيحانا
هبتْ سُحيرًا، فناجى الغصن صَاحبه ... سرًّا بها وتداعى الطيرُ إعلانا

(هـ) وقال مهيار:

مَا لِسارِى اللهوِ فى ليلِ الصِّبا ... ضلَّ فى فجرٍ برأسىَ وَضحا؟

(و) وقال السرى الرفاء يصف شعره:

إذا مَا صَافحَ الأسْماعَ يومًا ... تَبسَّمَت الضمائر والقلوبُ

(ز) وقال آخر فى وصف روضة :

وأعطافُ الغصونِ لها نشاطٌ ... وأنفاسُ النسيمِ بها فتور

(ح) وقال غيره:

يضاحكها الضحى طورًا وطورًا ... عليها الغيث يَنسجم انسجاما

(ط) إنْ أمْطرت عَيناىَ سَحًا فعن — بَوارق فى مفوقى تلمع[١]

(ى) إنَّ التباعدَ لا يضرّ — إذا تقاربَت القلوب

(ك) قال السرى الرفاءُ فى وصف دولاب:

فمنْ جنان تريكَ النورَ مُبتسمًا — فى غير إبانه والماءَ منسكبًا

كأنَّ دولابها -إذ أنَّ- مغتربٌ — نأى فحنَّ إلى أوطانه طَربا

بَاكٍ إذا عقَّ زهرَ الرَّوْض والدُهُ — منَ الغمام غَدا فيه أبًا حَدبا

مشمر فى مَسير ليس يبعدُه — عن المحلِّ ولا يُبدى لهُ تبعا

ما زال يطلبُ رفدَ البحر مجتهدًا — للبرِّ حتى ارْتدى النوار والعشبا

(٢) بين نوع الاستعارة فى كل مما يأتى وعين ما بها من ترشيح أو تجريد أو إطلاق.

(أ) قال السرى الرفاء :

وقد كتبت أيدى الربيع صحائفًا — كأن سطور السَّرْو حسنًا سطورُها

(ب) وقال المتنبى:

وغيبت النوى الظبيات عنى — فساعدَت البراقعَ والحجالا

(جـ) وقال يخاطب ممدوحه:

يَا بدْرُ يا بحرُ يَاغمامةُ — يا ليثَ الشرى يَا حِمامُ يا رجلُ

(د) وقال بدر الدين يوسف الذهبى:

هَلمّ يَا صاحِ إلى رَوْضة — يَجلو بها العانى صَدا همه

نسيمُها يَعثرُ فى ذيله — وزَهْرُها يَضحكُ فى كمه

(هـ) وقال سعيد بن حميد:

وَعد البدْرُ بالزِّيارة ليلاً — فإذا ما وفى قضيتُ نذُورى

(١) هكذا فى الأصل. اهـ. مصححه.

(و) وقال أبو تمام مادحًا:

نالَ الجـزيرة إمـحالٌ فـقـتل لهم ... شيـمـوا نداهُ إذا مَا البـرْقُ لم يَشم

(ز) وقال عبدالله بن المعتز :

مـا ترَى نـعـمـة السـمـاء على الأر ... ض وشـكـرَ الـريـاضِ لـلأمـطـارِ؟

(ح) وقال التهامي يعتذر لحساده :

لا ذنبَ لي قـدْ رُمتُ كـتمَ فـضـائلي ... فكـأنما برقـعت وجـهَ نـهـارِ!

(ط) وقال أبو الطيب المتنبي:

في الخـد إنْ عـزمَ الخليطُ رحيـلاً ... مَطـرٌ تزيد به الخـدُودُ مـحـولاً

٣- بين نوعَ كل استعارة من الاستعارات التالية وأجرها:

(أ) قال أبو الطيب المتنبي مخاطبًا سيف الدولة :

ألا أيُّهـا السـيف الذي ليس مـغمـدًا ... ولا فـيـه مـرتـابٌ ولا منهُ عَـاصم

(ب) وقال البحتري:

إذا مـا الجـرح رُمَّ على فسـادِ ... تبـينَ فـيـهِ إهمـال الـطبـيبِ!

(جـ) وقال آخر:

ومنْ ملـك البـلاد بغـيـر حـرب ... يَهـونُ عَليـهِ تسليم البـلادِ

(د) وقال المتنبي:

إليـك فـإني لسـت ممن إذا اتـقى ... عضـاضَ الأفاعي نام فوْقَ العـقاربِ

(هـ) لا يضرُّ السحابَ نبحُ الكلاب!

(و) قال الله تعالى: ﴿ربنا أفرغْ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾.

(ز) وقال تعالى: ﴿اهدنا الصراطَ المستقيمَ﴾.

(ح) وقال الشاعر:

ومنْ يخـطبِ الحـسـناءَ لم يغـلهـا المهــرا

(ط) وقال المتنبى:

غـاضَ الوفـاءُ فـمـا تـلقـاهُ فى غـدَةٍ   وأعوَزُ الصـدقِ فى الأخبـارِ والقسمِ

(ى) وقال الشاعر:

أضـاءَتْ لهمْ أحسـابُهمْ ووجـوُههمْ   دُجى الليلِ حتى نظمَ الجَـزعَ ثاقِبـه

(ك) وقال البارودى:

فى لُجةِ البحرِ ما يغنى عن الوَشَلِ

****

الكناية

تعريفها:

هى: **(لفظ أطلق وأريدَ به لازم مَعناهُ الحَقيقى، لقرينة لا تمنعُ مِنْ إرَادة هَذا المعنىَ مع المعنى المراد)**

وهى واسطة بين الحقيقة والمجاز، فهى ليست حقيقة لأن اللفظ لم يرد به معناه الحقيقى بل أريد به لازم هذا المعنى، وليست مجازًا لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى.

ومثالها قول الشاعر:

طويلُ نِجاد السيف شَهم كأنما ... يَصولُ إذا استخدَمته بقبيل

فقوله: **(طويل نجاد السيف)** معناه الحقيقى: أن الممدوح نجاده طويلة، ولكن هذا المعنى ليس مرادًا، وإنما المراد: لازم هذا المعنى، وهو أنه طويل القامة، وذلك لأنه يلزم من طول النجاد أن تكون القامة طويلة، ومع هذا يصح أن يراد المعنى الحقيقى، بأن يراد المعنيان معًا: طول النجاد، وطول القامة.

وهنا يجب أن تعلم ما يلى:

أولاً: أنه لا يلزم -فى الكناية- أن يكون المعنى الحقيقى للفظ متحققا فى الواقع، إذ يصح أن تقول: **(محمد طويل النجاد)** كناية عن طوله، وإن لم يكن له نجاد أصلاً.

ثانيًا: أن الفرق بين المجاز والكناية، هو: وجوب وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للفظ فى المجاز، بخلاف الكناية، فإن القرينة فيها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى للفظ.

أقسامها

تنقسم الكناية -باعتبار المكنى عنه- إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كناية عن صفة، وهى: ما صرح فيها بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولم يصرح فيها بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها، ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها

كما فى المثال السابق، وكما فى قولهم: «**فلانة نئوم الضحى**» كناية عن أنها مترفة مخدومة، فقد صرح بالموصوف -وهو فلانة- كما صرح بالنسبة، وهى: إسناد النوم فى الضحى إليها، ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، وهى: «**الترف والنعمة**» ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها، وهى: النوم إلى الضحى.

وهى نوعان: قريبة، وبعيدة:

(أ) فالقريبة هى: «ما ينتقل فيها الذهن من المعنى الأصلى إلى المعنى المقصود بلا واسطة بين المنقول عنه والمنقول إليه» كما فى قولك: «**فلان طويل النجاد**».

فالمطلوب بقولك: «**طويل النجاد**» صفة هى: «**طول القامة**»، وليس بين طول النجاد وطول القامة واسطة، وإنما ينتقل الذهن من طول النجاد إلى طول القامة مباشرة.

والقريبة نوعان: واضحة، وخفية:

١- **فالواضحة:** ما يفهم منها المقصود لأول وهلة لوضوح اللزوم بين المكنى والمكنى عنه، كما سبق فى قولك: «**فلان طويل النجاد**».

ومنه قول الشاعر:

أبت الرَّوادِف والثدى لِقمصها مسَّ البطونِ وأن تمس ظهورا

فقد كنى عن كبر عجيزة المرأة ونهود ثدييها، بارتفاع قمصها عن أن تمس منها بطنًا، أو ظهرًا، وهى واضحة -كما ترى-.

٢- **والخفية:** مالا يفهم منها المقصود إلا مع شىء من التأمل والتفكير لخفاء اللزوم بين المكنى عنه والمكنى به، كما فى قولهم: «**فلان عريض القفا**» كناية عن غبائه، فإن عرض القفا مما يدل على البلاهة والبلادة، إلا أن فهم ذلك يتوقف على إعمال فكر وروية، لخفاء اللزوم بين المعنيين، لأنه لا يدركه كل أحد.

(ب) والبعيدة: ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلى إلى المعنى المراد بواسطة، كما فى قول الشاعر:

ومَـــايكُ فــىَّ مِنْ عَــيْــبٍ فــإِنِى جَـبَـانُ الـكلبِ مـهـزُولُ الفــصـيلِ

فقـد كنى عن جوده وكثرة قـراه للأضياف بجبن الكلب وهزال الفـصيل، إذ الذهن ينتقل من جبن الكلب إلى تأديبه، ومنه إلى استمرار ما يوجب نباحه وهو مشاهدته وجـوهًا إثر وجوه، ثم ينتقل من هذا إلى كـون صاحبه مـقصد الدانى والقاصى، ومن هذا إلى أنه يقرى الأضياف، ومن قرى الأضياف إلى صفة الجود وكذلـك ينتقل الذهن من هزال الفـصيل إلى فـقد أمـه بنحرها، ومنه إلـى قوة الداعى إلى نحرها، ومنه ينتقل الذهن إلى إعدادها للطبخ، ومنه إلى أنه مضياف كريم.

والقسم الثانى: كناية عن موصوف، وهى: ما صرح فيها بالصفة، وبالنسبة ولم يصرح فـيها بالموصـوف المطلوب النسبة إليـه، ولكن ذكر مكانه صفـة أو أوصاف تختص به، كما فى قولك: **«فلان صفا لى مـجمع لبه»** كناية عن قلبه، فقد صرح فيها بالصفة، وهى: **«مجمع اللب»** كما صرح فيهـا بالنسبة، وهى: إسناد الصفاء إليها، ولم يـصرح فيها بالموصـوف المطلوب نسبة الصفـاء إليه، وهو: **«القلب»**، ولكن ذُكِرَ مكانه وصف خاص به، وهو: كونه مجمع اللب.

وهى نوعان:

أولهما: ما تكون الكناية فـيه معنى واحدًا، كـما فى المثال السابق، وكـما فى قول الشاعر:

الضـــاربينَ بكل أبْـيَضَ مـخـــذِمَ والطاعـنينَ مَـجـامـعَ الأضــغــانِ

فقد كنى بمجامع الأضغان -وهو معنى واحد- عن القلوب.

ومنه قول أبى الطيب المتنبى يذكر وقيعة سيف الدولة ببنى كلاب:

فـــمـــســاهـمْ وبَسطهمُ حـــرير وصَــبــحــهمْ وبَسطهمُ تراب

ومـنْ فى كـــفـــه مـنهـمْ قنـاة كــمنْ فى كـفــه منهمْ خـضــابُ

فقد كنى « **بمن فى كفه قناة**» عن الرجل، وكنى «**بمن فى كفه خضاب**» عن المرأة.

وثانيهما: ما تكون الكناية فيه مجموع معان مختلفة بضم بعضها إلى بعض لتكون جملتها مختصة بالموصوف، كما يقال فى الإنسان: «**حى، مستوى القامة، عريض الأظفار**»، فالكناية مجموع هذه المعانى من الحياة، واستواء القامة وعرض الأظفار، لا كل واحد، وهذه المعانى مجتمعة، وصف خاص بالإنسان.

والقسم الثالث: كناية عن نسبة، وهى: ما صرح فيها بالموصوف وبالصفة ولم يصرح فيها بالنسبة بينهما، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها؛ سواء أكانت النسبة إثباتًا أو نفيًا.

فمثالها فى الإثبات قولهم: «**المجد بين برديه**»، كناية عن إثبات المجد للممدوح، فقد صرح فى هذه الكناية بالموصوف، وهو ضمير الممدوح، كما صرح بالصفة، وهى: «**المجد**» ولكن لم يصرح فيها بنسبة المجد إليه، وإنما ذكر مكانها نسبة المجد إلى برديه إثباتًا، وهى تستلزم نسبة المجد إليه.

ومنه قول الشاعر:

إنَّ السماحةَ والمروءَةَ والنَّدَى … فى قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ

فقد كنى عن إثبات هذه الصفات الثلاث: السماحة، والمروة، والندى للممدوح بإثباتها لقبة ضربت عليه، لأنه إذا أُثبِتَ الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أُثْبِتَ له، لاستحالة قيام الأمر بنفسه، ووجوب قيامه بمحل صالح له.

ومثالها فى النفى قول الشنفرى، يصف امرأة بالعفة والنزاهة:

يَبِيتُ بمنجاة منَ اللوْمِ بيتُها … إذا ما بُيوتٌ بالملامةِ حُلَّتَ

فقد صرح بالموصوف، وهو: الضمير فى «**بيتها**» وصرح بالصفة، وهى اللوم المنفى فى قوله: «**بمنجاة من اللوم**»، ولكن لم يصرح بنسبة نفى اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى وهى نفى اللوم عن بيت يحتويها، و هو يستلزم نفى اللوم عنها.

هذا وقد سمى السكاكى بعض أنواع الكناية بأسماء تختلف باختلاف الاعتبارات وهى عنده أربعة أنواع: **تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء أو إشارة.**

والتعريض فى اللغة: خلاف التصريح.

واصطلاحًا: إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود، أى: توجيه الكلام إلى جانب يفهم منه المعنى المراد.

فقول النبى -ﷺ-: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»** إذ قصد منه شخص معين، كان من قبيل التعريض، لأن معناه: حصر الإسلام فى غير المؤذى، ويلزمه: نفى الإسلام عن كل مؤذ، وهو المعنى الكنائى، وبالتعريض تستطيع النيل من الخصم والتنديد به، بما لا يخرج عن حدود الأدب، ولا يجعل له عليك سبيلا، وتلك ميزة عظيمة للتعريض، فالتعريض إذن ليس من قبيل الحقيقة، ولا من قبيل المجاز، ولا من قبيل الكناية، لأن الحقيقة هى اللفظ المستعمل فى معناه الأصلى، والمجاز هو: اللفظ المستعمل فى لازم معناه فقط، والكناية: هى اللفظ المستعمل فى اللازم مع جواز إرادة الأصل.

والتعريض: هو أن تفهم من اللفظ معنى بالسياق أو القرائن.

وأما التلويح: فهو كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم.

وأما الرمز: فهو كناية عدمت فيها الوسائط أو قلت مع خفاء اللزوم، **وأما الإيماء أو الإشارة:** فهو كناية عدمت وسائطها، أو قلت مع وضوح اللزوم.

مقارنة بين الحقيقة والمجاز والكناية

أجمع البلاغيون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الكناية أبلغ من التصريح، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ومن المجاز المرسل والكناية.

والسر فى أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الكناية أبلغ من التصريح هو: أن كلا من المجاز والكناية كدعوى الشىء ببينة.

وذلك لأنك حين تقول -مثلا- فى الاستعارة: **«رأيت أسدًا يمتطى صهوة جواده»** إنما تريد أن تقول: رأيت رجلا شجاعًا يمتطى صهوة جواده، وهذه دعوى قام عليها دليلها وهو: إثبات معنى الأسد له؛ لأنه يلزم من كونه أسدًا أن يكون شجاعًا للزوم الشجاعة للأسد.

ولأنك حين تقول مثلا: عليّ طويل النجاد فإنما تريد أن تقول: على طويل القامة، فهى أيضًا -دعوى قام عليها دليلها- وهو: أنه طويل النجاد؛ لأنه يلزم من كونه طويل النجاد، أن يكون طويل القامة، فكأنك قلت فيهما: رأيت رجلاً شجاعًا يمتطى صهوة جواد لأنه أسد، وعلى طويل القامة، لأنه طويل النجاد.

ولكنك إذا جئت إلى الحقيقة فى كل منهما، فقلت: «**رأيت رجلا شجاعًا يمتطى صهوة جواده**»، و«**على طويل القامة**» كنت قد أتيت فى كل منهما بدعوى لم يقم عليها دليل، وما كان مؤيدًا بالدليل أبلغ وآكد مما لم يقم عليه دليل.

والسر فى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز المبنى على دعوى اتحاد المشبه والمشبه به، والتشبيه نوع من الحقيقة، والمجاز أبلغ من الحقيقة كما عرفت.

والسر فى أنها أبلغ من المجاز المرسل: هو أن فيها دعوى اتحاد المشبه والمشبه به لفظًا ومعنى، أما المجاز المرسل فى نحو قولك: أمطرت السماء نباتًا، ففيه دعوى الاتحاد لفظًا فقط، حيث أطلق اللفظ على المعنى المجازى، ولكن الاتحاد فى المعنى غير موجود، لأنه ليس بين الماء والنبات تشابه حتى يدعى اتحادهما.

والسر فى أنها أبلغ من الكناية هو ما يلى:

أولا: أن الاستعارة فيها جمع بين الكناية والاستعارة من حيث أن الذهن فيها ينتقل من الملزوم كالأسد إلى اللازم كالرجل الشجاع، كما ينتقل -فى الكناية- من الملزوم كطول النجاد إلى اللازم كطول القامة، ومن حيث أن فيها استعمالا للفظ فى غير معناه الذى وضع له لعلاقة المشابهة.

ثانياً: أن الاستعارة مجاز بالقطع، بينما الكناية -كما يقول البلاغيون- واسطة بين الحقيقة والمجاز.

هذا والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة، لأنها توجد فى الهيئات المنتزعة من أمور متعددة، ففيها اعتبارات وملاحظات تحتاج إلى حسن روية وبعد نظر ويلى هذه الاستعارة فى الأبلغية: الاستعارة المكنية، لأنها تشتمل على المجاز العقلى فى قرينتها.

أما الاستعارة التصريحية فهى فى المرتبة الثالثة.

وبعد، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تمرينات
على الكناية

١- بين الكناية، ونوعها فى كل مما يأتى:

(أ) قال أبو الطيب المتنبى -فى وقيعة سيف الدولة ببنى كلاب-.

فمساهمْ وبسطهمُ حَريرٌ ... وصَبحهمْ وبسطهمُ ترابُ
ومَنْ فى كفه منهم قناة ... كمنْ فى كفه منهمْ خضاب

ب- وقالت الخنساء ترثى أخاها صَخرًا:

طَويلُ النجادِ رَفيعُ العمادِ ... كثير الرَّمادِ إذا ما شتا

جـ- وقال آخر -فى وصف امرأة-:

بَعيدَةَ مَهوى القرْطِ إمَّا لنوفلٍ ... أبوهَا وإمَّا عبدِ شمسٍ وهاشمِ

د- وقال آخر:

الضَّاربين بكلِّ أبْيض مخذم ... والطاعنينَ مَجامعَ الأضغانِ

هـ- وقال أبو نواس فى الخمر:

ولما شَرِبْناها وَدَبَّ دبيبها ... إلى مَوْطِنِ الأسرارِ قلت لها: قفى

و- وقال أبو العلاء المعرى فى السيف:

سَليل النار دَقَّ وَرَق حتى ... كأنَّ أبَاه أوْرثه السلالا

ز- وقال آخر:

اليُمن يَتبعُ ظِلَّهُ ... والمجدُ يمشى فى ركابهْ

٢- وضح الكناية فى كل مما يأتى مبينًا منها ما يصح فيه إرادة المعنى الحقيقى للفظ، وما لا يصح فيه ذلك:

أ- تقول العرب فيمن يجاهر غيره بالعداوة:

لبسَ لهُ جلدَ النمرِ، وجلد الأرقم، وقلبَ له ظَهرَ المجنِّ.

ب- وقال يزيد بن الحكم فى مدح المهلب:

أصبحَ فى قيدِكَ السماحةُ والمجدُ وفضل الصلاحِ والحسبُ

جـ- وقال أبو نواس فى المدح:

فما جازهُ جود ولا حَلَّ دُونه ولكنْ يسيرُ الجودُ حيث يسيرُ

د- وقال آخر:

وكلبكَ آنسٌ بالزَّائرينَ منَ الأمِّ بابْنتهــا الزائرة

هـ- وقال آخر مفتخرًا:

لا يَنزل المجدُ إلا فى مَنازلنا كالنوْمِ ليسَ له مَأوى سوَى المقل

و- وقال آخر:

تجولُ خَلاخيلُ النساء ولا أرَى لِرَملة خَلخالا يجول ولا قلبا

ز- وقال آخر:

مطبخُ داوُودَ فى نظافتـه أشبهُ شيء بعرش بقليسِ
ثِيابُ طَباخه إذا اتسخت أنقى بياضًا من القراطِيسِ!

ح- وقال آخر:

فتىَ مُختصر المأكو ل والمشروُبِ والعطرِ
نقى الكأس والقصعة والمنديل والقدر

ط- وقال آخر:

يَكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقبلاً يُكلمه منُ حبهِ وهو أعجمُ!

ى- وقال آخر:

أكلتُ دمًا إنْ لم أرُعكِ بضرّةٍ   بَعيدةَ مَهوَى القرْطِ طيبةِ النشرِ

ك- وقال آخر:

وإذا الكريمُ أضَاعَ مطلبَ أنفهِ   أوْ عرْسهِ لِكريهةٍ لمْ يَغضبِ

****

الفهرس

* * *